## المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.

لم تنعم البشرية عبر تاريخها الطويل بمثل ما أنعم عليها بالقرآن الكريم، والذي أنزله المولى سبحانه وتعالى على خير الورى محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، تلك الهبة الإلهية التي انتشلت الإنسانية من غياهب الجهل والتخلف إلى نور العلم والحقيقة؛ لذا تعاهد المسلمون الأوائل القرآنَ الكريمَ حفظًا وتلاوةً وتدبّرًا وعملًا وتطبيقًا، وبعدها أصبح القرآن الكريم محورَ بحث ودراسة وتحليل من قبل الفقهاء والعلماء والباحثين؛ فتناولوه من مختلف جوانبه وأبعاده الفقهية العقدية والخلقية والاجتماعية والفكرية، فأُلّفتِ الموسوعات التفسيرية والمؤلفات والدراسات القرآنية.

وهكذا ظلّت موائدُ العطاء في كل عصر وزمان عامرةً بما لذّ وطاب من أصناف العلوم والمعرفة من علوم القرآن، ومعينه الذي لا ينضب، تلك التي شغلت أذهان المفكرين، وحظيت باهتمام الباحثين، ففاضت بها أقلامهم وكتبوا الشيء الكثير من أساليب القرآن الكريم والهداية والتربية والفكر والتعاليم الإسلامية، ومنها أحسن القصص.

فقد أورد الله تعالى في القرآن الكريم أحسن القَصص، محوره الأنبياء والمرسلون والأولياء والصالحون مع أقوامهم، والأحداث والوقائع التي دارت في أزمانهم، قصّها علينا بأساليب متنوعة؛ يتحقق فيها إعجاز القرآن الكريم، وعنصر التشويق، وعلامات التوجيه والإرشاد، وأقرب هذه الأساليب إلى النفس البشرية القَصص؛ بما يميّزه من خصائص عن سائر الأساليب في المعنى واللفظ والدلالة وفنون الإيحاء والتصوير، والتعليم؛ ما يجعله يحظى بالتوجيه والجدة التي لا تبلَى، والروعة التي لا تزول.

فالمتأمل والمتدبر في آيات القرآن الكريم يجد أنّ الله سبحانه وتعالى كرّر ذكرَ كثيرٍ من الأنبياء في أكثرَ من سورة، وفي أكثرَ من موضع، بأسلوب جاذب يجعله يوظف كل حواسه في إدراكه.

ولما كان التكرار في القصص القرآني ظاهرة واضحة ملفتة للنظر وداعية لكثير من التساؤلات؛ فقد وجد كثيرا ممن أبحر في علومه؛ ذلك لأنَّ القرآن الكريم نزل باللغة العربية فضمن لها الخلود، والغرض من هذا البحث إثبات أنه لا يوجد تكرار في القرآن الكريم؛ بل للإحاطة بدلالات هذه الظاهرة من جميع جوانبها والبحث في مزاياها في التعبير القرآني، ومن ثم توضيح علاقة هذه الظاهرة بالإعجاز البياني، فما هو التكرار؟ وكيف يتجلّى في القرآن الكريم؟ فجاء البحث بعنوان: **(التكرار في قصص القرآن الكريم ودلالته)** مع تطبيق نماذج من قصص القرآن الكريم.

والمنطلق المنهجي في هذه الدراسة هو البناء التحليلي لقصص القرآن الكريم، واعتمدت في التحليل الدلالي على أساس من الآيات المكررة ودلالتها، وهو تقسيم تقدمه نظرية الأنواع الدلالية والمجالات الدلالي في تحليل المعنى تحليلا سياقيًّا، وجاء البحث على ثلاثة فصول وستة مباحث وخاتمة بالإضافة إلى نتائج الدراسة.

أمَّا المصادر والمراجع فقد ضمّت المعجمات العامة والمعجمات القرآنية وكتب التفسير والدراسات القرآنية الأخرى والدراسات اللغوية، ومراجع الدرس الدلالي الحديث، فجاءت هذه الدراسة لتحاول رسم ملامح درب التفرد القرآني من خلال النظر أو الحث على النظر إلى إشراقات اللفظ، والتحرك معه على ضوء من تجلياته المتعددة وفيضه الدلالي الأوسع.

فكثيرا ما اعتمدت الفروق بين السياقات المستعملة فيها اللفظة محل البحث، والفروق الدلالية بين الألفاظ محاولا إخراج ذلك مخرجا يجعله الأقرب إلى إثبات وإقرار عدم وجود التكرار في القصة القرآنية لا في المعاني ولا الألفاظ، إنما اختلاف المقاصد.

**مشكلة البحث**

بين ثنايا القرآن الكريم تناثرت قصصٌ تروي عن أخبار الماضين من الأمم السابقة، فقد وردت هذه القصص للعبرة والعظة ومنها قصص تكررت بعض تفاصيلها في أكثر من سور، هناك سيل جارف من الاتهامات وُجّهت إلى هذه القصص من أعدائه الطاعنين وبعض المنتسبين إليه من الجاهلين والمارقين ومريدي الفتنة والمرجفين بأنها مكررة، فإنها تحتاج إلى يقظة تامة وفهم عميق للقرآن الكريم وارتباط تام بكتب التفاسير التي سهر مؤلفوها من أهل العلم؛ لتبيان الحقّ بالطريقة العلمية والرد المنهجي لدفع الشبهة بالحجة وردّ الطعن بأقوال أهل العلم الراسخين، وتفنيد الآراء بالرأي المدعم بالحجج الدامغة.

**أسئلة البحث**

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن مجموعة الأسئلة التي تبرز ظاهرة قصص في القرآن الكريم وتكرارها وتوضيح دلالاتها وقيمتها الفنية وإعجازها:

١- من خلال الإطار النظري:

- ما مفهوم القصة وأنواعها وعناصرها، وما مفهوم التكرار؟
- ما معنى الدلالة وأنواعها ومجالاتها وتطورها وأشكالها؟
- ما التكرار في القرآن الكريم بصفة عامة؟ وما فوائده؟
- ما ظاهرة التكرار في قصص القرآن، وفوائدها، وآراء العلماء في قضية التكرار؟
- ما مفهوم المتشابهات اللفظية وأنواعها في قصص القرآن الكريم وفوائدها؟
- ما المحسنات اللفظية في قصص القرآن الكريم؟

٢- ومن خلال إطارها التطبيقي:

- ما دلالات القصص الواردة في القرآن الكريم مرة واحدة؟ مع نماذج تطبيقية.
- ما دلالات القصص المكررة؟ مع نماذج تطبيقية في بعض القصص.
- ما القيمة الفنية لتكرار القصة ودلائل إعجازها؟

**أهداف البحث**

١- إثبات أنّ التكرار الهادف في القرآن الكريم سحرُ بيانٍ وتثبيتُ بنيانٍ وبلاغةٌ وإعجازٌ ومنهجٌ قويم وهدفٌ عظيم، تدور كل قصة حول محور معين يختلف عن المحور في القصة نفسها في سورة أخرى، وهو من محاسن الكلام إذا اقتضى ذلك المقام وبيان ما فيه من حكم وأحكام وليس تكرارًا لفظيًّا.

٢- استكشاف تنوع دلالات التكرار في كل قصة مكررة من قصص القران الكريم وبيان فوائده ومحاسن أدواته وإعجازه، ونفى شبهة التكرار غير المحمود في القرآن الكريم، والتعرض لما اشتمل عليه من المعاني والدلالات.

**أهمية البحث وأسباب اختياره**

قدمت بحثًا في الماجستير عن قصة سيدنا موسى عليه السلام، فلاحظت تكرارها في كثير من سور القرآن الكريم، فألهمني الفكرة في معرفة سبب تكرار هذه القصة في أكثر من سورة، فكان سبب اختياري هذا العنوان، وتتمثّل أهميته في الآتي:

١- تدبّر آيات الذكر الحكيم وسبر أغواره من أعظم الطاعات وأجلّ القربات.

٢- إدراك أسرار التنزيل وحقائق التأويل في القرآن الكريم.

٣- معرفة فوائد التكرار في اللغة العربية من خلال القرآن الكريم البلاغة القرآنية والألفاظ الإعجازية.

٤- الوقوف على آراء العلماء القدامى والمحدثين في قضية التكرار في القرآن الكريم.

٥- تنوع دلالات التكرار وفوائده في القصص أبلغ رد على المشككين في قضية الآيات التي وردت في القرآن الكريم في أكثر من سورة، والدفاع عن كتاب الله العزيز ودرء الشبهات.

**منهج البحث**

اتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على جمع المعلومات من مصادرها الأصلية القديمة والحديثة والاستعانة بكتب التفاسير وعلوم القران واللغة والبلاغة؛ ومن ثم تحليلها استقرائياً للوصول من خلالها إلى النتائج المطلوبة.

**الدراسات السابقة**

تضمّن البحث آراء العلماء والباحثين الذين اهتموا بظاهرة التكرار في القرآن الكريم وأولوها اهتمامًا واضحًا؛ لما فيها من اختلاف المعاني والدلالات وتشابه الألفاظ، فالبعض أفرد لها مباحث مستقلة، وكثير منهم جاءت دراساتهم ضمن مؤلفاتهم في علوم القرآن والتفاسير والشروح، ومن أهمّ الدراسات السابقة:

١- دراسة يحيى محمد علي المهدي وعنوانها: " التكرار القرآني ودلالاته من خلال سور القمر، والرحمن، والمراسلات"، رسالة ماجستير، جامعة الجزيرة ٢٠٠٨م، تحدّث عن الجانب الديني والعبر التي ساقها القرآن الكريم في هذه القصة وتتبع مواضع التكرار اللفظي في القرآن في السور المشار إليها وما يتعلق بالجانب المعنوي، وما يختص بالصوت وما يتعلق بالصياغة والسياق والبلاغة، بينما تتفق الدراسة مع هذا البحث في دلالات التكرار اللفظي في بعض الآيات.

٢- دراسة الدكتور عبدالشافي أحمد علي الشيخ وعنوانها:" ظاهرة التكرار في القرآن الكريم" كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة القاهرة، تناول فيها ظاهرة التكرار في القرآن الكريم من الناحية الجمالية وأنواع التكرار وأسراره والفائدة منه وآراء العلماء في قضية التكرار في القرآن الكريم، ولم يغفل الجانب الإعجازي في التكرار.

٣- دراسة الدكتور عبد الرزاق حسين أحمد وعنوانها " مسألة تكرار النزول في القرآن الكريم بين الإثبات والنفي" والتي قام بنشرها مجلة الوعي الإسلامي بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، وقد اقتصرت دراسته على أسباب تكرار نزول القرآن واستعراض آراء العلماء حول هذه الأسباب.

٤- دراسة الدكتور أمين محمد عطية باشا، أستاذ التفسير وعلوم القرآن، وعنوانها " التكرار في القصص القرآني" دراسة تطبيقية على قصة موسى عليه السلام، وجاءت دراسته لبيان حقيقة التكرار في القصص القرآني وأسراره وفوائده والرد على الشبهات التي أثيرت حوله، وإظهار جوانب البلاغة والإعجاز في تكرار القصص القرآني.

٥- دراسة الدكتور يحيى محمد علي المهدي رسالة دكتوراه بجامعة أم درمان الإسلامية، بعنوان "التكرار المعنوي في القران الكريم ( دراسة أسلوبية دلالية)، جاءت

دراسته في التكرار المعنوي في آيات القرآن الكريم بصفة عامة، ولم يغفل الجانب القصصي باعتباره أبرز مواضع التكرار المعنوي.

٦- دراسة سيد رضا سليمان زاده، جامعة أصفهان، حول ظاهرة التكرار من خلال آراء ابن رشيق القيرواني النقدية في كتابه العمدة، وقد استعرض آراء ابن رشيق النقدية في التكرار وأفرد جانبا من التكرار في القرآن الكريم.

٧- دراسة محمد ناجي مشرّح، بعنوان "الآفاق الفنية في القصة القرآنية، رؤية تربوية لإعداد الدعاة، تحدّث فيها عن الجانب التعليمي الذي تهدف إليه القصة القرآنية، وما للتكرار من أهمية لتركيز الفكرة وترسيخها.

# الفصل الأول

# القصّة القرآنيّة، والتكرار، والدَّلالة

**المبحث الأوّل: القصة القرآنية مفهومها وعناصرها وخصائصها.**

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية.

المطلب الثاني: عناصر القصة القرآنية وخصائصها.

**المبحث الثاني: التكرار، مفهومه وأنواعه وأغراضه.**

المطلب الأول: مفهوم التكرار وأنواعه.

المطلب الثاني: أهم أغراض التكرار.

**المبحث الثالث: الدلالة وأنواعها ووظائفها ومجالاتها وتطورها.**

المطلب الأول: مفهوم الدلالة وأنواعها ووظائفها.

المطلب الثاني: التطور الدلالي؛ أسبابه وأشكاله.

## المبحث الأوّل: القصة القرآنية مفهومها وعناصرها وخصائصها

**المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية.**

**المطلب الثاني: عناصر القصة القرآنية وخصائصها.**

## المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية.

لم يعتمدِ القرآنُ الكريمُ أسلوبًا واحدًا لإيصال رسالته إلى الناس؛ بل تعددت أساليبه وتنوعت، فهو حينًا يعتمد أسلوب الحوار، وحينًا آخرَ يعتمد أسلوب ضرب المثل، وتارة يعتمد أسلوب التربية النفسية والتوجيه الخُلُقي، إلى غير ذلك من الأساليب التي لا تخفى على من تأمّل وتدبّر كتاب الله العزيز، وأسلوب القصة من الأساليب التي اعتنى بها القرآن الكريم عناية خاصة؛ لما فيها من عنصر التشويق، وجوانب الاتعاظ والاعتبار والتفكير في ملكوت الله، وقد ألمح القرآن إلى هذا في أكثر من آية، من ذلك قوله ﷻ: ﴿فَاقْصُصِ القَصَصَ لعَلّهُم يَتَفَكَّرُون﴾[1]، إلى غير ذلك من الآيات التي تبيّن اعتماد القرآن أسلوب القصص، تحقيقًا لمقاصدَ وأغراضٍ تصبُّ كلُّها في مصلحة العباد، فالحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السامع، فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حبّ الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس، والموعظة الخطابية التي تُسرد سردًا ربما لا يجمع العقل أطرافها ولا يعي جميع ما يُلقى فيها؛ ولكن حينما تأخذ صورة من واقع الحياة في أحداثها فعندئذٍ تتضحُ أهدافُها، فيرتاحُ المرءُ لسماعها، ويصغي إليها بشوق ولهفة، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات، والقصص الصادق يمثل هذا الدور في الأسلوب العربي أقوى تمثيل، ويصوّره أبلغ صورة، ونجد ذلك في قصص القرآن الكريم.

**أولا : المعنى اللغوي للقصّة:**

القَصُّ لغة: القص اقتفاء الأثر، ومنه القصة؛ حيث يقوم القاص بتتبع أحداثها حدثا بعد حدث، جاء في اللسان: " وتقَصّصَ الخبر تتبّعه، والقِصّة الأَمرُ والحديثُ واقْتَصَصْت الحديث رَوَيْته على وجهه، وقَصَّ عليه الخبَرَ قَصصًا، وفي حديث

---

١ – سورة الأعراف، الآية (١٧٦) .

الرؤيا لا تقُصَّها إلا على وادٍّ، يقال: قَصَصْت الرؤيا على فلان إذا أَخبرته بها، أَقُصُّها قَصًّا، والقَصُّ البيان، والقَصَصُ بالفتح الاسم، والقاصُّ الذي يأْتي بالقِصّة على وجهها، كأَنه يَتَتَبّع معانيَها وأَلفاظَها"[١]، وجاء في مختار الصحاح: "والقاص هو الذي يروي هذه القصص ويحكيها على وجهها، الاسم منه (القَصص)- بفتح القاف- وضع موضع المصدر(قصَّ يقصُّ قَصَصًا) حتى صار أغلب عليه، فسمي به"[٢]، ويقولون فلانٌ قصَّ أثرَ فلان، وكذلك (القَصَصُ)، ومنه قولُه ﷻ ﴿فَارْتَدَّاْ عَلَىٰٓ آثَٰرِهِمَاْ قَصَصًا﴾[٣]، أي "رجعا في طريقهما الذي جاءا منه يتتبعان أثرهما الأول لئلا يخرجا عن الطريق"،[٤] وكذلك اقتصَّ اتّبع، وتقصّصَ تتبّع الخبر منذ بدايته ورواه على وجهه حتى نهايته، والقصّاص هو الذي يتتبع الأثر. وقال الله ﷻ في قصة موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾[٥]، جاء في تفسير الطبري لسورة القصص "قُصّي أثرَ موسى، اتبعي أثره، تقول : قصصت آثار القوم : إذا اتبعت آثارهم تتبعي أثره"[٦].

فالقِّصة الأمر والحدث والخبر والشأن والحال وقصص القرآن الكريم وأخباره عن أحوال الأمم الماضية، وقصص الأنبياء السابقين، والحوادث والوقائع، وقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه، وقد اقتصَّ الحديث أي رواه على وجهه. والقِصَص، بالكسر جمع القَّصة التي تُكتب، وفي القرآن الكريم سورة القَصص.

---

١- ابن منظور، لسان العرب، ج٣، مادة (قصص)، ط١، دار المعارف، مصر، ص٤٣٤.

٢- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة ( قصص )، دار لبنان، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٢٥.

٣ – سورة الكهف، الآية (٦٤).

٤- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط١، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م، ج ٨، ص٢٢.

٥ – سورة القصص، الآية (١١١).

٦ – الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤، ج٩، ص (٢٣٣).

**تعريف القصة اصطلاحًا:**

وتعريف القصة اصطلاحا كما يقول: "والقِّصة تعني السَّرد والإخبار، وهما يقومان على إتباعِ الخبر بعضَه بعضًا وسوقِ الكلام شيئًا فشيئًا، حتى تكتمل روايته"[1]، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[2].

أما القِصص بكسر القاف، فهي جمع القِصّة التي تكتب وتروى، وتحتاج إلى الفن والإبداع.

فالقصة بمفهومها العام وصف دقيق للعلاقات البشريّة وضبطها في كل حالاتها الخيّرة منها والشريرة لتحثّ الناس على الخير والجمال والهدوء وتدفعهم عن الشرّ والقبح والصخب، وتسلب ألبابهم بفن الكلمة وسحر التعبير وجمال الأسلوب، فهي فن أدبي قائم بذاته، وهي حكاية نثرية تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معًا، وتُبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي، تعني أيضًا "سرد جزء من ماضٍ شخصي سردًا منتظمًا أو غيرَ منتظمٍ لسلوك فردٍ أو جماعةٍ من البشر في عالم الخيال أو الحقيقة والواقع، كالسيرة السيرة الذاتية للدكتور طه حسين في كتاب الأيام، كما فسرها البعض بأنّها " تحليل وتفسير لسلسلةٍ من الأحداث تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة بغرض تسلية القارئ والترويح عنه وتزويده بحصيلة من المعرفة والثقافة تتخللها جوانب متعددة من الأحداث التي تستند في بنائها على جوانب مختلفة من الأسطورة والواقع والعاطفة والدين، ويكون لها نصيبها من حيث التّأثير والتّأثر"[3].

أما مفهوم القصة في القرآن الكريم قد تتفاوت فيه وجهات النظر؛ نظرًا لما في القصة القرآنية من خصائص تميزها عن غيرها من صدقٍ في الواقعية التاريخية،

---

٢- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة ( قصص )، دار لبنان، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٢٥.

٢ – سورة يوسف، الآية (٣).

٣- نبيلة إبراهيم، فن القصص في النظرية والتطبيق – دار قباء للطباعة، مصر، د ت، ص٣٤.

وجاذبيةٍ في العرض والبيان، وشموليةٍ في الموضوع، وعلوٍّ في الهدف، وتنوّعٍ في المقصد والغرض، ووضوحٍ في الإعجاز.

فللقصة في القرآن الكريم مفهوم يحدده ما ورد فيه من أنباء خاصة سيقت على وجه العبرة للمصدقين والردع والزجر للمكذبين، فهي توجّه المسلمين الأولين إلى الثبات على الحق والاستزادة من عمل الخير والبرّ، كما تصرف المتهيئ من المكذبين عن الباطل والشرّ والشرك بأنواعه بقدر ما فيهم من استعداد وتهيؤ، وتحذر الكفار من العواقب الوخيمة التي قد يترتب عليها تكذيبهم للرسول صلى الله عليه وسلم ومعاداتهم له، وهي محدودة في الدائرة التي علم الله سبحانه وتعالى حاجةَ عبادِه إلى التعريف بمضمونها والوقوف عند حدودها.

كثير من العلماء والباحثين من نذر نفسه وعلمه في خدمة الإسلام، فكثرت الدراسات في علوم القرآن الكريم وتنوعت، فكان للقصة في القرآن الكريم حظٌّ وافرٌ من هذه الدراسات حيث عمد كثير ممن عُنوا بدراستها إلى تحليلها وترتيبها؛ بحيث يسهل تناولها للقارئ العادي، فالقرآن الكريم دستور أمتنا الإسلامية والمنبع الأصلي لدينها ومعجزة لنبيها، وإن الدارس والمتأمل فيه يجدُه مليئا بحقائقَ جمةٍ وشاملا لكل ما سبقه من الكتب والرسالات ومتضمنًا لقصص الأمم الماضية، فتناول كل موضوع من تلك المواضيع بأسلوب فصيح وشمولية تامة، فأعجز بذلك المخلوقات وأقام الدليل على صدق الرسالة والنبوة المحمدية.

القصص القرآني أحد مناهج القرآن الكريم في الدعوة التي تنوعت وسائلها ما بين حديث في التوحيد وأحكام في التشريع وسرد أحوال الأمم مع أنبيائهم في الماضي ومشاهد في الحياة الدنيا السابقة واللاحقة وعرض ما في اليوم الآخر، ولكن حِرْصَ القرآن الكريم على سرد أخبار الأمم السابقة لم يكن هدفًا بحد ذاته بل وسيلة لغاية أخرى ولم يكن لمقصد فني ولكن لغرض ديني؛ ولذلك لا ينبغي أن يطبق على قصص القرآن قواعد هذا الفن وأصوله المستحدثة إلاّ نكن كمن يُخضِع كلام الله لنقد البشر، ومع ذلك من اليسير تلمُّس جوانب جمال الفن القصصي في القران الكريم تلمُّسا يشفُّ عن مدى إيحاء التعبير القرآني ودلالته على قصص الأنبياء أو نماذج معينة من البشر في أحوالها المختلفة، عماده الحقائق المطلقة الثابتة المطابقة للواقع

والصدق في القول والإخلاص في النقل، فضلا على أنه يثير الكوامن ويستولي على الشعور والوجدان.

وقد جاء قَصص القرآن الكريم نوعا من الإعجاز القرآني في إثبات حقيقة الكتاب المنزّل ومدى صدقه على أنه من عند الله تعالى وليس من صنع البشر، وبما أنّ القرآنَ الكريمَ في المكان الأسمى هو كتاب دعوة دينية ونبع هداية للناس؛ فإن القصة إحدى وسائله التي تهدف إلى تبليغ عقيدة الإيمان بالله وبرسله، ونهج فريد في الإعجاز وأسلوب مقصود على أنّ القرآن الكريم لم يكن لإنس أو جنّ ولو اجتمعوا هيهات أن يأتوا بمثله.

فالقصة معلم بارز من معالم القرآن الكريم ووسيلة من وسائله المختلفة في التعبير والتأثير لتحقيق أهدافه، ولا تخلو سورة من قصة هادفة، لكنها لا تخضع لمفهومها الحديث لا في طريقة عرضها ولا في تحديد زمانها ومكانها وأحداثها وأشخاصها ولا تستقل في موضوعها ولا في طريقة عرضها ولا إدارة حوادثها عن الغرض الأساس في القران الكريم، وهي من أهم المواضيع التي شغلت حيزاً كبيراً في القرآن الكريم، وتحدثت كثير من السور والآيات عن قصص الأنبياء والأمم الماضية حيث أولاها القرآن الكريم أهمية خاصة باعتبارها وسيلة من الوسائل الدالة على صدق نبوة محمد ﷺ وعلى ثبوت العبودية لله ﷻ وحده بكونه قادراً على أخذ المكذبين الذين كذبوا رسوله ﷺ كما فعل مع أقوام سابقة لأنهم كذبوا واستكبروا وجحدوا فكان مصيرهم العقاب والهلاك في الدنيا قبل الآخرة، لهذا يقصّ الله ﷻ قصصهم في كتابه ويبيّن كيف أخذهم بذنوبهم لكفرهم ولأجل العبرة والعظة.

إذن، فالقصة القرآنية بهذا التصوير ليست عملاً فنيًّا ولا كان وجودها غاية في ذاتها، كما إنها ليست ضربًا من الأساطير والخيال والوهم؛ ولكنها قَصص حقيقي أخبر به الله ﷻ عن الأنبياء السابقين مع أممهم تأسّيًا للنبي المصطفى ﷺ وتثبيتا لقلبه وبيان أن الدعوة إلى الله ﷻ قد حوربت من قبله وصدّ عنها البشر، ولا يصف القرآن الكريم إلاّ بأحسن القصص، والقصص الحق، الموحى به إلى النبي ﷺ، وإن حكايته كانت بعلم لا بغفلة لأشياء حدثت بالفعل في زمن ما؛ لا نستطيع أن نحدده، معنى ذلك أنّها مرتبطة بالتاريخ القديم، وهي كما عرفها البعض بأنّها: "قصص

تاريخية واقعية مقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها، تعرض نموذجا لحالات بشرية"[1]، ولا تحيد عن الحق لأنه بُنيَ على الحقائق الثابتة التي تخلو من زخرف القول وباطله، فيها من الإعجاز ما لا يدركه العقل البشري، كما يقول البعض " ثم يجئ القرآن الكريم فيقصّها بأحسن القصص أسلوبًا محكمًا وعرضًا معجزًا وحقًّا ثابتًا وهي لهذا لا تقع من الناس موقع الإنكار؛ إذ الناس هم الناس والزمان هو الزمان والحياة يوم مكرر وسنة الله لا تختلف ولن تجد لسنة الله تبديلا "[2]، غير أنّ النقّادَ قد قسّموا القصة القرآنية إلى أنواع منها التاريخية ومنها التمثيلية ومنها الواقعية ولم تسلم من آراء بعض الباحثين الذين ذهبوا إلى أبعد من ذلك حينما قالوا: " إنّ فيها القصة الأسطورية وقصة الخطيئة التي أطلق عليها القصة الرمزية"[3]، وقد خلصوا إلى القول إن أنواع القصة في القران الكريم ثلاثة، وهي[4]:

القصة التاريخية: وتشمل ما ورد من قصص الأنبياء أو غيرهم ممن قصّ الله عزّ وجلّ علينا أحوالهم وأخبارهم.

القصة التمثيلية: وهي كلّ قصة بُدِئت بما ينبئ أنها مثلٌ مضروب لبيان أحوال الأُمم الماضية المشابِهة لحال المخاطبين، ودلّت أحداثها على أنها وقعت بالفعل مع إمكان وقوعها من بعد أكثر من مرة بغية أخذ العبر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثلاً لِلّذِينَ كَفَرُوا امرأةَ نُوحٍ وَامرأةَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَينِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللهِ شَيئاً وقِيلَ ادْخُلا النّارَ مَعَ الدّاخِلِين ﴾[5].

القصة الغيبية: وتشمل ما قصّه القران الكريم من أحداث قادمة في الغيب كقصص يوم القيامة من أمر البَعْث والنشور والجنّة والنار، ومنها كما حدّثنا الحقّ عزّ وجلّ عن أخبار الروم، فقال تعالى: ﴿آلم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ

---

١ – مأمون فريز جرار ، خصائص القصة الإسلامية ، ط١، دار المنارة ، جدة ، ١٩٨٥م ، ص٦٨.

٢ – محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ط١، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٧٠، ص٣٠٦.

٣ – مأمون فريز جرار، خصائص القصة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٦٨ وما بعدها.

٤ – محمد ناجي مشرح، الآفاق الفنية في القصة القرآنية، رؤية تربوية لإعداد الدعاة، دراسات في تأصيل الإعلام الإسلامي، ط١، دار المجتمع، جدة، ١٤١٢هـ، مأخوذة بتصرف من الصفحة ٣٥ وما بعدها.

٥ – سورة التحريم، الآية (١٠).

سَيَغْلِبُونَ﴾[1]، وقد حدثت بالفعل فيما بعد وما زالت أحداثها تتوالى إلى يومنا هذا في صراع اليهود مع المسلمين.

وتتفاوت هذه القصص حيث الشكل، فمنها الطويلة التي ليس لها مقياس معين إنما مقياس تقريبي يترتب عليه حجم العظة والعبرة، فتتناول جوانب كثيرة من حياة صاحبها منذ ولادته ونشأته وحياته قبل إرساله، ثم حياته نبيًّا؛ ومن ذلك قصة سيدنا موسى عليه السلام، أو ربما أغفلت ولادته كقصة سيدنا يوسف عليه السلام وقصة سيدنا سليمان عليه السلام.

ومنها القصة المتوسطة التي تتناول مواقف ومشاهد من جزء من حياة صاحبها قد يكون الجزء الأول من حياته كقصة سيدنا آدم عليه السلام وعيسى عليه السلام وقد يكون في جزء متأخر من حياته تبدأ من إرساله وتتناول مشاهد من دعوته لقومه ولكنه مشاهد قليلة إذا قارناها بالقصة الطويلة كقصة سيدنا نوح وقصة سيدنا إبراهيم وقصة سيدنا داوود عليهم السلام.

ومنها القصة القصيرة التي لا تصل مشاهدها إلى ما وصلت إليها المتوسطة فهي تذكر دعوة الرسل لقومهم، والنهاية التي آلوا إليها بعد التكذيب كدعوة سيدنا هود ودعوة سيدنا صالح ودعوة سيدنا شعيب ودعوة سيدنا لوط عليهم السلام، ومن القصص القصيرة ما يشار إليها فقط كقصة سيدنا إدريس وذي الكفل واليسع عليهم السلام، فهي قصص وعظيّة بحتة تعرض القدر الذي يبلغ العظة ويتفق مع الغرض منها كذلك قصة أصحاب الكهف وأصحاب الأخدود وابني آدم وصاحب الجنتين وسد مأرب والذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها.

والقصة في القرآن الكريم سيقت لمقتضى الغرض الديني وخدمة له، وخضعت خضوعا تاما؛ ومع ذلك لم تحجب عنه ملامح الفن في الأداء اللغوي وفي التصوير الحسن السبك؛ بل إنّ الغرض الفني سُخّر لخدمة الغرض الديني وطُوِّع له، " وكان الجمال الفني أداةً مقصودةً للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية وإدراك الجمال الفني الرفيع يشير بحسن الاستعداد لتلقي التأثير الديني

---

١ – سورة الروم، الآيات (١–٣).

حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع لمستوى التعبير عن العقيدة وحين تصفو النفس لتلتقي رسالة الجمال التي تبلغ في العقيدة حد الكمال"[١].

ولكن بعض النقاد ينكرون وجود القصة أصلا في القرآن الكريم باعتبار القصة خاصة بالأدب، "وأما في القرآن الكريم فنجد القَصص – بفتح القاف – والتي هي بمعنى الأنباء واحدها النبأ، كما ورد في بعض آيات الذكر الحكيم، ويدل دلالة قاطعة على أنّ ما ورد فيه من الشخصيات والأحداث إنما هو حقّ لا زيادة فيه، ولا تنشأ عن تخيل أو رغبة في مزيد تأثير أو أنّ فيه شيئًا من الأساطير التي هي أباطيل القول أو هي قِصص لها أصل ولكن الخيال يدخل فيها ما ليس منها، ولا يجوز أن ينسب إلى القرآن ما ليس فيه "[٢]، وبعضهم لا يرى حرجًا في إطلاق لفظ القصة على القصص ويستدلون بما ورد في معاجم اللغة العربية وكتب التفاسير بأنّ لفظ القِصة والقَصص من مادة واحدة (قصص)، ونافلة القول أنّ القّصص القرآني من حيث الحقيقة والواقع لا يُقارن بالقِصص الأدبية، حيث إنّ القِصص الأدبية تجسيد الواقع بكل ما فيه من سلبيات وإيجابيات بأسلوب فني مبتكر وممتع تلامس الواقع وتصفه فقط، يدخل الخيال عنصرا أساسا فيه؛ بينما تُساق قَصصُ القرآن للعبرة والعظة؛ مما قد يحدث بسبب مواقف حدثت بالفعل في زمان ما ومكان ما، ولكنهما يرتبطان في الإمتاع.

**أهداف القَصَص القرآنيّ:**

إن الهدف الأول من القصص القرآني لا يتجاوز المحور الأعظم لأهداف القرآن الكريم، ألا وهو كونه هداية للناس أجمعين، فالقصة القرآنية تمثل جزءًا كبيرًا من القرآن الكريم، وهي غاية من غايات المعرفة ووسيلة من وسائل التبليغ فيه، تتحد مع سواها مصدرًا وموضوعًا وغايةً، وللقصة في القرآن الكريم أهداف سامية ومقاصد عالية وحكم متعددة من أهمها بيان أنّ الرسلَ جميعا قد أرسلهم الله تعالى برسالة واحدة في أصولها ألا وهي إخلاص العبادة لله الواحد القهار وأداء التكاليف التي

---

١ – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص ٦٠، التصوير الفني في القرآن، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣، ص١١٩.

٢ – مأمون جرار، خصائص القصة الإسلامية، مصدر سابق، ص٥٨.

كلف سبحانه وتعالى خلقه بها، وقد وردت آيات كثيرة تدل على أنّ أولَ كلمة قالها كل رسول لقومه هي أمرهم بعبادة الله تعالى ونهيهم عن عبادة أحد سواه، ولكن إذا ما أردنا شيئًا من التفصيل فإننا نستطيع أن نجمل بعض أهداف القصص القرآني على سبيل المثال لا الحصر؛ وذلك في عدة نقاط من خلال ما أشارت إليه آيات القرآن الكريم متفرقة في معرض حديثها عن قصص متعددة:

هدِفَ القرآن الكريم من إيراد القصة في إثبات الوحي والرسالة للنبي ﷺ، وبيان أنّ منبع الرسالات واحدة، وأنّ الرسالات متشابهة ومشتركة في الدعوة إلى عبادة الله تعالى منذ عهد سيدنا آدم عليه السلام، وإثبات صدق النبي ﷺ في رسالته؛ لأنّ دعوة الأنبياء واحدة ومنهجهم واحد، فالقرآن الكريم يصرح برسالتهم ونبوتهم ويصرح بأسمائهم ويشهد لهم بالصدق وتبليغ الدعوة، فليس لأحد أن يشك في رسالاتهم، وبالتالي فإنّ النبي ﷺ رسول الله إلى البشرية، كما أُرسل رسلٌ من قبله، كما في قوله جلّ شأنه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1].

الإخبار عن الأمم السابقة والقرون الساحقة؛ مما لا يعلمه أحد من كتّاب العرب " فالنبي ﷺ كان أميًّا ولم يُعرف عنه مجالسة أحبار اليهود والنصارى، فورود هذه القصص من مثله ﷺ دليل على رسالته وتلقيه الوحي"[2]، وهذا ما أشار إليه الحقّ ﷻ حين قال وهو يعرض قصص الأنبياء: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3] وأيضاً حين قال ﷻ مخاطباً نبيه ﷺ، بعد عرض شائق وطويل لنبأ موسى عليه السلام وفرعون ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا

---

١ – سورة النحل، الآية (٤٣).

٢ – فهد عبد الرحمن الرومي، دراسات في القرآن الكريم، ط١٣، مؤسسة فهد، بيروت، ٢٠٠٤م، ص ٦٠٩.

٣ – سورة هود، الآية (٤٦).

مُرْسِلِينَ، وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

بيان عاقبة الإيمان والكفر وإنّ الله ﷻ ينصر أنبياءه في النهاية ويُهلك المكذبين ويُظهر أنعُمه على رسله وعباده وبيان قدرة الله تعالى في نجاة أنبيائه وتثبيت قلب النبي صلّى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ وَكُلّاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ففي أخبار المرسلين وتكذيب أقوامهم تسلية وتصبير لقلب النبي صلّى الله عليه وسلم وللمؤمنين والدعاة من بعده على ما يلقاه من أذى المشركين وتكذيبهم، وذلك إن الرسول ﷺ حين يخبره الله ﷻ بما جرى للأنبياء – عليهم السلام – من قبله مع أقوامهم يسلو قلبه ويتجدد عزمه فيصبر كما صبر أولو العزم من الرسل، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ، وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾[3].

الشيطان عدو الإنسان الأوحد على الأرض يزيّن له سوء عمله ليقع فيما يغضب الله ﷻ "فالقصص تنبيه أبناء آدم عليه السلام إلى غواية الشيطان وإبراز مدى عداوة الشيطان للبشر منذ بدء الخلق، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصص أقوى وأروع وأدعى للحذر من كل هاجس في النفس تدعو إلى الشر وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير"[4].

أضف إلى ذلك الاعتبار والاتعاظ من خلال النظر في سنة الله النافذة في هذا الكون، فالعاقبة دائما للمتقين والبوار والخزي دائمًا على الظالمين، وما أكثرَ الآياتِ التي تأمُرنا بالسير في الأرض للنظر والاعتبار من عواقب الماضين وآثارهم، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ قد كان في قَصَصِهم عبرةٌ لأولي الألبابِ﴾[5]. ومعنى العبرة

---

١ – سورة القصص، الآية (٤٦).

٢ – سورة هود، الآية ١٢٠.

٣ – سورة الأنعام، الآية ٣٤.

٤ – سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، مرجع سابق، ص١٢٧.

٥ – سورة يوسف، الآية ١١١.

هو التأمل والاتعاظ والاعتبار بأن نقيسَ أنفسنا على السابقين ممن قصَّ الله علينا نبأهم بالحق فنعلمَ أنَّ سنة الله ماضية فينا كما خلت في الذين من قبلنا، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ومنها تصحيح العقائد الفاسدة وتثبيت العقائد الصحيحة الإيمان بالله وحده والإيمان بالبعث بعد الموت، وهذا ظاهر من خلال دعوات الرسل والأنبياء جميعاً لأقوامهم، وكذلك تحقيق خلافة الإنسان في الأرض في قصة خلق سيدنا آدم عليه السلام ونزوله إلى الأرض بعد أن غواه إبليس.

تقويم الخلق والسلوك الفردي والجماعي وتصحيح ميزان القيم العقدية الاجتماعية والخلقية حتى يصلح الفرد والمجتمع، وهذا من خلال معالجة كل نبي لصفة معينة في قومه ويسعى في إصلاحها، فالقصص تصوِّرُ – مثلاً – شناعة ما كان عليه قوم لوط وما كان عليه أهل مَدين وقوم نوح وعاد وثمود وما كان عليه الطغاة والمفسدون من ظلم وجور ومنع للفقراء، وتصوِّر أيضًا شناعة الحسد الذي حمل أحد ابني آدم على قتل أخيه وشناعة طبائع اليهود، وفي جانب آخر تصور ما كان عليه الأنبياء والصالحون من صبر وعدل وعطاء وكيف حقق سيدنا سليمان عليه السلام وغيره الخلافة في الأرض على أساس من العدل والخلق والاستقامة، وصبر مريم ابنة عمران على أذى قومها.

وثمة أهداف أخرى كثيرة لمن تأملها من أولي الألباب، مثل التوكل على الله لاسيما بالنسبة للدعاة والمصلحين وانتهاج الأسوة الحسنة في الأنبياء والتجمل بمكارم الأخلاق وتعلم آداب الحوار والجدال بالحسنى وأساليب الدعوة إلى الله تعالى وكيف يدخل الداعية إلى قلوب المدعوين ومعرفة طبائع الناس عامةً عند كفرهم وإيمانهم وطبائع أقوام بعينهم مثل بني إسرائيل وكيفية التعامل معها وتشخيص أمراض المنحرفين والمعاندين وكيفية معالجتها، فإنَّ المتدبر لقصص القرآن الكريم يجد في كل قصة بل في كل آية وفي كل كلمة وفي كل التفاتة من الأهداف والعبر والإشارات واللطائف ما تعجز عنه الألسن ولا تبلغ مداه الأفهام، وصدق الله العظيم إذ يقول مبيناً تلك الأهداف العظيمة من القصص: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ

لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

ومع عظمة الأداء ودقة العرض للقصة في القرآن الكريم ومع ما فيها من خالص النظر الفني؛ فإن الكتّاب لم يستلهموا منه فكرة يوجهون بها أشكال النثر الفني الذي يفتح مجالات الفن القصصي "ولو أنّ أدباء الفصحى من العرب القدامى تنبهوا لما في القران الكريم من الجمال القصصي ما يعد أساسًا لفنّ القصة لأصبحنا اليوم أساتذة لهذا الفن الروائي"[2] "ولاستفدنا منه كما استفاد الفرس من قصص القرآن الكريم وبرعوا في القصص الفلسفية"[3]، ولكن أُستبدِل الذي هو خير بالذي هو أدنى، واستبدِل القَصص الحقّ الذي يرسم المنهج القويم للمسلم في الدين والدنيا بالقصص المستورد من بلاد الكفر ليرسم طريقا مزيفا باسم الفن، وهذا هو حجر الضب.

**أهمية دراسة القصة في القرآن الكريم:**

اهتم الأدباء كثيرا بالقصة الأدبية وتناولوها من عدة جوانب وقتلوها بحثا وتنقيبا ودراسة، فكان من الأجدر والأولى تناول القصة القرآنية ودراستها والاهتمام بها كونها وردت منسوبة إلى ربّ العزّة والجلالة في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[4].

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أنْ يقصّ على الناس ما أوحي إليه من ربه من أخبار الأمم السابقين، فيجب علينا الانصياع إلى أمر الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ وحسن الاستماع والتدبر، يقول الله تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[5].

القصة مَعلم بارز من مَعالم القرآن الكريم لتوضح الحقائق وإزالة الشبهات:﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[6].

---

١ – سورة يوسف، الآية ١١١.

٢ – توفيق الحكيم ، زهرة العمر، ط١ ، دار الشروق، مصر، ٢٠٠٤م، ص ١٤.

٣ – محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٢م، ص، ٥٣٨.

٤ – سورة يوسف الآية ٣.

٥ – سورة الأعراف من الآية ١٧٦.

٦ – سورة النمل الآية ٧٦.

والَقصُّ بالمفهوم العام كان من مهمات الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾[1].

حياة الأنبياء هي محور القصص، وهم موضع القدوة والأسوة ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[2].

---

١ – سورة الأنعام الآية ١٣٠.

٢ – سورة الأنعام الآية ٨٩ – ٩٠ .

**المطلب الثاني: عناصر القصة في القرآن الكريم وخصائصها:**

لقد سايرت القصة القرآنية مراحل الدعوة الإسلامية، وواءمت الأحداث والمواقف وبرزت عناصرها حسب الضرورة الفنية والموضوعية؛ بما يخدم الحدث والمرحلة والموقف في الدعوة "فلذلك إنّ عناصر القصة القرآنية لا نجدها مجتمعة ولا موزعة توزيعا يجعل لكلٍّ منها دور"[1]، ويمكن تقسم عناصر القصص القرآني إلى العناصر التي تتألف منها القصة الأدبية والتي تشتمل على الأحداث الشخصيات والمغزى والزمان والمكان والحوار والحبكة الفنية، وكما ذكرنا إنّ القصص القرآني ليس الهدف منه الإمتاع إنما يهدف في المقام الأول إلى تبليغ الدين بطرق تربوية، كما مرّ بنا في أهداف القصة القرآنية؛ فلذلك نراه يعتمد على الأحداث أكثر مما يعتمد على الأشخاص، ولا يميل إلى الحكاية وسردها مع الإمعان في الخيال؛ لأنّ الحكاية تدل على المحاكاة المماثلة للحدث، فالقرآن الكريم لم يتخذ هذا الأسلوب؛ لأنّه لم يأتِ بشيء فيه خيال وإنما هو الحق، أما الأشخاص فيكتفي بذكر الصفات الخُلُقية، وقد يلمح إلى ذكر بعض الصفات الخَلْقية لخدمة الغرض الأساس منه، كما جاء في وصف طالوت في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ المُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ المَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]، وبعض الأشخاص من لم يصرح بذكر أسمائهم فيكتفي بصفاتهم ويعمد إلى التنكير مثل:( رجل) في قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾[3]، ورجل هنا من عامة الناس، وكلمة (عبد) في قوله تعالى:﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً ﴾[4]،

---

١ – محمد قطب عبد العال ، نظرات في قصص القرآن الكريم، سلسلة دعوة الحق تصدرها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، العدد ١٢٢، صفر ١٩٩٢، ص١١٤.

٢ – سورة البقرة الآية ٢٤٧.

٣ – سورة يس الآية ٢٠.

٤ – سورة الكهف الآية ٦٥ .

والعبد هنا الرجل الصالح والعابد لله، أما كلمة (فتى) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾[1]، فجاء فتى بالتنكير.

ويمكن تناول كل عنصر من العناصر وتحليلها كما وردت في ثنايا آيات الذكر الحكيم بشيء من التفصيل:

**الحدث في القصة القرآنية:**

تصوير الأحداث في القصص القرآني يحيل المواقف البشرية والإنسانية إلى مشاهد حيّة كاملة؛ حيث تتبدى فيها الحركة الظاهرة والانفعالات المستترة فتمتزجان امتزاجا كاملا؛ بحيث لا نستطيع أن نفصل بينهما ليبدو في النهاية مشهدا حيّا معروضا بكل أبعاده أمام عيون المتلقين، كما إنّ الأحداث في القصص القرآني لا تنقل بطريقة سردية إخبارية لتزودنا بالمعلومات فحسب؛ بل تنقل بطريقة تصويرية يتجلى فيها دقة التعبير وجمال الأسلوب، ولا نستطيع أن نفصل المواقف والمشاهد عن العواطف والانفعالات؛ بل هي استجابة لهذه المواقف، ولا نملك إلا أن نسوق بعض النماذج لتوضيح ما ذهبنا إليه، فهذه قصة مريم التي تبدأ بداية طبيعية تصور مريم عليها السلام، تلك الفتاة العذراء الطاهرة المعتكفة العابدة، وفجأة يظهر أمامها ملك في هيئة رجل؛ مما يحول هدوءها إلى انفعال، ويزداد تعقيدا بعد أن يخبرها بأنه مرسل ليهب لها غلاما، وهي التي لم يمسسها رجل قط، فتقبلت حكم الله ولكنها آثرت أن تبتعد عن أعين الناس خوفا من الخوض في سيرتها بطبيعتها البشرية، ثم تنقلنا الأحداث إلى ساعة المخاض متجاوزة فترة الحمل وما يصاحبها من آلام وهي بمفردها، حتى تصل الأحداث إلى ذروتها ساعة الولادة، تمنت الموت دون هذه اللحظة، وهي في غمرة الآلام تفكر في ماذا تقول لأهلها، حتى ناداها وليدها ألّا تحزن ولا ترد على أحد. مشهد درامي حافل بالصراع بكل أنواعه صراع الخوف والقلق والاضطراب النفسي والرغبة، فقد امتزجت كل هذه الصراعات لتعطي المشهد قوته.

ولا أحد ينكر امتزاج الأحداث بالانفعالات في قصة سيدنا يوسف عليه السلام التي بدئت برؤيا وانتهت بتفسير هذه الرؤيا بعد رحلة طويلة مليئة بالمعاناة والمشقة

---

١ – سورة الكهف الآية ٦٠.

تحفها المخاطر من كل الجهات، نراه وحيدا في غيابات الجبّ، ثم يتعرض لفتنة قاسية تقوده إلى السجن، حتى انتهى به المطاف مسؤولا عن خزائن مصر، ثم يأتي بأهله من البادية إلى القصر الملكي في نقلة نوعية ومشهد مؤثر تتلاحق فيه الأنفاس وتسد الحلوق فتعبر عنها العيون بزفرات من الدمع.

من الأحداث التي تعرضها علينا القصة القرآنية هي من نوع الأحداث التي تسير وفقًا للتدبير الرباني والإشراف الإلهي المباشرين نحو غاية معينة، ولذلك فلا عجب أن يتدخل الإمداد الغيبي واللطف الإلهي في تسيير الكثير من حوادثها وسوقها باتجاه معين يخدم الرسالة والدعوة الإلهية، وعلى هذا الأساس ويرى الباحث أنّ العنصر الغيبي في القصة القرآنية تدخل في تشكيل الأحداث وتغييرها وأحيانًا قلبها رأسًا على عقب، وعادة ما يكون هذا (العامل الغيبي) مصحوبًا بعنصر المفاجأة سواء أكان متمثلاً في عذاب الكفار أم إمداد ولطف أم معجزة خارقة، وهذا الطابع الفجائي يكاد يكون ملاصقًا للعامل الغيبي غير منفك عنه، فالعذاب قد يحدث بغتة، كما صرحت بذلك الآيات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[1]، واللطف الإلهي المنقذ لأنبيائه وأتباعهم لا ينزل إلا عندما تبلغ القلوب الحناجر وعندما يوشك المؤمنون على اليأس، ونريد بالطابع الفجائي للعامل الغيبي دلالة الظروف والملابسات المادية الظاهرية كلها على نتيجة معينة لابد – حسب المعادلات المادية – من أن تنتهي إليها وفي غمرة هذه التوقعات يتدخل العامل الغيبي ليقلب مجرى الأحداث قلباً جذرياً أو ليغير اتجاهها، وفي قصة موسى عليه السلام يتجسد هذا العامل بتلك المواصفات: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾[2]، المعادلات المادية ترسمها عبارة (إنا لمدركون)، والعامل الغيبي غير المتوقع يتمثل في نزول الوحي الإلهي بغتة بالنسبة لبني إسرائيل على سيدنا موسى عليه السلام في تلك الظروف

---

١ – سورة الأنعام، الآية ٤٤.

٢ – سورة الشعراء، الآية ٦٣.

العصيبة حاملاً البشرى بالخلاص ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾، وهكذا تتغير مجريات الأحداث بتدخل هذا العامل الغيبي بل تسير في اتجاه معاكس، فالشواهد المادية تقتضي أن يُدرك موسى وأتباعه، ومعنى تصفيتهم تصفية كاملة وانتصار فرعون وجنوده، ولكن العامل الغيبي جاء ليقلب هذه النتيجة لتسير في اتجاه معاكس تماماً. هذا فيما يتعلق بالإمداد الغيبي، أما فيما يتعلق بالعذاب فالأمثلة والشواهد كثيرة، ويمكن أن تكون معظم العذابات التي نزلت على الأمم التي كذبت الرسل وآذتهم شاهداً على عنصر المفاجأة في العامل الغيبي، كما جاء في قصة صاحب الجنتين وموقفه مع صاحبه الفقير تجاه نعم الله تعالى، فإنّ هذا الموقف المصور بأبعاده ومناظره وحواره يبين الغرور الذي يصيب أصحاب الثراء والغنى من الكفرة الجاحدين بنعم الله الكثيرة، أما الصاحب الآخر الفقير الذي لا مال له ولا نفر ولا جنة ولا ثمر فهو معتز بعقيدته وإيمانه ثم ينكر على صاحبه الغنى ويذكره بمنشئه المهين من الطين ويوجهه إلى وجوب الحمد والشكر وينذره العاقبة السيئة لجحوده وكبره بزوال النعمة إن لم يحمد الله؛ بل ستنقلب الأحوال، كل ذلك في حوار ساخن بين الرجلين وتنامي أحداث حتى ينتهي الحوار بينهما بنتيجة مفاجئة وهي زوال النعمة بالفعل بقوله تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾[1]. يستطيع المتلقي من خلالها أن يسدّ الفجوة بين الأحداث بما يتخيلها بعد أن تحقق فيها عنصر التشويق من خلال حذف بعض الجمل. فالقصة من منظار مادي لا بدّ أن يدخل في حساباته العوامل الغيبية ولابد وأن تنتهي بإثراء صاحب الجنتين ثراءً فاحشاً بعد أن أنتجت الجنتان ذلك المحصول الوافر الذي بلغ من الضخامة حداً دفع صاحبه إلى أن يستشعر في نفسه الغرور والاستغناء عن الله تعالى، ولكن القدرة الإلهية تأتي كالعادة لتقلب مجرى الأحداث ولتوصلها إلى نتيجة مباغتة عكسية، إنها الفقر المدقع والشعور القاتل بالندم، ولعل هذا العنصر المفاجئ الذي تتميز به القصة القرآنية هو من أكثر العناصر جذباً للقارئ وشدًّا لانتباهه، فالقارئ عندما يتلو مثل هذه الآيات القرآنية التي تفاجئه بدخول القدرة الإلهية إلى ساحة الأحداث يستيقظ في نفسه ذلك

---

١ – سورة الكهف، الآية ٤٢ .

الشعور الذي يلازمه دائماً وهو يتابع القصص القرني ألا وهو اليقين من واقعية الأحداث وصدقها ووقوعها فعلاً، مثل هذا الشعور من شأنه أن يجذب القارئ إلى أحداث القصة إلى أبعد الحدود، كما من شأنه أيضاً أن يمنح الأحداث حركة عنيفة ويملؤها بالصراع والحركة التي تخرج الأحداث من حالة الرتابة والروتين، والحقيقة أن هذه الميزة التي تنفرد بها القصة القرآنية دون منازع تعد من إعجاز القرآن الكريم التعبيري، فهو يجمع بين الواقعية والإثارة ومثل هذه الميزة لا يمكن أن يصنعها أيّ قاص دون أن يضطر إلى إضافة بعض المبالغات إلى أحداث عمله القصصي، وقد تصدق على القصة البشرية نتيجة لذلك الشعور الذي يلازم قارِئَها وهو يتنقل بين صفحاتها ألا وهو الإحساس بأن القصة ليست واقعية تماماً وأن بعض أحداثها من نسج خيال الكاتب ومن ضمنها العناصر الفجائية التي تقلب مجرى الأحداث؛ ولذلك فإنّ على الكاتب أن يكون حذرًا جدًا في اختيار نوعية تلك العناصر وإلا حدثت تلك المفارقات التي من الممكن أن تؤدي إلى فشل عمله القصصي، ويقول سعيد عبد العظيم في كتابه عظات وعبر في قصص الأنبياء: " أما القصة القرآنية فقد جمعت بإعجاز وبراعة بين الواقعية المحضة وبين عامل الشد والإثارة، ومثل هذا الجمع هو من شأن الإعجاز البلاغي القرآني وحسب، ولا يمكن أن نطلق عليه مفارقات مطلقاً؛ لأنها تمثل قصصاً حقيقية حدثت بالفعل؛ ولذلك فإنّها لا تتضمن أية مفارقة أساساً لأن المفارقة هي وليدة الاختلاق والافتعال"[1].

النوع الآخر من العناصر الغيبية التي تنفرد بها القصة القرآنية هو عنصر المعجزات والآيات، فهو عنصر واقعي حدث فعلاً وأبرزته القصة القرآنية لعرض الواقع وخدمة أهداف الدعوة الإلهية، ولعل أفضل مثال يمكن أن نضربه في هذا المجال تلك المنازلة التي حدثت بين موسى عليه السلام وبين سحرة مصر، والتي جرت أمام فرعون وأمام تلك الجموع الغفيرة من الناس، والأمر الذي يزيد من تواجد عنصر الإثارة والتشويق والشدّ فيها أنها تهيئ نفس القارئ منذ البدء إلى الانجذاب إلى القصة ومتابعة أحداثها من خلال ذلك التحدي الذي يجابه به فرعون موسى– عليه السلام – بعد أن يريه الأخير الآيات التي بعث بها، ومن خلال تعيين موسى– عليه

١– سعيد عبد العظيم، عظات وعبر في قصص الأنبياء، ط١، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص٤٢.

السلام – لزمان المنازلة ومكانها وتأكيده على أن تكون هذه المنازلة على رؤوس الأشهاد، في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَاناً سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾١، ولا يلبث التصوير القرآني أن ينقلنا إلى ساحة الحدث في الوقت المناسب عندما تكون العيون متطلعة، والأذهان مشدودة، والنفوس ملؤها الترقب والتطلع إلى ما سيحدث من تلك الأعمال الخارقة في تلك الساحة المطوقة بمئات العيون المحملقة في فضول: ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى * قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى * فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى * قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾٢ وهكذا نرى أن العامل الغيبي يضع القصة القرآنية في مكان متميز متفرد، فهي واقعية لا تنفك عنها، في نفس الوقت الذي تتضمن فيه القوى والعوامل الغيبية، وتتجسد فيه هذه القوى والعوامل ألطاف أو معجزات أو آيات خلافاً للقصص الأدبية التي لا تدخل في تركيبتها وتوظيفها هذا النوع من العناصر؛ لذلك فإنّنا ننظر إلى القصص الأدبية دائماً بعين الريبة والشك، ولا تكاد فكرة الأساطير والمبالغات والخرافات تفارقنا ونحن نتابع أحداثها؛ بل إنّ مثل هذا التوظيف الذي هو بأمسّ الحاجة إلى ذكاء ومهارة وبراعة لا يمكن أن يتوفر إلا في البلاغة القرآنية، قد ينقلب وبالاً على العمل القصصي فيكون أشبه بخدع سينمائية يسخر الإنسان منه.

---

١ – سورة طه، الآية ( ٥٧–٥٩).

٢ – سورة طه ، الآية ( ٦٠–٧٠).

**الشخصيات في القصة القرآنية:**

الشخصية هي المحور الذي تدور حوله الأحداث وتشرك مع غيرها في بناء القصة فتحدد هذا من خلال العرض القصصي وتتحدد الأدوار التي تتوزع على شخصيات العمل سواء أكانت محورية أم ثانوية " يصنعون بمواقفهم أمثلة قصصية يضرب بها المثل في معان كريمة وقيم فاضلة أو أخلاق فاسدة وقيم منحطة "[1].

ومن أهم مميزات البناء القصصي فيما يتصل بالشخصية كعنصر بنائي هو وضعها في مواضع تتجدد مع المسار القصصي؛ ليندفع إلى النمو ويبدو كما لو كان مشهدا مباشرا؛ مما يجعله يتجاوب معها في حالاتها الانفعالية المتعددة من خوف وترقب وشوق ويأس وغيرها، فالمتتبع لقصة سيدنا يوسف عليه السلام يجد كل هذه الأحاسيس، كما تتميز الشخصية في القرآن الكريم بالثبات الدائم فشخصية موسى عليه السلام تحتفظ دائما بنفس الخصائص ونفس الشيء يمكن قوله بالنسبة لشخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام، فالقرآن الكريم يتحدث عن كل الشخصيات المؤمنة بنفس الطريقة وكأنها شخص واحد فلا نكاد نشعر بأي فرق بين خصائص الأنبياء مثلا رغم أنه يصف كل واحد منهم بميزاته، ففي سورة الأنبياء حيث يتحدث القرآن عن الأنبياء مخصصا كل منهم بميزاته، غير أننا لا نشعر إلا بوحدتهم وكأنهم شخص واحد يصفه القرآن في كل مرة بوصف معين، كما أنّ الكفار والمنافقين رغم تعددهم في القصص القرآني فإننا أيضا لا نكاد نشعر بأي فرق بينهم وهذا راجع إلى أن القرآن يعطي الأهمية البالغة لميزة أخرى وهي الإيمان والكفر– كما سبق وأشرنا – فهو يصنف الشخصيات على هذا الأساس وحده ولا يميز بينها وفق التفاصيل، ولهذا تجئ الشخصيات المؤمنة كلها وكأنها متشابهة خاصة بثناء القرآن عليها ووضعها في نفس الدرجة؛ مما يجعلها محبوبة لدى القارئ، أما الكفار والمنافقون فلتشنيع القرآن عليهم يستفزنا هذا التشنيع وحده ولا تبقى التفاصيل الأخرى في أذهاننا حتى ولو كانت مذكورة، وهذا من الإعجاز القرآني إذ يبقى كتاب هداية وكل ما فيه موضوع لهذا الغرض والقصة نفسها لا تهدف إلا إلى الهداية.

---

١ – محمد قطب عبد العال ، نظرات في قصص القرآن الكريم، مصدر سابق، ص٥٧ .

## أنواع الشخصيات التي تدور حولها قصص القرآن الكريم:

وإذا تأملنا دور الشخصيات نجدها موزعة بين شخصيات رئيسة وشخصيات ثانوية وأخرى هامشية، أما الرئيسة فهي التي تسهم في صنع الأحداث أو تدور حولها، كالأنبياء صلوات الله عليهم وفرعون وهامان وقارون، أما الشخصيات الثانوية فإنها ذات دور محدد لا يتكرر ظهورها كثيرا كالملائكة الكرام وشيخ مدين وفتى موسى عليه السلام وصاحبي يوسف عليه السلام في السجن ومنها امرأة فرعون والجنّ في قصة سليمان عليه السلام وإبليس، أما الشخصيات الهامشية فهي التي لا نكاد نتبيّن ملامحها ولا نرى لها دورا بارزا في مجريات القصة ولكنها تمثل خلفية للمشاهد وجزءًا من البيئة التي فيها الأحداث، منها الرعاة في مدين في قصة موسى عليه السلام والسحرة وأصحاب السفينة، "وإذا نظرنا إلى القصة في القرآن الكريم نظرة مدققة فإننا نجد أنفسنا أمام عدد كبير من الشخصيات منها ما ينتمي إلى عالم الغيب كالملائكة رضوان الله عليهم، لهم حضور ومشاركة في بعض قصص القرآن الكريم وقد يتجسدون في صور بشرية، ومنها ما ينتمي إلى عالم المشاهدة".[1] ومن هذه الشخصيات :

## الشخصيات البشرية:

## الرسل والأنبياء عليهم السلام:

حفِلَ القرآنُ الكريمُ بحياة الأنبياء عليهم السلام ما لم يحفل بغيرهم، هم الذين حملوا الرسالة، لم يكن هذا من قبيل تخليدهم على مرّ الزمن ولا من أجل السرد القصصي المجرد الذي لا يهدف إلى شيء؛ إنما لتبليغ هذه الرسالة، فجاءت قصصهم عبرة وأخبارهم تنبيه وسيرتهم قدوة ، ومنهم من وردت أسماؤهم في القرآن الكريم وقد أحصاهم العلماء، وهم خمسة وعشرون نبيّا ورسولا، ومنهم من لم يرد اسمه ولكن تحدّث عنهم وأورد أخبارهم.

## شخصيات ليسوا بأنبياء:

تضمنت القصة القرآنية قصص أشخاصٍ ليسوا بأنبياء ولا رسل وهؤلاء الأشخاص الذين ذُكروا في القرآن الكريم هم على أربعة أصناف:

---

١ – محمد قطب عبد العال ، نظرات في قصص القرآن الكريم، مصدر سابق، ص٣٧ .

رجال صالحون:

وهؤلاء ممن كانت لهم سيرة حسنة تعطرت بهم الأرض وساروا في طريق الأنبياء والمرسلين وصبروا على ما أوذوا في سبيل نصرة الحق، وإيراد قصصهم ليكونوا قدوة لمن يسير في هذا الطريق وأن يثبتوا على الطريق مهما اعترضهم من متاعب ومنهم لقمان الحكيم وذو القرنين العبد الصالح وفتى موسى عليه السلام ومؤمن آل فرعون والرجل الذي كان يحاور صاحب الجنتين وفتية الكهف.

نساء صالحات :

عرضت قصص القرآن الكريم نساء مؤمنات مثل امرأة فرعون ومريم بنة عمران التي أحصنت فرجها وأمها التي نذرت ما في بطنها لله تعالى وابنتا شعيب وأخت سيدنا موسى عليه السلام، فمثل هؤلاء يذكرون لتبجيل أعمالهم وأقوالهم ليكونوا قدوة للناس.

رجال كفار:

تضمنت القصة أيضا بعض الشخصيات الكافرة التي كان لها دور في الإفساد في الأرض وظلم الآخرين وصدهم عن هداية الله التي جاء بها الأنبياء والمرسلون والقصد منها نقد أعمالهم وتصرفاتهم والتحذير مما وقع بهم بسبب سوء تصرفهم، وممن ذكر من هؤلاء الأشخاص فرعون وهامان، وصاحب الجنة الذي غرته جنتاه فتكبر على الله تعالى، ويأجوج ومأجوج، فمثل هؤلاء يذكرون ليعتبر الناس بهم ويحذروا أن يسيروا في دربهم وينحوا منحاهم

نساء كافرات:

يتألف المجتمع من رجال ونساء، والنساء شقائق الرجال والله تعالى لن يضيع عمل عامل سواء أكان ذكرا أم أنثى، فقد نقل لنا القرآن الكريم قصص بعض النساء اللائي كان لهن دور في الإفساد والإضلال، ومن هؤلاء امرأة نوح وامرأة لوط اللتين أخبر عنهما القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة التحريم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ

يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾[1]، وامرأة أبي لهب حمالة الحطب كما في سورة المسد.

تنوع شخصيات القصة القرآنية وامتدادها بين عالَمي الغيب والشهادة يدل على قدرة الله على تسيير هذا الكون بمن فيه وما فيه من مخلوقات خفية وظاهرة مؤمنة وكافرة، كما يكشف عن بعض الظواهر كذكر بعض الشخصيات وإغفال البعض الآخر مع ملاحظة أن أسماء الأنبياء أكثر ذكرا من أسماء رؤوس الكفر لعل في هذا تكريما لرهط الأنبياء الذين حملوا الدعوة إلى الله، أما ذكر بعض رؤوس الكفر كفرعون وهامان وقارون وغيرهم فلم يكن مقصودا لذاتهم إنما فيه تشهير بهم واستمطار اللعنات عليهم ليكونوا نماذج للسوء، " فلذلك نجد في القرآن الكريم عددا من الشخصيات التي استُبدِلت أسماؤها صفات لأن ذكرها زيادة لا قيمة لها في البناء القصصي أو الغاية المقصودة "[2].

شخصيات غير بشرية:

الملائكة الكرام:

يُعتبر الملائكة الكرام ضمن شخصيات القرآن الكريم؛ لما لهم تأثير في سير أحداث القصة القرآنية حيث أوكلت لهم أعمال وأسندت عليهم أفعال وأقوال، وكانوا طرفا في حوار مع رب العزة ومع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

شخصية إبليس:

كفى به وصفٌ أنّه محورٌ للشرِّ، ومتفنِّنٌ في فتنةِ البشر، نموذج للضلال ابتداء من رفضه لأوامر الله مرورا بغوايته لسيدنا آدم عليه السلام ثمّ أبنائه من بعده إلى يوم القيامة.

**الحوار في القصة القرآنية:**

الحوار أسلوب من أساليب القول المتعددة في إحداث الحركة وتلوينها في القصة القرآنية، والمستقرئ آيات القرآن الكريم يجد أن في القرآن أسلوبًا متميزًا يسترعي

---

١ – سورة التحريم، الآية (١٠).

٢– مأمون فريز جرّار، خصائص القصّة الإسلامية، مصدر سابق، ص٧٧ .

الانتباه ويلفت الأنظار ويترك للعقول المجال الواسع لاستنباط العبر والعظات وهو الأسلوب الحواري، هناك العديدة من المحاورات التي حفل بها القرآن العظيم والتي جاءت في سور عدة في القرآن الكريم، قد يكون الحوار ذاتيا بين الإنسان ونفسه كمحاورة إبراهيم مع نفسه وهو ينظر إلى القمر والشمس والنجوم والكواكب وهو نوع من أنواع الصراع الداخلي، وقد يكون بين شخصين كحوار إبراهيم مع أبيه، وقد يكون بين الخالق عزّ وجلّ والمخلوق وهذا كثير الورود في القصة القرآنية، كالحوار الذي دار بين ربِّ العزّة جلّ شأنه وكليم الله موسى عليه السلام، وقد يكون بين البشر ونوع آخر من المخلوقات كحوار سيدنا سليمان مع الهدهد، أمّا محاورة الله مع الملائكة فهي طراز يختلف عن سائر المحاورات القرآنية الأخرى، فهي نموذج أعلى للإرشاد والقدوة والتوجيه حيث جعل الله من ذاته معلمًا ومثلًا أعلى يقتدى به، وليس اعتراضا من الملائكة ومحاجة وجدالا، فذلك لا يليق بالله ولا بملائكته فقد وصفهم الله تعالى بأنّهم :﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ولكن القارئ والسامع لهذه الآيات قد يتبادر إلى ذهنه ثمة معارضة من الملائكة لله تعالى على خلقه وقراراته والواقع ليس كذلك؛ بل هو أسلوب تعليمي ليعطي من خلاله لمخلوقاته دروسًا في الشورى التي هي واجب على ولي الأمر." فجعل المولى عزّ وجلّ ذاته طرفًا في الحوار في خلق سيدنا آدم عليه السلام"[1]، في حوار تقريري مباشر وذلك ما أخبر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن خلق سيدنا آدم عليه السلام فيقول رب العزة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[2]، فقد نقل الله سبحانه وتعالى الحوار

---

١- عبد المرضي زكريا، الحوار ورسم الشخصيات في القصص القرآني، ط١، مكتبة زهراء الشرق، بيروت، ١٩٩٧م، ص٣٣.

٢- سورة البقرة الآية (٣٠-٣٣).

الذي دار بينه – ربّ العزة جلّ شأنه – وبين ملائكته إلى نبيه عليه الصلاة والسلام بشأن خلق سيدنا آدم عليه السلام وخليفة الإنسان الأرض وتعميرها ليعبدوا الله تعالى فيها، مع علم الملائكة – كما علّمهم الله تعالى– بطبيعة البشر وميلهم إلى الإفساد وسفك الدماء بجانب الخير، ولكن الله تعالى يعلم ما لا يعلمون، فلك أن تتخيل ما حدث بعد ذلك لسد الفجوة حسبما دلت عليه الآية الكريمة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ*فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1]، فلا ريب عن طريق الحوار تتبادل الشخصيات المواقف وتنمو الأحداث ويحتدم الصراع ويتلون الأسلوب بألوان متعددة وفقا لمقتضى الحال وداعي المقام، فالحوار عن طريق كلماته وجُمَلِهِ يحكي مقولات المتحاورين والمتجادلين من أصحاب الحجة الدامغة مع أصحاب الحجة الواهية لإبراز القوة العقلية الإقناعية المدججة بالحجة الدامغة، فقد تجد الرسل والأنبياء – صلوات وسلامه عليهم– وقد اتفقوا جميعا في الدعوة إلى التوحيد الخالص وإخلاص العبادة لله الواحد الأحد الإيمان باليوم الآخر والحث على التحلي بالأخلاق الحميدة والتحذير من العادات الخبيثة والدنيئة والأخلاق السيئة، ويكشف الحوار عن المغزى الديني العميق، ويتضح ذلك من اتفاق الأنبياء عليهم السلام في مخاطبة أقوامهم بعبارة ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [2]. " محاولين الاستفادة من كل المؤثرات النفسية لكسب مشاعر من يخاطبهم واستمالة قلوبهم مع عدم قطع الصلة بين الأنبياء وأقوامهم "[3]. نموذج آخر للحوار في قصص القرآن الكريم ما دار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين أبيه وقومه الذين يستنكفون عن عبادة ما كان عليه آباؤهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ* قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ

---

١ – سورة الحجر الآية ( ٢٨ –٢٩ ).

٢ – سورة هود الآية (٥٠،٦١،٨٤) وسورة الأعراف الآية(٨٥، ٧٣، ٦٥، ٥٩) والمؤمنون الآية٢٣.

٣ – عبد المرضي زكريا، الحوار ورسم الشخصيات في القصص القرآني، ص٣٨.

الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[1]، الذي قارعهم الحجة الدامغة من موقف ثابت معتمدا على منطق العقل مما جعلهم يتراجعون ولكنهم معاندون ومكابرون ولم يقبلوا البرهان والحجة وأصروا على تعنتهم وحكموا على سيدنا إبراهيم بالموت حرقا، وفي موضع آخر يستعمل سيدنا إبراهيم عليه السلام الحجة والعقل في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2]، وهكذا منطق سيدنا إبراهيم عليه السلام في دعوته إلى الله تعالى فيه " منطق الحوار والبرهان والحجة وإنها الشرائط الأساسية لبنية الصراع مع الكفر حيث لا يبقى مجال للنصيحة والموعظة والدعوة"[3]. فلقد تعدد وتنوعت أشكال الحوار في القرءان الكريم، ونحن في هذه الدراسة يصعب علينا حصرها كلها وإيراد شواهدها من الآيات الكريمة؛ لكن سنورد بعضًا من أشكال الحوار التي جاءت في القرآن الكريم، وهي كما يلي:

حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة الكرام، كما في قصة خلق آدم عليه السلام.

حوار الله سبحانه وتعالى مع الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

حوار الله سبحانه وتعالى مع إبليس عليه لعنة الله، كما في قصة السجود لآدم عليه السلام.

حوار الله سبحانه وتعالى مع الأقوام عن طريق الرسل، كما في حوار سيدنا موسى عليه السلام مع بني إسرائيل بشأن البقرة.

حوار الله مع الإنسان كإنسان ( كالذي مرّ على قرية وهي خاوية).

---

١ – سورة الشعراء الآية ( ٦٩ – ٨٢ ).

٢ – سورة البقرة الآية ٢٥٨

٣ – محمد حسن يزبك، مجلة المعارج، المجلد الثاني، العددان الثالث عشر والرابع عشر، ١٩٩٢، بيروت، المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية، ص٤٦.

حوار الإنسان مع الإنسان، كما في حوار سيدنا نوح عليه السلام مع ابنه وأصحاب الجنة.

حوار الرسل مع أقوامهم والشواهد كثيرة في آيات الذكر الحكيم.

حوار الإنسان مع المخلوقات الأخرى كالهدهد والنمل في (قصة سيدنا سليمان عليه السلام).

حوار الأنبياء مع الطغاة والحكام والجبابرة من أقوامهم.

حوار أهل الجنة والنار.

حوار الإنسان مع الجماد، مثل حوار الإنسان مع أعضائه التي تشهد عليه وتنطق يوم القيامة.

إنّ مفهومَ الحوار يعتبر من المفاهيم الأكثر رقيّا في التعامل بين البشر، وفيها من القيم الجمالية ما يمكن أن يكون لها أثر واضح وجلي في تدعيم الحياة بين بني البشر؛ وذلك لأنّ "الحوار أسلوب من الأساليب التي تُظهر الحقّ واضحًا للناس الذين لا يعتمدون على حجج ثابتة معقولة على ما يذهبون إليه وعلى من يدينون به ويرغمون غيرهم على ذلك لا بالحجة ولكن بالعصا واستعمال القوة"[1].

**الزمان والمكان في القصة القرآنية:**

من المعلوم أن القرآن الكريم لا يحده مكان ولا زمان، وللأهداف التي سقناها آنفا ندرك أن القرآن لا يهتم بالمكان والزمان؛ حيث أنه يصلح لكل أوان، والقصص القرآني كله إنما هو تعبير واضح عن أحداث ظهرت في الأفق منذ زمن بعيد موغل في القدم ولم يكن يُعنى بتحديد ذلك الزمن بقدر ما يُعنى بتحديد الحدث تحديدا تامّا في ميدان العظة والعبرة؛ إذ ليس القرآن الكريم كتاب تاريخ، غير أن لكل قصة زمنا خاصا يتحرك دائما للأمام حسب التدرج الطبيعي للأحداث فيظهر الزمن حيث يتطلبه الموقف، ففي قصة سيدنا نوح عليه السلام – مثلا – لم يحدد بدء البعثة ولكن حدد مدتها بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ

١ – محمد ناجي مشرح، الآفاق الفنية في القصة القرآنية، مصدر سابق، ص ٨٠.

خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[1]. وهو يدعو قومه إذ لا يهم متى كانت هذه الدعوة ولكننا يهمنا أن نعرف كم من الزمن استغرقت لنحدد مدى صبر الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، وفي قصة أهل الكهف حدد الزمن الذي استغرقه الفتية وهم نائمون، وكذلك في قصة سيدنا يوسف عليه السلام عنيت بالترتيب الزمني الدقيق منذ الرؤية التي قصّها على والده، ثم بدأت الغَيرة تنشأ في صدور إخوته وتحركت فيهم نوازع الشر وابتدأوا ينفذون خطتهم إلى آخر القصة، غير أنها تتعرض لتحديد الزمن أحيانا كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاؤُوْا أَبَاْهُمْ عِشَاءً يَبْكُوْنَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين ﴾، وفي قصة سيدنا عيسى عليه السلام نرى تسلسل الزمن إلى الأمام ابتداء من الاصطفاء الأول إلى ولادة مريم عليها السلام إلى خدمتها في المحراب إلى بشارتها بعيسى عليه السلام ثم ولادته، وغير ذلك من قصص القرآن الكريم.

أما المكان في القصة القرآنية فهو وعاء للحدث لا يظهر إلا إذا كان له كبير الأثر في استصحاب الحدث كما في قصة الإسراء والمعراج حيث حدّد المكان صراحة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لأنّ لهما وضعا خاصا كما ذكر الزمن ليلا حيث ينام جميع الخلائق، وكذلك ذكر مكة والمدينة ومدين ومصر والأحقاف والطور الأيمن وطور سينين وغيرها من الأماكن لما لها من خاصية، أما إذا لم يكن للمكان خاصية تجعل له وضعا منفردا فلا يُعبأ به، كقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾، فلم يحدد القرية ولا المدينة لعدم أهميتهما حيث لا يتعلق غرض بذكر مكانهما إنما المهم هو الحدث.

---

١ – سورة العنكبوت، الآية١٤.

٢ – سورة النحل، الآية ١١٢.

**المعالجة الفنية ( الحبكة ) في القصة القرآنية:**

اختلف الباحثون والدارسون وتباينت آراؤهم حول اشتمال القصة القرآنية على المنهج الفني، فبعضهم يرى " أنّ القصة القرآنية تبتعد عن المنهج الفني للقصة الأدبية وتقوم على أسس مغايرة تماما عما تعارف عليه وأنها أخبار وأنباء تصب كلها في خدمة الغرض الديني، والبعض الآخر يقرر اشتمالها على عناصر القصة الفنية وتأسيسها على أعلى مقوماتها حتى تؤدي غرضها المقصود"[١]، والبعض يتحفظ في أحكامه فيتخذون منهجا وسطا ويرون أن في القرآن قصةً لكنها شيء مختلف عن القصة الأدبية ولا يقصد بها العمل الفني المجرد على اعتبار أنّ الفن محاكاة للواقع؛ إذ لا يجوز أن نسمي شيئا من القرآن محاكاةً كما نسمي أعمال البشر إلاّ نكن كمن يُخضع كلام الله سبحانه وتعالى لنقد البشر؛ لأن القصة القرآنية لها طبيعتها الخاصة وبناؤها المتميز الذي يفرقها عن غيرها؛ حيث لا نستطيع أن نعقد مجرد مقارنة بينها وبين القصة الأدبية التي في وادٍ آخرَ انطلاقا من أنّ القرآن الكريم في المقام الأول كتاب دعوة دينية ودستور كامل متكامل للحياة البشرية في مختلف جوانبها الروحية والمادية.

فالقارئ القرآن الكريم بتمعن والمتدبر آياته بقلبه وفكره إذا تتبع قصص القرآن الكريم يجدُ التناسق التام بين أحداثه، فلن تجدَ اختلالا في بنية القصة من حيث التقديم والتأخير والزيادة والنقصان وتنامي الأحداث والترتيب الزمني إلا ما يفيد الناحية الفنية في القصة القرآنية ، يكفي أنك ما أن تقرأ القرآن وتتدبر آياته جيدا حتى تجد نفسك سابحا في بحر من الأحداث تشدك إلى الأعماق لتستزيد، وكلما انجلى حدث تعلق بغيره وأنت تتابع، فنجد ذلك جليّا في سورة يوسف وسورة إبراهيم وقصة مريم وقصة سيدنا موسى عليهم السلام.

---

١ – محمد بن إسحاق، المبتدأ في قصص الأنبياء، مصدر سابق، ص٢٤.

**المغزى في قصص القرآن الكريم:**

لم تكن القصة في القرآن الكريم هدفا في حدّ ذاتها بقصد إمتاع القارئ، حاشا لله أن يكون قاصّا، ولكن كل قصة أقصيرة كانت أم طويلة تحمل في ثناياها من العظات والعبر لو أخذ بها كل مسلم لنجا من عذاب جهنم، فكل قصة لها مغزى يحتاجه الفرد في حياته في العبادات والمعاملات تنطلق منه القصة لتوصل الهدف أو الغاية منها، " فمعظم القصص في القرآن الكريم تبدأ بإشارة مقتضبة ثم تطول شيئا فشيئا لتعرض حلقات كثيرة في مجموعها جسم القصة حتى إذا استوفت حلقاتها عادت الإشارات"[1] فيما يؤدي الغرض المقصود، فلذلك نجد أن مغزى القصة ديني بحت.

ولما كانت القصة في القرآن الكريم تهدف إلى مقاصد دينية وإيمانية كانت طريقة القصّ فيه متميزة عن المألوف في هذا الفن؛ لكي يلائم أسلوب القصة مع الوفاء بحقّ الغرض الذي سيقت من أجله، ومن أبرز سمات المنهج القرآني استخراج التوجيهات والعظات والدروس التي تأتي بها القصة كما جاء في قصة لقمان في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم﴾[2].

**خصائص القَصَص القرآنيّ:**

للقصة في القرآن الكريم خصائص ومميزات فريدة يعلو بها جلالةً وقداسةً، ويزداد بها بلاغة وإعجازًا، ويعظم بها أهمية وتأثيرًا فتمكنها من الاستحواذ على ذهن القارئ بسهولة شديدة وتمنحه إحساسا خالصا بها فيلج إليها دون عوائق ويقع في أسرها بسرعة وهي لا تزال مسيطرة عليه؛ حتى يبدو الأمر أشبه بتجربة ذهنية أكثر منه تلاوة عادية، ونحن بصدد محاولة لاستخلاص بعض هذه الخصائص، فمن الصعوبة التعرف على أسرار القرآن؛ لأنه كلام الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من

---

١- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، مصدر سابق، ص ١٥٦.

٢- سورة لقمان، الآية ١٣.

بين يديه ولا من خلفه، وبهذه الخصائص استحقّ أن يُوسَم بأحسن القصص كما في قوله تعالى:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِين ﴾[1].

**فمن تلك الخصائص:**

١/ التفصيل والإجمال في قصص القرآن الكريم:

لمّا كان للقصة في القرآن الكريم ذلك الدور الأسمى فقد اعتنى بها كثير من العلماء والمفسرين، فكتبوا فيها كتبا ففاضت أقلامهم ووسعوا خيالهم في تفسيرها فاعتمدوا روايات مختلفة وزادوا أشياء لم يدرجها القرآن بين ثناياه لاعتبارها لا تخدم ذلك الهدف بشيء؛ مما أدى إلى حشو في الكلام والزيادة والتطويل دون معنى، فالقرآن يفصّل إذا اقتضى الأمر فنجده يفرد سورة كاملة لقصة واحدة مثل قصة يوسف عليه السلام لأن نهايتها مبنية على بدايتها وبتتبع مختلف لتلك المراحل والأحداث التي مرّ عبرها؛ وذلك لبيان قدرة الله تعالى وعنايته ونفاذ إرادته، وقصة موسى عليه السلام مع فرعون من أكثر القصص المذكورة في القرآن الكريم في سياقات متعددة وسور مختلفة، هاتان القصتان تعتبران نموذجين للصراع القائم بين الخير والشر، فموسى عليه السلام قمة الخير بينما يمثل فرعون في الجهة المقابلة قمة الشر، فجعل القرآن الكريم ذلك مثالا واضحا يذكر به في كل مناسبة يقتضيها السياق بأسلوب متنوع وتصوير مختلف لتذكير الناس بالصراع الدائم بين الخير والشر وضرورة الثبات والتضحية والتمسك بالحق كما كان شأن موسى ويوسف عليهما السلام.

بينما نجد القرآن الكريم في بعض الأحيان يكتفي بآيتين للقصة كلها طاويا المراحل الطويلة بين الأحداث، كقوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[2]، وكذلك مع إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ* إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ

---

١- سورة يوسف، الآية ٣.

٢ - سورة العنكبوت، الآية ١٤.

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]، غير أن قصة نوح وإبراهيم ذكرتا بنوع من التفصيل في سياقات تقتضي ذلك، وأحيانا أخرى يكتفي القرآن بالإشارة إلى عاقبة القوم الذين كذبوا أنبياء الله ورسله إليهم كقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾[2]، وكذلك في قوله: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ* وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾[3]، إلى قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾[4] من هنا يتبين لنا أن القرآن الكريم اتخذ القصة وسيلة لإثبات النبوة وخدمة الأهداف الدينية التي ترتكز على إفراد الله تعالى وحده بالعبادة والتوحيد وللعبرة والاتعاظ من أولئك الذين قص الله علينا قصصهم؛ ولذلك اكتفى بذكر الجوانب التي تصلح لتأدية تلك الأغراض حسب السياقات والمعارض التي تعرض فيها بأسلوب في غاية الفصاحة ولمسة فنية وجمالية يقصدها القرآن قصدا باعتبار أنه يخاطب الوجدان والعاطفة والعقول فيكون التأثير العاطفي سببا وطريقا للتأثير في العقل والقلب، وهذه من أهم الميزات التي يتميز بها القصص القرآني ونادرا ما نجد القصص القرآني ينزل بالوصف إلى الدقائق والتفاصيل؛ بل يرتقي بالوصف دائما إلى ما هو عام ومجرد، ففي مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[5] نجد وصفا دقيقا لحال الغضب التي سيطرت على سيدنا موسى عليه السلام نادرا ما يكرره القرآن في قصصه، وهذا يمنح الوصف قدرة فائقة على احتواء التفاصيل والدقائق الكثيرة وهو يتعالى عنها دوما ويضمها إليه فلا تخرج عن إطاره وهذا هو مفهوم الهيمنة الذي يتميز به القرآن الكريم، فلو تأملنا قصة

---

١ – سورة العنكبوت، الآيتان ١٦– ١٧.

٢ – سورة الفجر، الآية ٨.

٣ – سورة الحاقة، الآيات (٥ – ٨).

٤ – سورة الحاقة، الآيات (٩ – ١٠).

٥ – سورة طه، الآية ٩٤.

سيدنا يوسف عليه السلام لوجدناها تحتوي مقدارا عظيما من هذه التفاصيل، ولكنها في نفس الوقت تحتوي هذه التفاصيل التي لا بدّ منها، فنجد مثلا حياة سيدنا يوسف عليه السلام نفسه والظروف السياسية والاقتصادية التي أحاطت بالحضارة الفرعونية القديمة، وأهم المعايير الاجتماعية والثقافية التي سادت فيها بالإضافة إلى حوادث تاريخية مهمة كالمجاعة والوصف النفسي والاجتماعي لإنسان ذلك العصر، زيادة على كون يوسف حلقة في مسار النبوة والتجربة الإسرائيلية وانفراده بتأويل الأحاديث وغير ذلك من التفاصيل الكثيرة التي أفردتها القصة في وصف بليغ ومعجز وقصير.

فالوصف القرآني يتجه دائما إلى العمومية ليهيمن على التفصيل والزمن والحدث، فيكون الحادث نفسه أو القصة نفسها واقعة ضمنه لا يمكنها أن تخرج عنه ومن المستحيل أن تنقلب هذه الظاهرة فيسيطر التفصيل على الوصف، ولذلك يجيء الخطاب حاملا لنفس الميزة وهي المسافة التي يتركها القرآن بين آيتين أو حدث يتلوه حدث، حيث نجد مثلا أن القرآن ينتقل من حدث الرؤية في قصة سيدنا يوسف إلى المكر من طرف إخوته إلى وصوله إلى مصر في أربع عشرة آية فقط، بينما لو كان لكاتب أن يفعل ذلك لما تمكن إلا في صفحات كثيرة، وهذا يرجع إلى تلك المسافة التي يتركها القرآن بين الأحداث فهو لا يذكرها بالتفصيل؛ بل يهيمن عليها بصورة شاملة حيث يؤدي ذلك إلى تحقيق خاصية العمومية السابقة، فالفجوات بين الآيات والأحداث هي التي تؤدي إلى تحقيق العمومية في القصص القرآني، وهذه الميزة لها أهميتها الخاصة إذ تسمح للذهن القارئ بالتفاعل مع القصة بملء هذه الفراغات بين الآيات والحوادث بتفصيلات عديدة وبحث مستمر فيمكنه أن يتخيل الأحداث بين الحدثين المهمين مما يؤدي به إلى تكوين قصة في ذهنه يفهمها ويُحسُّها، ومجمل التفاسير التي تتعدد أيضا نظرا لوجود هذه الخاصية في القرآن لا تفعل شيئا سوى أنها تؤدي إلى توضيح تلك الصورة أكثر فأكثر.

والفراغ يؤدي إلى أمر آخر وخاصية أخرى مهمة وهي الحرية التي تتميز بها القصة القرآنية وتمنحها للذهن كي يتفاعل مع القصة أو الموضوع بصورة إيجابية، ولو تأملنا القرآن نجد أن هذه الخاصية مبثوثة فيه، فالفراغات في آيات الأحكام مثلا هي التي تمنح للمجتهد والفقيه الحرية والقدرة على استنباط الأحكام منها فالفراغات

هنا ذات طبيعة معرفية تحث الذهن على البحث والمناقشة والاستنتاج لاستصدار حكم معين في المواريث أو الغسل أو الفرائض أو غيرها من الأحكام، أما في القصة فهي ذات طبيعة تخيلية ومعرفية في نفس الوقت تتيح للذهن المشاركة في بناء القصة عن طريق التخيل والبناء خاصة وأن القصة القرآنية لا تفرض نمطا معينا أو تفصيلات معينة فهي تنأى بنفسها عن ذلك إذ لا نجد مثلا شكل اللباس الذي كان عليه في العصر الذي تحدث فيه القصة أو اللغة التي يتحدث بها أناسها أو طريقة تصرفهم أو غير ذلك من التفاصيل التي نجدها في القصة الإنسانية مما يجعل الذهن في حركة دائمة وفاعلة لاستنتاج القصة الكاملة، وبهذا فالذهن الذي تخاطبه القصة القرآنية ليس هو الذهن العاجز المكتفي بما يقال له والقنوع بما هو مطروح عليه، ولكنه الذهن الفاعل المبتكر الذي لا يقنع بما يعطى له بل يغامر في المجهول بحثا عن الهدف والحقيقة.

## ٢/ التكرار الهادف والمعجز في القصة القرآنية:

إن القصة تمثل جزءًا كبيرًا من القرآن الكريم وتحمل كل خصائصه وسِماته العامة منها الإعجاز، فوجوه الإعجاز التي تجدها في سائر القرآن الكريم تجدها في القصص، لكن القصص يزيد على ذلك بوجوه أخرى تميزه عن غيره فمن تلك الوجوه التكرار الهادف حيث تجد في كل موطن من العبر واللطائف والإشارات ما لا تجده في نفس القصة في موطن آخر، فإذا نظرنا في القصة القرآنية من حيث عدد المرّات التي وردت فيها وظهور العناصر الفنية فإننا نجد أنّ هناك قصصًا وردت مرةً واحدة، وفيها عناصر القصة الفنية من شخصية وحدث وزمان ومكان وحوار مكتملة ومستوفية كقصة يوسف عليه السلام وقصة ابني آدم وقصة أصحاب الكهف وقصة صاحب الجنتين وقصة ذي القرنين وقصة أصحاب القرية وقصة أصحاب الجنة. كما نجد قصصاً تكرر ورودها في مواضع مطوّلة وأخرى أقلّ طولاً كقصة سيدنا آدم عليه السلام التي وردت مفصّلة في سورة البقرة[١] وسورة الأعراف[٢] ووردت حلقات

١ – سورة البقرة الآية ٣٠–٣٩.

٢ – سورة الأعراف الآية ١٠–٢٥.

مطولة تكشف عن بعض جوانبها في سورة الحجر[١] الإسراء[٢] وطه[٣] وص[٤] كما وردت إشارات عنها في سورتي آل عمران[٥] والكهف[٦].

والتكرار بمعنى ذكر الشيء مرة بعد مرة وأكثر ما يتحقق في ذلك المفهوم أن يعاد ذكر الشيء بلفظه أو مرادفه من غير أن يكون هناك جديد في الإفادة، وهذا المعنى لا يتحقق في القصص القرآني الكريم.

فالتكرار نوعان: صوري وحقيقي فالأول هو الواقع في القرآن الكريم، لأنّ ظاهره فيه تكرار، ولكن حقيقةً ليس فيه أيُّ تكرار، إنما آيات تروي قصة ما وتعيد القصة لفظًا مع الاختلاف في الغرض والهدف المطلوب، والثاني يستحيل وقوعه في القرآن الكريم وهو التكرار اللفظي والمعنوي الذي لا جديد فيه، ونفي التكرار عن القرآن للإيمان المطلق بأنّه كلام الله عزّ وجلّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليس هذا فحسب؛ بل لا وجود للتكرار أصلا وهذا ما يمليه الإنصاف العلمي، وما لهذه الخصيصة من تميز وظهور فقد أفردنا الحديث عنها لبيان المراد بإطلاق التكرار في القرآن وبيانِ مغازيه وأهدافه التي تزيده سموًا ورفعةً، وبيان تلك الروعة القرآنية ومن العلماء من يقرّ بوجود التكرار في القصة مع تعدد الأغراض، كما يقول عبد الكريم زيدان: " فقد تتكرر القصة الواحدة في القران الكريم ولكن في تكرارها فوائد في كل واحد منها لا توجد في الأخرى من غير تعارض لأنها لما كانت منزلة لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب فلذلك اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب وذكر في بعضها من المعاني ما ليس في البعض الآخر حتى لا تمل للفظها ولا لمعانيها"[٧]، ويقول فهد الرومي: "تعرض القصة ما يلائم موضوع السورة،

---

١ – سورة الحجر الآية ٢٦–٤٤.

٢ – سورة الإسراء الآية ٦١–٦٥.

٣ – سورة طه الآية ١١٥–١٢٧.

٤ – سورة ص الآية ٦٧–٨٥.

٥ – سورة آل عمران الآية ٥٩.

٦ – سورة الكهف الآية ٥٠–٥١.

٧ – عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن الكريم للدعوة والدعاة ، مؤسسة الرسالة ،بيروت،ط١، ١٩٩٨، ج١ ص٦.

فإن هذا يقتضي تكرار عرض القصة في أكثر من سورة سواء أكان عرضا كاملا مختلفا عن العرض الأول أم عرضا جزئيا"[1]، ومن العلماء من ينكر وجود التكرار في القصة القرآنية، ومنهم سيد قطب: "ويحسب أناس أن هناك تكرارا في القصص القرآني لأنّ القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سورٍ شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يساق وأنه حيثما تكررت حلقة كان هناك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار"[2]، ومن هنا يمكننا أن نفهم أهداف التكرار في ضوء الحِكَم والأسرار التالية:

* إذا تكررت القصة الواحدة فإنما هو لفائدة اشتمل عليها كل موضع خلت منها المواضع الأخرى، فعصا موسى عليه السلام وصف في القرآن الكريم بثلاثة أوصاف وكل وصف جاء مناسبًا لسياق السورة الذي ورد فيها، ففي سورة طه وصفَها الحقُ سبحانه بأنها: ( حيةٌ تسعى) في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾٣ وفي سورة الأعراف: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾٤ وفي سورة النمل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾٥ فهي حية باعتبار خفتها ونشاطها وسرعة حركتها، وثعبان من حيث ضخامتها، و كأنها جان لكونها مرعبة، مع ملاحظة عدم ورود (أفعى) في القرآن الكريم ولم يستخدمها في قصة موسى عليه السلام؛ وذلك لأنّ معناها لا يتناسب مع سياق الآيات في القصة؛ لأن معنى الأفعى في اللغة هي الملتفّة وهذا ليس وصفًا ملائمًا لعصا موسى عليه السلام، ومن معاني الأفعى الحيّة الخبيثة السامّة وهذه الوصف لا يتناسب مع إثبات المعجزة ولا مع خطاب التكليف لموسى عليه السلام.

* إنّ القصة المكررة تكون متجهة إلى هدف غير الهدف الذي تتجهُ إليه القصة في مواضع أخرى أو تتحدث من جهةٍ غير الجهة التي تعرضت إليها في مواضع أخرى

---

١ – فهد عبد الرحمن الرومي، دراسات في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص ٦١١.

٢ – سيد قطب، في ظلال القران الكريم ، ج١ ص٥٥

٣ – سورة طه، الآية (٢٠).

٤ – سورة الأعراف، الآية (١٠٧).

٥ – سورة النمل، الآية (١٠).

وذلك نظرا لأن القرآن كتاب هداية وعبرة وليس كتاب سرد تاريخي ولا متعة أدبية فارغة فتكون القصة وسيلة لتحقيق تلك الأهداف المتعددة متجهة نحو الغرض الذي سيقت من أجله.

* المعالجة الحكيمة للنفوس بترسيخ العقيدة والمفاهيم الصحيحة في عقول المدعوِّين عن طريق التكرار في قالب القصص الواقعي الجذاب، فقد قرر علم النفس الحديث أن الشيء يرسخ في النفس بتكراره مرارًا مالا يرسخ بعرضه مرة واحدة أو مرتين لاسيما إن كان جديدا تنفر منه طبائع المشركين، وتشذ عنه عادات الجاهلين.

* إن عرض الحادثة الواحدة في أساليب كثيرة متلونة وصور بيانية متنوعة دون أن يختل نظامه أو يضطرب معناه أو تتفكك روعته أو يضعف مستواه لهو مما يعجز عنه أبلغ الفصحاء، وفي هذا المعنى يقول الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى في كتابه إعجاز القرآن: " إن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة لتؤدي معنى واحدًا هي من الأمور الصعبة التي تظهر فيها الفصاحةُ وتَتبيّنُ فيها البلاغةُ "[1].

* إن القرآن الكريم كما تحدَّى فصحاء العرب بتنوع أساليبه الكثيرة تحدّاهم كذلك بمحاكاة أسلوب واحد من أساليبه الكثيرة ولون واحد من ألوانه العجيبة فعجزوا خاسئين وفي هذا المعنى يقول الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى في كتابه إعجاز القرآن : "ونبهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأً ومكررً وكم من سرٍ بلاغي وحكمةٍ ومغزًى ودلالةٍ تكمن وراء ظاهرة التكرار يحسبه الفارغون فراغًا وما هو بفراغ "[2].

* من أهداف التكرار ما هو تعليمي حينما يكون لحِكَم دَعْويَّة وإرشادية وعِلْمية بأسلوب التنويع في ضروب البلاغة وأساليب البيان فإنّ التكرار مع هذا الإعجاز بالتنويع قائم وحاصل وهو أبلغ في الإعجاز مما لو كان لمجرد إظهار البراعة المعجزة في التنويع ولو اشتملت بعد ذلك على حِكم ولطائف فالإعجاز في القرآن قائم كيفما توجهت الأهداف، ومهما تنوعت الأساليب وضروب البلاغة في القرآن

---

١ – أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط١، ج١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ، ج١، ص٩٤ .

٢ – الباقلاني، إعجاز القرآن، المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

تبعاً للمعاني حيثما حلّقت، وإن كان كلٌ من المعاني الإرشادية والضروب البلاغية في القرآن الكريم لا ينفكُّ عن الآخر، لكنَّ عرض الحكمة والمقصد من التكرار يختلف من أسلوب لآخر وهذا مما يزيد في إظهار جلالة القرآن وقداسته، ويفصح عن دقة بلاغته، وبديع بيانه، وجديد روعته، ويكونُ أدحضَ لشبهِ المستشرقين، وافتراءاتِ المدَّعين.

ففي القرآن الكريم نجد أن القصة الواحدة قد تتكرر في مواضع كثيرة، وهي الحرية التي يمنحها القرآن للذهن في القصة الواحدة أو الموضوع الواحد ليقودنا إلى إدراك المعنى الكلي للقرآن، فكما أن الفراغ بين الآيتين يتيح للذهن ملأه بمعرفة ثالثة كذلك القصص والموضوعات المتكررة تتيح للذهن أن يفعل ذلك ليس في الموضوع الواحد أو القصة الواحدة إنما في القرآن ككل فيكون بإمكان الذهن عند ملء الفراغ بين الكتلتين سواء بالمقارنة أو بغيرها من الأساليب أن ينشئ الربط المناسب بين التكتلين من الآيات وهذا يؤدي بالذهن إلى التطور عبر كامل القرآن وليس التطور عبر قصة واحدة أو موضوع واحد حيث تكون في نفس المعنى الذي تهدف إليه السورة بشكل عام فلا تخرج عنه على اعتبار الوحدة مفهوما أساسيا في القرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[1]، كذلك يؤدي هذا التعدد في زوايا القص إلى جعل السورة ميدانا للتدبر وليس التسلية لأن الذهن عندئذ يكون منفعلا ومصدوما ومتسائلا، فالقصة ليست معطاة مرة واحدة وهي مبثوثة في كامل القرآن وعلى الذهن أن يبحث عنها ويوظف قدراته لأجل ذلك لئلا يركن إلى الدعة والراحة والاستسلام.

## ٣/ تنوع طرق العرض في القصة القرآنية:

تتنوع الطرائق لعرض القصة في القرآن الكريم حيث يعجز الإنسان مهما أوتي من البيان عن التنويع في قصة واحدة بضروب من الفصاحة دون أن تظهر عليه

---

١- سورة النساء الآية ٨٢.

علامات الضعف أو الركاكة أو التفكك أو التكلف، وقد أوردها سيد قطب في كتابه، منها:

الطريقة الأولى: ذكر ملخص القصة ثم الدخول في التفاصيل يسرد القصة من أولها إلى آخرها كما جاء في قصة أهل الكهف وسورة يوسف.

الطريقة الثانية: ذكر عاقبة القصة ومغزاها ثم الدخول والابتداء بالقصة مثل قصة يوسف عليه السلام بدأت بالرؤيا ثم تبدأ القصة بعد ذلك حتى النهاية.

الطريقة الثالثة: ذكر القصة مباشرة وبدون مقدمة أو تلخيص ومثال ذلك قصة مريم عند مولد عيسى عليه السلام وقصة سليمان مع النمل والهدهد وبلقيس.

الطريقة الرابعة: تحويل القصة إلى تمثيلية تبدأ بالعرض ثم يدع القصة تتحدث عن نفسها بواسطة أبطالها ومثال ذلك قصة إبراهيم وإسماعيل في بنائهما للكعبة.

## ٤/ تنوع طرق المفاجأة في القصة القرآنية:

أحيانا تكتم القصة سر المفاجأة عن البطل والقارئ حتى تكشف لهم معاً في آن واحد مثال ذلك قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح في سورة الكهف.

ومرةً تكشف السر للقارئ وتترك أبطال القصة في عمى وغالبا ما يكون هذا في موضع السخرية يقول تعالى في قصة أصحاب الجنة:﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ* وَلا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾[1].

مرةً تكشف السر للقارئ فهو خافٍ على البطل في موضع وخافٍ على القارئ والبطل في موضع آخر في القصة الواحدة مثال ذلك قصة عرش بلقيس الذي أحضر في غمضة عين حيث عرفنا نحن أنه بين يدي سليمان في حين ظلت بلقيس

---

١ – سورة القلم، من الآية ٢٠.

تجهل ما نعلم ولكن مفاجأة الصرح الممرّد من قوارير ظلت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرها معا.

قد لا يكون هناك سرّ بل تواجه المفاجأة البطل والقارئ في آن واحد مثل قصة المخاض لمريم العذراء.

٥/الواقعية التاريخية للقصة في القرآن الكريم: وهي أن كل ما في قَصص القرآن الكريم من أخبار الأولين هي حقائق تاريخية صادقة لا يرفضها عقل ولا يخالفها نقل سواء أكان من أخبار الأنبياء مع أقوامهم أم ما كان من قبيل المعجزات وخوارق العادات كانفلاق البحر وكلام الهدهد والنملة وليس فيها أي نوع من التناقض أو الاختراع ولا أي شكل من أشكال الخيال أو التصوير المجرد عن الحقيقة ولا أي صورة من صور الرمز أو الإشارة وغير ذلك، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون ﴾[1].

٦/الشمولية المطلقة للقصة في القرآن الكريم، قصص القرآن الكريم شاملة من عدة جهات:

أ – شملت القصة في شخصياتها جميع المخلوقات البشرية كالرسل والأنبياء وهم الشخصيات الرئيسة ومحاور معظم القصص، وغير البشرية كالملائكة في قصة خلق آدم عليه السلام، كما شملت القصة شخصية إبليس، وذلك كلٌ حسب خصائصها وطِباعِها ووجهاتها ومكامن شعورها.

ب – الشمولية في تنويع الأساليب والوسائل الملائمة لكل جنس وطبقة ولون فأحيانا تتخذ الخطاب المباشر كما في بعض أجزاء قصة موسى عليه السلام وقصة يوسف عليه السلام حيث روى ربّ العزّة قصتهما مباشرة، وأحيانا تتخذ الحوار أسلوبا ووسيلة كما في قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح، وقصة خلق آدم عليه السلام في أساليب تربوية وتعليمية وتقريرية.

---

١ – سورة يوسف الآية ١١١.

ج – الشمولية من حيث الزمن، فالقصة القرآنية تخبر عن قصص ماضية دارسة صدَّقها أهل الكتاب ومنها إخبارها عن قصص مستقبلية غيبية لا ندري عنها شيئا، ومنها ما صدقتها الأيام وحدثت في وقت متأخر.

د – الشمولية من حيث موضوعاتها، فالقرآن الكريم يشمل كل الموضوعات كذلك يوجد في قصص القرآن الكريم شمولاً لكل تلك الموضوعات من عقائد وعبادات وأخلاق وآداب اجتماعية واقتصادية وسياسية .

وهكذا نرى أن من يقرأ القرآن الكريم لابد أن يتذوق حلاوته وأن يستمتع بأسلوبه المعجز الذي أذهل العرب فلو اجتمع كُتّاب القصة من المشرق إلى المغرب لما استطاعوا أن يأتوا بما جاء به القرآن الكريم من رسم للشخصيات ومن أحداث، " لذلك بقي القرآن الكريم منذ نزوله وحتى الآن مصدر إلهام الكثير من الكُتّاب والشعراء في إثراء أفكارهم الأدبية"[١].

**منهج المفسرين في ترتيب القصة القرآنية :**

لا يمكن لقارئ القران الكريم أن يغفل وجود القصة في ثنايا الآيات القرآنية وهو يراها متناثرة في أغلب السور القرآنية إذ تحتل القصة في القران الكريم قرابة ثمانية أجزاء كاملة بتناثرها العجيب في السور، ويمكن للقارئ أنْ يتناولها بالترتيب حسب التصنيف التالي:

## أولاً: الترتيب حسب المصحف :

اتفق معظم المفسرين والعلماء على منهج واحد في التفسير واعتمدوا طريقة واحدة في دراسة علوم القرآن الكريم وهي إتباع ترتيب السور في المصحف الشريف مما يسهل عملية البحث دون عناء أو مشقة مع تحديد السورة والآية بدقة متناهية، فالباحث في كتب التفاسير يستطيع الوصول إلى مبتغاه بمجرد تحديد السورة والآية، كما أن الدارس في الكتب التي تتناول علوم القرآن الكريم مثل: " الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي وفي ظلال القرآن لسيد قطب" يستطيع التنقل من حقل إلى حقل ليقطف ثمار العلم دون عناء، وكذلك شأن القصة في القرآن الكريم، فلا يمكن

---

١– محمد ناجي مشرّح ، الآفاق الفنية في القصة القرآنية، مرجع سابق، ص ٤٨.

إنكار ذلك المنهج الحكيم الذي قام على أسس ثابتة ومبررات صحيحة لأن العلاقة بين الآيات والسور كما هي مرتبة في المصحف قائمة على التناسب والتناسق والتواصل شأنها في ذلك شأن تناسب أعضاء الجسد الواحد في تركيبها وتناسقها، إضافة إلى أن الترتيب بين الآيات والسور كما هي في المصحف كان من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي تلقاه من الله عز وجل كما أثبت العلماء ذلك بالقطع بعد نقاش طويل، وهذا الترتيب يشكل السياق القرآني ويؤثر تأثيرا بالغا في المعنى، وتثبت الروايات أن تنظيم الآيات وترتيبها ضمن كل سورة هو تنظيم وترتيب إلهي توقيفي، قال ابن عباس: (كان جبريل إذا نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي يقول له: ضع هذه الآية في سورة كذا، في موضع كذا. فلما نزل عليه: ﴿ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى اللّه﴾ قال: ضعها في سورة البقرة، وفي مسند الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس إنه قال في حديثه عن الخليفة عثمان : إن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده ويقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآيات فيقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وينزل عليه الآية فيقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا "[1].

لا شك أن الترتيب المنزل من الله عز وجل قائم ومراد ليعطي القرآن الكريم إضافة أخرى إلى قائمة أوجه الإعجاز فيه وفي تناسقه وترابطه فلا ترى فيه عوجا، ويتوصل إلى ذلك عن طريق تناول آياته وسوره كما هي مرتبة في المصحف في سياقاتها ومعارضها والعلاقة القائمة بينها.

فكان منهج المفسرين في كتبهم والباحثين في بحوثهم قائما على هذا الأساس ومبنيا على هذا المنطق، فكانت النتيجة كشف كثير من الأسرار القرآنية ووجوه إعجازه، إلا أن هذا كله لا يمنع من تناول مواضيع القرآن انطلاقا من منهجية جديدة قائمة على أسس مختلفة ومقبولة باعتبار أن القرآن الكريم كل وجه فيه جائز وكل فهم صحيح فيه محتمل ولا يتعارض معه فهو مقصود منه لأنه كلام رب العزة الذي

---

١- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، المجلد الأول، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٨م ،رقم الحديث٣٧٦.

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا يمكن لأحد أن يدعي أن فهمه وتفسيره لآياته هو الصحيح قطعا وغيره قد جانب الصواب إلا ما بيّنه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فإنه لا ينطق عن الهوى، فكان علماؤنا رحمهم الله يتركون مجالا واسعا للرأي الآخر ويختمون كلامهم بإرجاع العلم لله، فمتابعة الآيات والسور كما هي مرتبة في المصحف أمر عظيم الفائدة شريف الغاية، لكن اعتماده في مجال القصة ربما يكون الأمر مختلفا قليلا من حيث ترتيب أحداث القصة مما يؤدي إلى القول بالتكرار الذي قال به كثير من المفسرين، بيد أن الأمر ليس كذلك إنما هو تصريف وتنويع في الأساليب والخطاب وضروب المواعظ والاعتبار، فالتصريف والتنويع يكونان في الكلام لتزينه والزيادة فيه لأنه إذا زين صرف الأسماع إليه وهذا شأن القرآن الكريم في صرف الوعيد والأمثال وتنويع معارض القصة وكل الآيات التي تتعلق بألوهيته سبحانه وتعالى وبيان قدرته بينما التكرار معناه إعادة الشيء مرة بعد مرة.

الترتيب حسب النزول :

غير أن الجديد في المنهج المتبع لدى بعض الباحثين ولأجل الوصول إلى حقائق جديدة وكشف وجوه الإعجاز القرآني في القصة تبنّي بعض الباحثين والمتخصصين"[1]– ولا سيما الدراسات الحديثة – تبنوا منهجاً جديداً يقوم على دراستها وتناولها انطلاقا من ترتيبها وإعادة تركيبها على أساس ترتيب النزول فيكون ما نزل متأخراً مبنياً على ما نزل متقدماً ومبيّناً له وقائماً عليه في الفهم، فيما يخص قصص القرآن الكريم المتفرقة كقصة سيدنا موسى عليه السلام وقصة سيدنا آدم عليه السلام وقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، حيث يبدأ القرآن الكريم كل قصة في تنزيلها ببيان الأصل الذي قامت عليه جميع الرسالات الماضية وبنيت عليه كل دعوات الرسل والأنبياء وهو الدعوة إلى كلمة الحق لا إله إلا الله وإثبات مقتضياتها في النفس وهو مبدأ وأصل لا يُختلف حوله، لذلك يبدأ القرآن بذكره وبيانه ثم يبنى عليه ما ورد في

١– محمد صفوت، كتاب القصص في القرآن الكريم، ضمن سلسلة دليل المسلم، دار مصر للطباعة، ص ٣٠.

معارض وسياقات أخرى تبين ردّ كل قوم على رسلهم، ثم بعد ذلك تأتي النتيجة والجزاء موافقا لجنس الجواب.

"فقصة آدم عليه السلام وردت في سبع معارض من سبع سور كلها في سياق التذكير بنهاية الحياة ومصير العباد، فما ورد في سورة البقرة وهو آخر ما نزل من قصة آدم بينما كان أول ما نزل هو ما جاء في سورة ص"[1] حيث يقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[2]، فكان الأصل الذي انطلق منه القرآن الكريم هو تقرير كلمة الحق وإثبات مقتضياتها التي تتجلى في كون الخالق هو الله سبحانه وتعالى وهو بذلك مستحق للعبادة وحده، وقد قرر ذلك في الآيتين الأوليين ثم بنى عليها ما بعدهما وما ورد في سورة أخرى حيث ترجع كلها إلى هذا الأصل تقريرا وتأكيدا له، فالقرآن الكريم يعرض كل قصة بذكر الأصل الثابت الذي لا يتغير في أول نزولها ثم تبنى عليه معارض أخرى فرعية مبينة له ومقررة.

والنموذج الآخر لذلك قصة نوح عليه السلام "حيث وردت في أحد عشر معرضا كان أولها ما جاء في سورة القمر قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾[3]، حيث ذكر في هذا المعرض عقاب الله تعالى لقومه لأنهم كذبوا دعوته وسخروا منها وقد بيّن ما أجمل هنا في مواضع أخرى توضيحا وبيانا للسبب، وأما آخر ما نزل في شأن نوح مع قومه فهو في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً * فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[4].

---

١ – منصور الرفاعي عبيد، أهداف القصة في القرآن الكريم، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٢.

٢ – سورة ص، الآيتان ٧٠–٧١.

٣ – سورة القمر الآيات ٩–١٤.

٤ – سورة العنكبوت، الآيتان ١٤ –١٥.

فكان هذا خلاصة جامعة لمسيرة حافلة بالأحداث والمواقف ذكرت في معارض أخرى بشيء من التفصيل حسب ما يقتضيه الهدف الأسمى دائما وهو المتحكم الأساسي"[1].

أما قصة موسى عليه السلام وفرعون وملئه فكان أول ما نزل في شأنها ما ورد في قوله عز وجلّ: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[2]، إلى قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾[3].

وكان آخر ما نزل من قصة موسى هو ما ورد في قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى* فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾[4].

وقد جاء عرضها هنا في سياق تأكيد وقوع البحث وعرض أسبابه ومقدماته من أول السورة فبدأت القصة بالاستفهام " هل " وليس على حقيقة كما هو شأن الاستفهام في القرآن بل خرج إلى التوكيد والتقرير بمعنى " قد " فيكون هذا المعرض يشير إلى كل ما تقدم من المعارض الأخرى، وهنا إشارة إلى مختلف تلك الأحداث والمراحل بإيجاز لأنه قد ذكر بتفصيل في سور أخرى وسياقات تناسبه فجاءت هذه الآيات من سورة النازعات تؤذن بنهايتها وتلخصها تلخيصا تاما وشاملا، فجاءت في سياق قصص أنبياء آخرين من آدم ونوح وهود ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام كلها؛ لتبيّن الأصل وسنة الله تعالى وفطرته الثابتة التي فطر الناس عليها ليريهم معالم الإيمان ويؤيدهم بآيات وجوده.

---

١ – محمد صفوت، كتاب القصص في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص١٤٢.

٢ – سورة الأعراف الآية ١٠٣.

٣ – سورة الأعراف الآية ١٣٧.

٤ – سورة النازعات الآيات ١٥ – ٢٦.

وهكذا تعطي لنا هذه النماذج نظرة عامة على المنهج الجديد ودوره في فهم اللمسة الجمالية في القصة وطريقة بناء ما تأخر منها على ما تقدم في الفهم والبيان والتفصيل والإيجاز.

سبقت الإشارة إلى أنّ الهدف الأساسي من ورود القصص في القرآن كان هدفًا دينيًا بحتًا، وأنّ الفنيّة والجماليّة في الأسلوب والعرض كان لها أثر بارز على القصة وكان ذلك أداة مقصودة للتأثير الوجداني ومخاطبة الفطرة؛ لذلك عرض القرآن الكريم قصص الأنبياء وكان آخر ما نزل في قصة نبي موافقا ومناسبا تماما لقصته حسب ظروفه وخصوصياته، والهدف المشترك والأصل الثابت دلالة على وحدة الرسل ووحدة طرائق الدعوة ووحدة المصير، ويبدو أنّ كلَّ قصة خُتمت بتلك الفنية التي تناسب بطلها كأنّه ختام فني لذاته لا شيء آخر، وهذا لا يُمكن ملاحظته إلا في تناول القصة مرتبة حسب ترتيب نزولها وذلك من ثمرات هذا المنهج.

ومن خلال ما تقدم يتضح أنَّ القصة القرآنية يمكن أنْ تدرس موضوعا قائما بذاته بإعادة ترتيب أحداثها كما هي مُنزّلة على الرسول الكريم ﷺ لأجل كشف جزء من أسرار القرآن وإعجازه الذي لا يبلى ولا تنقضي عجائبه ولا تنتهي حقائقه ومظاهر إعجازه؛ لأنه من خالق الكون العليم الخبير.

**أثر القصة القرآنية في النفوس:**

القصة في القران الكريم نموذج فريد لم تعرفه العرب ولم تألفه، وهي تحكي فترة من تاريخ الإنسانية وتبين الصراع الذي وقع بين دعاة الخير وهداة البشرية وبين دعاة الشر وأتباع الباطل والنتيجة المرتقبة بعد هذا الصراع، ولكن أهل الكتب السابقة أعرف من غيرهم بهذا اللون الحق والقول الصدق والتعبير الدقيق لتلك الحقبة الزمنية، "والقصة في القرآن الكريم حدث يقع لأول مرة على مسامع العرب ولهذا كان له سحره في نفوسهم وتأثيره على قلوبهم من روعة تصويرها وجريان الأحداث المتلاحقة؛ مما جعل الإنسان في ترقب دائم لما ينتج بعد الذي سمعه"[1]، ولشدة وقعه في نفوس العرب بما يناسب ذكاءهم كانوا يتواصون بينهم بألا يسمعوا له حتى لا ينجذبون له، كما أخبر ربّ العزة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا

١ – منصور الرفاعي عبيد، أهداف القصة في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص ١٢.

الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[1]. فالقصة القرآنية قد تكاملت خصائصها الفنية من وحدة الموضوع وتركيزها المكثف على الأحداث المترابطة مع صدق التعبير وإثارة حاسّة الانتباه والترقب والتحفز لمعرفة الحدث حتى يصل الإنسان النهاية وتبرز أمامه الغاية التي سيقت من أجلها القصة متلاقية الملامح متحدة القسمات، فإن القارئ يجد المتعة العظيمة التي تشده إلى الاسترسال في القراءة والاستزادة شبعًا وريّا من هذا المَعين الصافي الذي هو تنزيل من ربِّ العالمين الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين، ولقد جاء القرآن الكريم داعيًا للهداية والرشاد بأساليبَ شتى، فتارةً بالوعد والوعيد وتارةً بالإقناع العقلي وتارةً بوخز الضمير والوجدان ورابعةً بتوجيه الفطرة إلى حقيقتها وخامسةً بالإعجاز بشتى ألوانه، وأحياناً كثيرة بأسلوب القصص الذي هو أقرب الوسائل التربوية إلى الفطرة الإنسانية وأكثر العوامل النفسية تأثيرًا فيها؛ وذلك لما في هذا الأسلوب من المحاكاة لحالة الإنسان نفسه، فتراه يعيش بكل كيانه في أحداث القصة وكأنه أحد أفرادها بل وكأنه هو بطل القصة أو الشاهد فيها، فيرى من خلالها كلّ ما في نفسه من أحاسيس وما في خَلَده من أحاديث وما يجري حوله من أحداث وحوار، كل ذلك من خلال تجاوبه مع القصة، فالقصة . ولا سيّما إن كانت بأسلوب شائق وبيان رائق . لها من التأثير والجاذبية مالا تبلغه أيُّ وسيلة أخرى من الوسائل الدعوية أو التعليمية أو التربوية فكيف إذا كانت بأسلوب ربانيٍّ معجز له من الواقعية والصدق ودقة التصوير ومِن السِمَاتِ ما ليس لغيره، ولو أننا عقدنا مقارنة سريعة بين أحدث المناهج التعليمية والتربوية وأكثرها تطورا اليوم لوجدنا أن أكثر المناهج نجاحا هي عرض الفكرة أو صياغة المادة العلمية بأسلوب قَصصي جذاب، لأنها تكون حينئذ أحب إلى قلب الطالب وأقرب إلى فطرته وأسهل عليه حفظا وفهما وأدعى لتلقيها بدون مشقة أو ملل، ولذلك كانت القصة ولا تزال مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحابُ الرسالاتِ والدعواتِ والهداةُ والقادةُ إلى الناس وإلى عقولهم وقلوبهم ليلقوا فيها بما يريدونه من آراء ومعتقداتٍ وأعمال، ولقد أصبحت الفنون كلها اليوم من وراء القصة. إن الذي يتدبر القرآن الكريم يرى جانبا كبيرا من

---

١ – سورة فصلت الآية ٢٦.

آياته وسوره قد اشتمل على قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى قصص غيرهم من الأخيار، كما اشتمل على قصص كثير من الأشرار، يرى ذلك بصورة أكثر تفصيلا في السور المكية لأنها اهتمت بإقامة الأدلة على وحدانية الله تعالى وعلى صدق الرسول ﷺ فيما يبلغه عن ربه وعلى أن هذا القرآن من عند الله تعالى وعلى أنّ البعث وما يترتب عليه من ثواب أو عقاب حقّ وصدق، وهذه الأدلّة ساقتها السور المكية تارةً عن طريق قصص الأنبياء مع أقوامهم وتارةً عن غير ذلك من الطرق الأخرى كالنظر في ملكوت السماوات والأرض وفي خلق الإنسان وغيره من سائر المخلوقات، والقصة في كلّ زمان ومكان لها أثرها العميق في النفوس لما فيها من عنصر التشويق وجوانب الاعتبار والاتعاظ، ولا تزال على رأس الوسائل التي يدخل منها الهداة والمصلحون والقادة إلى قلوب الناس وعقولهم لكي يسلكوا الطريق القويم ويعتنقوا الفضائل ويجتنبوا الرذائل ويُسلموا وجوههم لله الواحد القهار، ومن هنا جاء التأكيد على أنّ قصص القرآن الكريم يمتاز بسمو الغاية وشريف المقصد وصدق الكلمة والموضوع وتحرّي الحقيقة؛ بحيثُ لا تشوبه شائبة من الوهم أو الخيال أو مخالفة الواقع.

كما إن من مميزات قصص القرآن اشتماله على طرق شتى في التربية والتهذيب، تارة عن طريق الحوار، وأحيانا عن طريق سلوك طريق الحكمة والاعتبار، وطورا عن طريق التخويف والإنذار نرى ذلك على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ* وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ *إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾[1].

١ – سورة هود الآية ١٠٣.

## المبحث الثاني: التكرار، مفهومه وأنواعه وأغراضه.

**المطلب الأول: مفهوم التكرار وأنواعه.**

**المطلب الثاني: أهم أغراض التكرار.**

**المطلب الأول : مفهوم التكرار وأنواعه.**

التكرار هو الإعادة لأهمية المكرر أو المعاد، ويعد من الظواهر اللغوية التي عرفتها العربية في أقدم نصوصها التي وصلت إلينا كالشعر الجاهلي وخطب الجاهلية وأسجاعها، ثم استعملها القرآن الكريم، كما ورد في الحديث النبوي الشريف وكلام العرب شعره ونثره، يشمل الحروف والأصوات والصيغ الصرفية والتراكيب، ولكن لم يُفردْ له بابٌ ولم يحظَ بالتناول منفردا في الكتب القديمة، فهو ظاهرة تستحق الدراسة لتبيين معالمها والتعرف على حقيقتها ومواضع استعمالها.

فهو أحد علامات الجمال البارزة في حياتنا اليومية، وهو مصدرٌ دالٌ على إعادة الفعل لأكثر من مرة (الكرّ)، ويراد به التأكيد والتكثير في الأفعال، والتكرار في المعنى العام إعادته، ويندرج تحتها ظاهرة تنظيم الكون والوجود والطبيعة وتكرارها، واختلاف الليل والنهار وتعاقب الشمس والقمر؛ وذلك قبل أن تكون ظاهرة في الفنون اللغوية، فهو في الكون ماثل بوضوح في تكرار دوران الأفلاك وظهور النجوم والكواكب واختفائها، والتكرار مفيد إذا جيء به في مكان يصلح فيه التكرار، وهو ثمرة من اختيار المتكلم وطاقة كبرى في توليد المعنى وتكثيفه ووسيلة مهمة في التعبير وتصوير المشاعر والإلحاح ولفت الانتباه.

**التكرار لغةً:**

جاء في لسان العرب لابن منظور "التكرار مصدر الفعل كرّ أو كرر يقال: " كرّه وكرّ نفسه، يتعدى ولا يتعدى، والكرّ مصدر كرّ عليه يكرّ كرًّا وتكرارًا، وكرّ عنه رجع، وكرّ على العدو، رجل كرّار ومِكر، كذلك الفرس. وكرّر الشيء أعاده مرة وأعاده أخرى، والكرّة المرة والجمع كرّات، ويقال: كررّت عليه الحديث إذا رددّته، والكرّ الرجوع على الشيء ومنه التكرار"[١].

وقد أورد الزمخشري في أساس البلاغة مجموعة من المعاني المرتبطة بهذه الكلمة استقاها من كلام العرب، وهي تدور كلها حول معنى واحد عام مشترك وهو الإعادة

١- ابن منظور، لسان العرب، ج٥، دار صادر، ط١، ١٩٩٧، بيروت، لبنان، مادة (كرر) ص ٣٩٠.

والترديد " انهزم عنه ثم كرّ عليه كروراً وكرّ عليه رمحه وفرسه كرًّا، وكرّ بعد ما فرّ وهو مكرٌّ مفرٌّ وكرّار فرّار، وكررت عليه الحديث كرّاً وكرّرت عليه تكراراً وكرّر على سمعه كذا وتكرّر عليه، وناقة مكرّة أي تحلب في اليوم مرتين، ولهم هرير وكرير، والكرير صوت في الصدر كالحشرجة[1].

وجاء في القاموس المحيط للفيروزأبادي " كَرَّ عليه كَرًّا وكُرُوراً وتَكْراراً: عَطَفَ. وكرّ عنه: رَجَعَ، فهو كَرَّارٌ ومِكَرٌّ، بكسر الميم. وكَرَّرَهُ تَكْريراً وتَكْراراً وتَكِرَّةً، كتَحِلَّةٍ. وكَرْكَرَهُ: أعادَهُ مَرَّةً بعدَ أُخْرَى. والمُكَرَّرُ، كمُعَظَّمٍ: الراءُ. والكَريرُ، كأميرٍ: صَوْتٌ في الصَّدْرِ كصَوْتِ المُنْخَنِقِ، الفِعْلُ كمَلَّ وقَلَّ، وبُحَّةٌ تَعْتَرِي مِنَ الغُبارِ، ونَهْرٌ"[2].

فمفهوم التكرار يتحدد في أبسط مستوياته بأن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه، سواء أكان اللفظ والإعادة متفقين في المعنى أم مختلفين، أو يأتي بمعنى ثم يعيده، وهذا من شرط اتفاق المعنى الأول والثاني، فإن كان متحد الألفاظ والمعاني، فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس، وكذلك إذا كان المعنى متحدا وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفاً فالفائدة بالإتيان به للدلالة على المعنيين المختلفين.

**أما من حيث الاصطلاح:**

فقد عرّفه ابن الأثير في المثل الثائر بقوله: "هو دلالة اللّفظ على المعنى مرددا، إما أن يكون في اللفظ والمعنى معا، وإما أن يكون في المعنى فقط "[3]، والملاحظ أنّ التكرار لا يقتصر على الكلمة في حدّ ذاتها، ولكنه يمتدّ ليُفهِم الكلامَ في جميع مستوياته.

---

١- الزمخشري، أساس البلاغة، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٣، بيروت، لبنان، ص ٧٢٦.

٢- الفيروزبادي، القاموس المحيط، المكتبة العلمية، ط٢،١٩٩٠،القاهرة، مصر،ج٢، باب الراء فصل الكاف مادة ( كرر).

٣- ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، د ط، ١٩٩٩، بيروت، لبنان، ج٢، ص ١٤٦.

ويعرف القاضي الجرجاني التكرار في كتابه التعريفات: " التكرار عبارة عن الإثبات بشيء مرة بعد أخرى"[١].

وربط جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن بين التكرار ومحاسن الفصاحة؛ لارتباطه بالأسلوب الفصيح والمؤكّد باعتباره ضربًا من ضروب البلاغة وأغراض التكرار البلاغية، كما سيأتي في مبحث أغراض التكرار والتكرار في قصص القرآن الكريم؛ وفي ذلك يقول السيوطي: " إنّ التكرار هو التجديد للفظ الأول ويفيد ضربا من التأكيد، وهو أبلغ من التوكيد وهو من محاسن الفصاحة"[٢].

كما عقد له الثعالبي بابا في كتابه فقه اللغة بعنوان فصل في التكرير والإعادة ولم يذكر فيه شيئًا عن المعنى الاصطلاحي واكتفى بقوله إنه "من سنن العرب في إظهار الغاية بالأمر"[٣].

ويُعدُّ الجاحظُ من أوائل العلماء الذين تحدثوا عن التكرار، وأشاروا إلى أهميته وبيّنوا محاسنه ومساوئه؛ حيث يقول في هذا الصدد " ليس التكرار عيًّا ما دام لحكمة كتقرير المعنى أو خطاب الغبي أو الساهي، كما إنّ ترداد الألفاظ ليس بعي ما لم يتجاوز مقدار الحاجة ويخرج إلى العبث"[٤]، ويفهم من هذا أن التكرار ليس عيّا، فهو أسلوب متداول عند العرب ولكن لا بد له من ضوابط فهو لا يستعمل إلا عند الحاجة وبالقدر الذي يليق بالمقام، ولا يخرج من مجال الحديث، ومن مساوئ التكرار ما لم يفد معنى جديدًا، وأكد الجاحظ على الحذر في استعمال هذا الأسلوب إلا عند المقتضى، كما أورد أمثلة توضيحية من كلام العرب نذكر منها قصة "ابن السماك

---

١- السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، ط١، ٢٠٠٤م، دار الفضيلة، القاهرة، ص٥٩.

٢- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية د ط، ١٩٨٨، لبنان، ج٣، ص١٩٩.

٣- الثعالبي، فقه اللغة، تحقيق : أمين نسيب، دار الجيل، ط١، ١٩٩٨، بيروت، لبنان، ص٤٥٣.

٤- الجاحظ، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨، بيروت ، لبنان، ج١، ص٧٩.

الذي جعل يوما يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه، فلما انصرف قال لها كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه! لولا أنك تكثر ترداده، قال: أردّده حتى يفهمَه من لم يفهمْه. قالت: إلى أن يفهمَه من لم يفهمْه يكون قد ملَّه مَنْ فَهِمَه"[1].

وللتكرار علاقة وثيقة بعلم النحو وقواعد اللغة العربية، فالتوكيد واحدٌ من أهمِّ صورها، وبما أنّ الدراسات الأولى التي تناولت القرآن الكريم اهتمت بنحوه وإعرابه، فمن الطبيعي أن تكون الإشارات الأولى للتكرار قد وردت في كتب النحو؛ إذْ عدّه سيبويه في كتابه ضربا من التوكيد "التكرار توكيد لفظي من ضمن التوابع ولا يختلف عن (أجمعين) ونحوها، وهي لفظة تستعمل لتأكيد المعنى"[2]، بينما يرى الجاحظ أنّ التكرار يقتصر على مطابقة حال المتكلم والسامع "وليس فيه حدٌّ ينتهي إليه ولا يؤتى على وضعه؛ وإنما ذلك على قدر المستمعين ووظيفته عنده الإفهام"[3]. وذهب ابن جني في كتابه الخصائص إلى أنّ " العربَ إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد، وهو على ضربين، أحدهما: تكرير الأول بلفظه، وأما الضرب الثاني، فهو تكرار الأول بمعناه إما للإحاطة والعموم، وإما للتثبيت والتمكين،"[4].

فالتكرار لا يقوم فقط على مجرد تكرار اللفظة في السياق؛ وإنما ما تتركه هذه اللفظة من أثر انفعالي في نفس المتلقي؛ وبذلك يعكس جانبا من الموقف النفسي والانفعالي، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة التكرار يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق، والتكرار يمثل إحدى الأدوات الجمالية التي تساعد على فهم مشهد، أو صورة أو موقف ما.

**أنواع التكرار:**

الحديث عن أنواع التكرار كثيرٌ في كتب البلاغة، وكذا في بعض كتب تفسير القرآن الكريم وعلومه، وأنواع التكرار تختلف بحسب الدارسين، وهذا راجع لطبيعة

---

١- الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، مصدر سابق، ص٩٠.

٢- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨، ج١١، ص١٢٥.

٣- الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، مصدر سابق، ص١٠٥.

٤- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ، ج٣، ص١٠١.

الدراسة. فاللغويون لهم معاييرهم، كما أنّ للباحثين في علوم القرآن الكريم معاييرهم أيضا، وإنْ كان – في حقيقة الأمر– القرآن الكريم لا يخرجُ عن كونه جزءًا من اللّغة العربية؛ بل تستمد اللغة العربية قواعدها منه، ولهذا فإنّ هذه التقاسيم، سواء المتعلقة منها باللغة أم بالقرآن الكريم كونه من أساليب الفصاحة في اللغة العربيّة لما ينطوي عليه من فوائد في الكلام.

تتشكّل ظاهرة التكرار في اللغة العربية بأشكال مختلفة ومتنوعة، فهي تبدأ من الحرف وتمتد إلى الكلمة ثم العبارة والقصة، وقد يكون تكرار الفكرة بلفظ مختلف، وكل شكل منها يعمل على إبراز جانب تأثيري خاص بالتكرار.

لم يغفل ابن رشيق في كتابه العمدة هذه الظاهرة الفنية؛ بل اعتبرها أسلوبًا من أساليب العربية التي لا يخلو منها أي فنّ من الفنون القولية على حد تعبيره، وبناءً عليه فقد قسّم التكرار إلى ثلاثة أقسام:

تكرار اللفظ دون المعنى، ويرى ابن رشيق "أنه أكثر أنواع التكرار تداولاً في الكلام العربي، وتكرار المعنى دون اللفظ وهو أقلّها استعمالاً، وتكرار الاثنين أي اللفظ والمعنى معا"[1]، وقد اعتبر القسم الأخير من مساوئ التكرار؛ بل حكم عليه بأنه الخذلان بذاته، وخَلُص إلى أنّ، المتكلم يعمد إلى تكرار المهم للفت انتباه السامع ليوصل فكرته إليه.

يرى ابن الأثير في المثل السائر" أنّ التكرار قسمان: أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى والآخر في المعنى دون اللفظ، فالذي يوجد في اللفظ والمعنى كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع. وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك: أطعني ولا تعصني فإنّ الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية"[2]، فمثل هذه الملاحظة ترصد دقة الكشف عن حركة الملحوظ البلاغي في السياق، فهي إشارة إلى أن التكرار يتشكّل في مستويين، الأول مستوى لفظي والثاني معنوي، قسم كلا منهما إلى ما

---

١– ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج٢، تحقيق: عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية، د ط،٢٠٠١، بيروت، لبنان، ص٩٢.

٢– ابن الأثير، المثل السائر، ج٢، مصدر سابق، ص ٢٥٧.

يأتي في الكلام تأكيداً له وتشييدا من أمره، وإنما مفيد وغير مفيد، فالمفيد عند ابن الأثير هو الذي يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كُرّرَ فيه الكلام، إما مبالغة في مدحه أو ذمه، أو غير ذلك وقسم المفيد إلى قسمين: الأول هو الذي يدل فيه اللفظ على معنى واحد، لكن يُقصدُ به غرضان مختلفان، والثاني من التكرار المفيد هو الذي يكون في اللفظ والمعنى ويستدعي " التكرار" التأكيد والتذكير، أي تكرار الألفاظ التي تخدم الموضوع كما قال ابن الأثير: " اعلم أن في القرآن مكررا لا فائدة في تكريره، فإن رأيت شيئا من حيث الظاهر، فأنعم نظرك فيه، فانظر سوابقه ولواحقه لتتكشف لك الفائدة منه "[1].

يتحقق التكرار عبر عدة أنواع:

التكرار اللفظي: وهو إعادة لفظ ما مرة أو أكثر من مرة، ومن ذلك:

تكرار الحرف: وهو يقتضي تكرار حرف أو أحرف بعينها في الكلام؛ مما يعطي الألفاظ التي ترد فيها تلك الحروف أبعادا تكشف عن حالة المتحدث النفسية، يقول البحتري[2]:

صُنْتُ نَفْسِي عَمّا يُدنّسُ نَفْسِي وتَرفّعْتُ عَن جَدا كُلِّ جِبْسِ

وتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعْزَعَنِي الدَّهْرُ الْتِمَاسًا مِنْهُ لِتَعْسِي ونُكسي

في مثال البحتري نلاحظ أنّ حرف السين تكرّر في البيتين، وهذا التكرار "الحرفي" يؤكد الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر، إضافة إلى الوظيفة الإيقاعية التي يمثلها، فتكرار الحرف الواحد في اللفظة له معناه ومدلوله المعنوي والموسيقي، فقد يحكي اللفظ حالة المتكلم أو يشير إلى معنى اللفظة نفسها، فهو يمثل بتكرار حرفيه تكرار المعنى الذي هو أصل مادته، سواء أكانت فعلاً أم صوتاً، وهو ما أشار إليه ابن جني في الخصائص عن لفظ " الزعزعة والقلقلة والصلصلة"[3]، ويتضح أثر هذا التكرار في المعنى إذا تذكرنا أن أصل اللغة عند كثير من اللغويين هو محاكاة أصوات الطبيعة، يقول ابن جني " وذهب بعضهم إلى أن

---

١- شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية، http://www.alfaseeh.net/vb/showthread.php?t=18786

٢- ابن جني، المثل الخصائص، ج٢، مصدر سابق، ص ٥٢.

٣- المصدر السابق، ص ٥٣.

أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح وحنين الرعد، وخرير الماء، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل وهو ما أكده المحدثون أيضاً من علماء اللغة، فأرجعوا بعضها إلى روابط طبيعية والأخرى إلى روابط وضعية"[1] أما الروابط الطبيعية فأساسها محاكاة الأصوات، فكثير من الكلمات الدالة على أصوات الإنسان والحيوان والأشياء، وبعض الكلمات الدالة على الأفعال التي يحدثها الإنسان أو غيره، تحكي أصواتها في صورة ما الظواهر التي تعبر عنها ومن ذلك القهقهة والدندنة أما النوع الثاني وهو العلاقة الوضعية فيكون بالاشتقاق العام، والاشتقاق الكبير، والاشتقاق الأكبر، فلهذا التكرار مزيتان هنا منها ما يعود على الجرس ومنها ما يعود على المعنى، وقد ساعد تكرير الحرف في تشخيص المعاني وتقريبها من إدراكنا الحسي.

– تكرار اللفظة: وهو تكرار يعيد اللفظة الواردة في الكلام لإغناء دلالة الألفاظ، وإكسابها قوة تأثيرية، ويحدث التلاحم بين مجموعة من المستويات اللغوية الصوت والتركيب والدلالة وقد انتظم تكرار اللفظة أو تكريرها في الصوت والكلمة والتركيب، وكانت له وظيفتان أساسيتان: صوتية إيقاعية تطريبية من جهة ودلالية من جهة أخرى، بالإضافة إلى منحها معنى جديداً كما هو الشأن في كثير من الألفاظ.

– تكرار العبارة أو الجملة: وهو تكرار يعكس الأهمية التي يوليها المتكلم لمضمون تلك الجمل المكررة باعتبارها مفتاحا لفهم المضمون العام الذي يتوخاه المتكلم، أو للفت انتباهه، إضافة إلى ما تحققه من توازن هندسي وعاطفي بين الكلام ومعناه، فعبارة (الشمس ساطعة، الشمس ساطعة) فهذا تأكيد أن الشمس ساطعة، فإذا أكدت المعنى بأسلوب مختلف فيكون تقوية للمعنى فقط، أما التكرار ففيه زيادة أخرى مفيدة صوتية ودلالية تؤكد المعنى بفائدة جديدة.

– تكرار القصة: وذلك ما نراه في القرآن الكريم والذي من أهدافه تثبيت فؤاد الرسول ﷺ، وتأكيد المعنى وترسيخه في نفوس أصحابه، فمن حيث المبدأ لا حرج من التكرار في القرآن الكريم الذي هو أعلى مستوى للغة، سواء أفي القصة أم في غير القصة.

---

١– ابن جني، المثل الخصائص، المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٤.

ولهذا، فإنّ التكرار يعني الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني، وهو أساس الإيقاع اللفظي والتأكيد المعنوي والجرس الموسيقي والتجانس والتشابه، وهي بهذا يؤدي التكرار وظيفة تأكيدية يراد بها إثارة التوقع لدى المتلقي، وتأكيد المعاني وترسيخها في ذهنه، ووظيفة إيقاعية يساهم في بناء إيقاع داخلي يحقق انسجاما موسيقيا خاصا، ووظيفة تزيينية يضفي تلوينا جماليا على الكلام.

**المطلب الثاني: أهمّ أغراض التكرار.**

تحظى دراسة التّكرار باهتمام كبير في الدّراسات اللّسانيّة الحديثة، تبين الوجوه التي يُستحسن فيها التكرار وتلك التي يُستهجن فيها، وخَلُصت إلى أن المتكلم يعمد إلى تكرير المهم للفت انتباه السامع ليوصل فكرته إليه؛ حيث يقوم بوصفه ظاهرة بيانيّة بوظيفة الرّبط على مستوى البّنية الظّاهرة للنّص المؤدّية إلى الانسجام (الداخلي)؛ لذلك فهو ليس مجرد إعادة لألفاظ وعبارات داخل النّص، فهناك علاقة بين مفاهيم التّكرار من حيث اللغة و وظائفها داخل النّص، فالتّكرار في النّص يشتمل على إحالة قبليّة أو سابقة، ومن معانيه الكرّ، إذن هو ظاهرة من ظواهر التّماسك النّصي اهتم به الأقدمون كثيرا ، وللتكرار أغراض منها:

– التأكيد أقوى أغراض التكرار؛ لأهمية المكرر، كقوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1]، يؤكد رب العزة جلّ شأنه علمَ الإنسان في المستقبل عاقبة التمسك بالدنيا، فقد ورد في الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي قوله: " قاله مجاهد: ويحتمل أن يكون تكراره على وجه التأكيد والتغليظ"[2].

– تناسق الكلام حتى يضره طول الفصل، كقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[3]، بتكرير (رأيت) لئلا يضره طول الفصل بين المعطوفات؛ بحيث يكون في حالات يطول فيها الفصل في الكلام حتّى يفتقر أولّه إلى تمام لا يفهم إلّا به، كما قال ابن الأثّير،" أو لأنّ السّبك والتّركيب يقتضيان ذلك"[4].

– استمالة المخاطب وإقناعه بأمر ما، كقوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[5]، تكرر لفظ ( يا قوم ) للتقرب واستمالة المخاطب بقصد الإقناع.

---

١– سورة التكاثر، الآيتان ( ٣–٤).

٢– القرطبي، جامع لأحكام القرآن الكريم، ج٢٠، ص١٧٢.

٣– سورة يوسف، الآية ( ٤).

٤– ابن الأثير، المثل السائر، ج٣، المصدر السابق، ص ٢٧.

٥– سورة غافر، الآيتان (٣٨–٣٩).

– الحثّ على فعل شيء ما، كالسخاء وغيره ولزومها، في قول الشاعر مسكين الدارمي:*

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لا أَخًا لَهُ  كَسَاعٍ إلى الهَيْجَا بِغيرِ سِلَاحِ

– التكرار بسبب التلذذ بما هو محبب إلى النفس كاسم المحبوبة، وهذا الشكل نجد له أمثلة كثيرة في شعرنا القديم؛ حيث حرص الشعراء على تكرار أسماء حبيباتهم وإعادتها في قصائدهم، حتى ارتبط قسم منهم بتلك الأسماء، يقول قيس بن الملوح:[٢]

أَلَسْتَ وَعَدْتَنِي يَا قَلْــبُ أَنِّـي  إِذَا مَا تُبْتُ عَنْ لَيْلَى تَتُوْبُ ؟
فَــهَا أَنَا تَائِبٌ عَن حُـبِّ لَيْـلَى  فَـمَا لَكَ كُلَّمَا ذُكِـرَت تَذُوْبُ ؟
وَمَا لَكَ قَدْ حَنَنْتَ لِوَصْلِ لَيلَى  وَكُنْتَ حَلَفْـتَ أَنَّكَ لَا تَؤُوْبُ ؟

وقال أيضًا:

وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالخَيْفِ مِنْ مِنَى  فَـهَيّجَ أَحْــزَانَ الفُؤَادِ وَمَا يدري
دعا باسم ليـلى غيـرها فكـأنــما  أطار بلبي طائرا كان في صدري
دعا باسم ليـلى أســخن الله عينه  وليلى بأرض الشام في بلدٍ قــفرِ

وقد تكرر اسم (ليلى) أكثر من مرة، وتكاد لا تخلو قصيدة من هذا الاسم.

– إثارة الحزن والأسى في نفسه أو المخاطب، كرثاء الخنساء.[٣]

وإنّ صَخراً لَوالِــينا وسيّدُنا  وإنّ صَخْراً إذا نَشْـتو لَنَحّارُ
وإنّ صَخْراً لمِقْدامٌ إذا رَكِبوا  وإنّ صَخْراً إذا جاعوا لَعَقّارُ
وإنّ صَخراً لَتَأتَمّ الهُداةُ بِهِ  كَأنّهُ عَـلَمٌ في رأسِـهِ نــارُ

ورثاء برّة بنت الحارث:[٤]

---

* ربيعة بن عامر بن أُنَيف بن شُريح الدارمي التميمي، شاعر عراقي شجاع، من أشراف تميم، لقب مسكينًا لأبيات قال فيها: (أنا مسكينٌ لمن أنكرني) من موقع (أدباء عرب).

٢– قيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، رواية أبي بكر الوالبي، ط١، ١٩٩٩، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٣٣.

٣– ديوان الخنساء، جمع وشرح حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤، ص ٤٦.

٤– المفضل الضبي، المفضليات، تح: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٦، دار المعارف، مصر، أبيات الشاعرة الجاهلية برة بنت الحارث في رثاء ابنها، ص٦٥.

يا عمرُو مالي عنك من صبرِ  يا عَمْرو يا أسَفي على عَمْرِو
لله يا عمـــرو، وأيَ فـــــتىً  كفّنْتُ يوم وُضِعْتَ في القبرِ؟

– التهديد والوعيد، كقوله تعالى: ﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾[1]

– التهويل، كقوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾.[2]

ويُعدّ التكرارُ مظهرا من مظاهر البيان القرآني، وهو زيادة في أصل الكلام والمراد منه الفائدة، ويرد في الحروف والألفاظ والجمل والقصص والموضوعات، وكلَّ مكرر فيه جديد لا محالة.

أما عن دوافع التكرار لدى المحدثين فإنّنا نجد مصطفى السعدني يقسمها إلى قسمين: دوافع نفسية، وأخرى فنية، أما النفسية " فإنها ذات وظيفة مزدوجة تجمع المتكلم والمتلقي على سواء، فمن ناحية المتكلم يعني بالتكرار الإلحاح في العبارة على معنى شعوري يبرز من بين عناصر الموقف الشعري أكثر من غيره، وربما يرجع ذلك إلى تميزه عن سائر العناصر بالفاعلية، ومن ثم يأتي التكرار لتميزه بالأداء، أما الدوافع الفنية فإنها تكمن في تحقيق النغمية والرمزية لأسلوبه "[3].

وينظر علي عشري زايد في أشكال التكرار وصوره تبعا للوظيفة الإيحائية التي يطلبها الشاعر، ويرى أنها تقسم إلى: " التكرار البسيط الذي لا يتجاوز تكرار لفظة معينة أو عبارة معينة دون تغيير، أما الشكل الثاني فهو الشكل المعقد الذي فيه تتجلى براعة المتكلم وعبقريته"[4]، فالشكل الأول يكشف عن بساطة في أدوات صاحبه؛ بينما في الشكل الثاني لا يكتفي المتكلم في تركيب التكرار بالمزج بينه وبين الوسائل اللغوية الإيحائية الأخرى، بحيث تندمج أداتان أو أكثر تتآزر على تقوية الإيحاء المطلوب، وإحداث موسيقى ظاهرية فيه، فالتكرار إذن، ظاهرة أسلوبية يلجأ إليها المتكلم لمعالجة موضوع أو فكرة ما، والكشف عما في داخله من قضايا مخبوءة يريد إيصالها إلى المتلقي والتأثير فيه، وبقصد التأكيد والتقرير

---

١– سورة القيامة، الآيتان (٣٤–٣٥).

٢– سورة الحاقة، الآيات (١–٣).

٣– مصطفى السعدني، البنيات الأسلوبية في الشعر العربي الحديث، ط١، ١٩٩١، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص٣٨.

٤– علي عشري زايد، قراءات في الشعر العربي المعاصر، ط١، ١٩٩٨، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٥.

وزيادة التنبيه، وتذكّر ما بَعُد بسبب طول الكلام، والتهويل وزيادة الاستبعاد، وزيادة المدح والتعظيم، والتلذذ بذكر المكرر والتنويه بشأن المذكور، والوعد والوعيد والتهديد والتوجع والاستغاثة والتهكم والازدراء، وغيرها من الأغراض البلاغية التي تحدث عنها البلاغيون القدامى، كما ذكر ابن رشيق المواضع التي يحسن فيها التكرار والمواضع التي لا تنسجم معه، كالتشويق والاستعذاب، والتنويه بالمكرر في المدح تفخيما له، والتقرير والتوبيخ، وتعظيم المحكي عنه، والوعد، والوعيد، والرثاء، والغرض الأخير بحسبه أكثر الأغراض استعمالا لهذه الظاهرة التكرار ويعلل ذلك بشدة الفرحة التي يجدها المصاب"[1]. كما أن طبيعة اللغة قد تقتضي التكرار، فالمعاني أوسع مدى من الألفاظ، وهذا يستدعي إعادة الألفاظ على أوجه مختلفة من الهيئات والدلالات المجازية والرمزية لاستيفاء المعاني، وقد قسم البلاغيون التكرار إلى مذموم معيب ومقبول حسن، أما المذموم المعيب فهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد، والعلماء يجمعون على أن هذا النوع لا يوجد منه شيء في القرآن الكريم، وهذا مقتضى إعجازه وبلاغته، والمقبول الحسن هو ما ورد في المواضع التي تقتضيه وتدعو الحاجة إليه فيها، وكان له أثره الحسن في الكلام سواء أكان من حيث المعاني والأفكار أم من حيث المباني والألفاظ، أم من حيث المعاني والأفكار، فإنّ ما يستحسن ويقبل من التكرار ما كان وثيقَ الارتباط بالمعنى، إما بتأكيده أو توضيحه، أو تقويته، أو استغراق تفاصيله وأجزائه، وأما من حيث المباني والألفاظ فإن التكرار المقبول أيضًا يعدُّ ركنًا أساسًا من أركان الرنين والانسجام، هذا فضلًا عن ما يضفيه التكرار من العناية والدعوة إلى الاهتمام به والتنبيه عليه، فأثر التكرار راجع إلى كونه يزيد الشيء المكرر تميزًا من غيره، فالأشخاص الذين تقع عليهم الأنظار كثيرًا يزدادون وضوحًا، وتصبح صورهم بمنزلة الصبغة القويّة التي تستأثر بالذاكرة، وكذلك الأقوال ولهذا كان التكرار والإلحاح في التكرير هو الركن الأساس الذي يقوم عليه فنّ الدعاية.

---

١- ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج٢، ص١٠٩.

## المبحث الثالث: الدلالة وأنواعها ووظائفها ومجالاتها وتطورها.

### المطلب الأول: مفهوم الدلالة وأنواعها ووظائفها.

### المطلب الثاني: التطور الدلالي؛ أسبابه وأشكاله.

**المطلب الأول: مفهوم الدلالة وأنواعها ووظائفها.**

**مفهوم الدلالة:**

لا بد من الإشارة إلى ارتباط الدلالة بالقصص القرآني من خلال التكرار الوارد فيه ودلالة كل قصة وما تتضمنه من عظة وعبرة تختلف من قصة إلى أخرى، ويرى الباحث أن ثمة علاقة بين الدلالة ودوافع تكرار قصص القرآن الكريم.

الدَّلالة لغةً: "بفتحِ الدال وكسرِها، هي مصدر الفعل دلَّ، وهو من مادة (دَلَلَ) التي تدلّ على الإرشاد والإشارة إلى الشيء لوجود علاقة بينهما"[١]، ومن ذلك دلّه على الطريق، أي أرشدَه إليه، والمراد بالإرشاد إرادة الطريق، وجاء في الأثر: "الدالّ على الخير كفاعله"[٢] أي المرشد إليه كمن فعله، وكما جاء في كلام العرب (الأثر يدلّ على المسير، والبَعْرَة تدلّ على البعير) أي يُشير إليه باعتبار أن هناك علاقة بينهما.

وأما الدَّلالة أو علم المعنى من الدراسات الحديثة، ورد في مصطلح العلماء العرب فهو "العلمُ المختصُّ بدراسة معاني الألفاظ والعبارات والتَّراكيب اللُّغويَّة في سياقاتها المختلفة"[٣]، بناءً على ما ورد من تعريفات لمصطلح الدلالة الذي يُرجع الدارسون بدايةَ نشوئه إلى "الفرنسي اللغوي بريال في أواخر القرن التاسع عشر(١٨٨٣)؛ ليعبر عن فرع من فروع اللغة العام وهو علم (الدلالات) ليقابل علم (الصوتيات) الذي يعني بدراسة الأصوات اللغوية"[٤]، بينما يعتبر آخرون أن المعاجم العربية القديمة التي تعالج ألفاظ العربية حسب وردوها في الجملة أو حسب سماع العرب، ما هي نوع من أنواع الدلالة التطبيقية "حيث جعلوها ضمن اختصاص علم اللغة التطبيقي لا النظري"[٥]، هذا ما يؤكد أنّ الدلالة هي اللفظ ينشأ من المتكلم بالمعنى الذي يتبادر

---

١- ابن منظور، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٠٠هـ، المجلد الحادي عشر ( مادة دلل) ص ٢٤٥.

*- حديث نصر بن عبد الرحمن الكوفي عن أحمد بن بشير عن شبيب بن بشر عن أنس بن مالك، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يستحمله فلم يجد عنده ما يتحمله فدله على آخر فحمله، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال "إن الدالَّ على الخير كفاعلِه" وفي الباب عن أبي مسعود البدري وبريدة قال أبو عيسى هذا حديث غريب. ( موقع ملتقى أهل الحديث).

٣- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط٧، دار عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٠.

٤- فايز الداية، علم الدلالة العربي – النظرية والتطبيق، ط٢، ١٩٩٦، دار الفكر المعاصر، بيروت، ص٦.

٥- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط٣، ٢٠٠٨، دار الفكر، دمشق ص ٣٣٨.

إلى الذهن ويُقصدُ به معنى آخر بما يقتضيه اللفظُ عند إطلاقه، وغالبًا ما تتوافر العلاقةُ بين المدلولينِ اللغوي والاصطلاحيِّ؛ إذ ترتكز الثانيةُ على الأولى وتستمدُّ منها مقوماتها؛ وبما أنّ الوضعَ اللغويَّ الذي اتفق عليه أهل اللغة قديمًا فإنّ الاصطلاح يُلقي بظلالِه ومعناه الدَّلالي على المعنى المقصود، فالمصطلحُ يتشكَّل مع نموِّ اللغة وتطورها بتطور العلم وبالاحتكاكِ الثقافي والمعرفي باللغات الأخرى، وقد عرّفها الجرجاني في تعريفاته "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلمِ به العلمَ بشيء آخر، والشيء الأول هو الدالُّ والثاني المدلول عليه، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى محصورةٌ في عبارة النص وإشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص"[1] وهذا معنى عام لكل رمز إذا عُلم كان دالًا على شيء آخر ثم ينتقل بالدلالة من هذا المعنى العام إلى معنى خاص بالألفاظ باعتبارها من الرموز الدالة عليها؛ إذْ ترتبط دلالة اللفظ في الاصطلاح بدلالته في اللغة بانتقال اللفظة من المعنوي إلى الدلالي، "فقولُ لفظٍ ما يعرفه كل من يعرفُ هذا اللسان العربي بمجرد سماع اللفظ، كالنهي في قوله تعالى: ﴿ فَلا تَقُلْ لّهُمَا أفٍّ﴾[2]، وهو لفظٌ حسّى سماعي، انتقل دلاليًّا إلى معانٍ عقلية مجردة"[3]، فقد انتقلت الدلالة من الصوت المجرد إلى المعنى المدرك، فالدلالةُ تسهّلُ عمليةَ انتقال المعنى ما دامت هناك علاقة راسخة في الذهن بين اللفظ والمعنى، ومن ذلك أيضًا "دراسة الشروط الواجب توافرها في الرموز الظاهرة حتى تكون قادرةً على حمل المعنى"[4]، مثال حمرة الوجه تدلّ على الخجل، وتقطيب الجبين يدل على الانزعاج، والتصفيق يدلّ على الاستحسان، وهكذا، ولكن يكون التركيز في علم الدلالة وارتباطه بمعنى الالفاظ.

**أنواع الدلالة:**

كلُّ ما قِيل عن اختلاف تعريف الدلالة يُقال هنا عن اختلاف أنواع الدلالات، حيث نلاحظ اختلاف أنواع الدلالة حسب اختلاف علوم الدارسين ومناهجهم، فكلٌّ

---

١- الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، ط١، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٩١.

٢- سورة الإسراء الآية ٢٣.

٣- الجرجاني، معجم التعريفات، مصدر سابق، ص ٩٢.

٤- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ١١.

يتناولها ويقسّمها من جهته، ويقول أحمد محمد قدور "ولا بد من الإشارة في هذا الصدد إلى أن بعض الدارسين المحدثين لا يزالون في حيرة من أمرهم؛ إذ يذكرون تارة أن المقصود من الدرس هو مستوى المفردات أو المعجم أو الدلالة، والحق أن نموَّ علم الدلالة الحديث وتشعبَ مقارباته المنهجية جعله قطب الدوران في كل بحث لغوي؛ مما لا ينفصل عن نظرية الإدراك وفلسفة المعنى؛ لذلك بات علم الدلالة أوسع مجالا من أي علم آخر يدرس المفردات أو المعجم أو المصطلح"[1]؛ لذا نجد من يجعل أنواع الدلالة؛ دلالة معجمية ووظيفية وسياقية، وغيرهم يجعلها لفظية وصناعية ومعنوية، وآخرون يجعلونها صوتية صرفية ونحوية، وهناك من يقسّمها على غير ذلك. ومجملُ القولِ أنّ علمَ الدّلالة يهتمُّ بدراسةِ اللّغة باعتبارها كلمةً أو رمزًا؛ لأنّ كلاّ منهما يحمل معنىً في ذاته وفي السّياق الّذي يُوَظَّفُ فيه، ولأنّ كلّا منهما أداةٌ من أدوات الاتّصال، أما الكلمةُ فقد تكونُ موضوعًا لعلمِ الدّلالة مفردة أو ضمن جملة؛ لأنّ اللّفظ أو الكلمة لا يمكن أن تُستعملَ بمعزل عن وحدات معجميّة أخرى، بمعنى أنّ المفهوم الدّلالي هو الطّريقة الّتي تُرَتَّب وفقها معاني الكلمات لتكوّن معنى جملة مفهومة، كما يقول علماء اللغة: " إنّ موضوعَ علم الدّلالة أيّ شيء أو كلّ شيء يقوم بدور العلامة أو الرّمز، وهذه العلامات أو الرّموز قد تكون علامات على الطّريق، وقد تكون إشارة باليد أو إيماءة بالرّأس، كما قد تكون كلمات أو جملًا"[2]، ولكن علم الدّلالة يركّز بالدّرجة الأولى على المخاطبة اللغوية اللفظية باعتبارها ذات أهميّة بالغة بالنّسبة للإنسان، على ما تتميّز به من شفافيّة وتواصل.

بناءً عليه فقد قسّم اللغويون الدلالة إلى عدة أنواع، كما نجده في كتاب دلالة الالفاظ[3]:

١- الدلالة التطابقية:

فهي إمّا أنْ تكونَ لفظيةً تلكَ التي تُعنى بوجود ارتباط بين اللّفظ والمعنى ارتباطًا كاملًا أو بعضًا منه، فالنوع الأول الدلالة المطابِقة كدلالة لفظ الشيء على معناه

---

١- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص ٣٣٧.

٢- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٣٤.

٣- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٥، ١٩٨٤، ص٤٤.

الحقيق، ويكون فيها الدال والمدلول متوافقين ومتطابقين تمامًا؛ بحيث لا يُفهم من اللفظ زيادة على المعنى، ولا يُفهم المعنى أقلّ من اللفظ؛ و"ذلك كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق"[1]؛ وذلك لما يُقال إنّ الإنسان حيوان ناطق باعتبار أنّه كائن حيٌّ يتميز على سائر الحيوانات بالنطق، والنوع الثاني دلالة التضمين، وهي دلالة لفظ الشيء على ما في معناه" كدلالة اللفظ على جُزْئِهِ أي جزء المعنى الذي وافق اللفظ كدلالة الإنسان على الحيوان أو الناطق"[2]؛ لما يطلق على الإنسان، والمطابقة أعمّ من التضمين؛ لجواز أن يكون المدلول بسيطًا لا جزءَ له، وقسّمه ابن جني بأنّه " دلالة لفظه على مصدره ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله"[3].

وإمّا أنْ تكونَ غيرَ لفظية فهي دلالة الالتزام، وهي فهم اللفظ من لازم معناه، فعند فهم مدلول اللفظ من اللفظ ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازم معناه، كدلالة لفظ الدواة على القلم، فنعد طلب الدواة فلا بدّ من القلم؛ للارتباط المباشر بينهما، وإنْ قُدّرَ عدمُ الانتقال الذهني لما كان ذلك اللازم مفهومًا كدلالة الدواء على الورقة مثلًا، ودلالة الالتزام أشبه بدلالة التضمين في افتقارهما إلى قوة ارتباط اللازم في الالتزام، والجزء في دلالة التضمين مع الإشارة إلى أن الجزء داخل في مدلول اللفظ، بينما في الالتزام لتعريف خارج عن مدلول اللفظ؛ فلذلك كانت دلالة التضمين لفظيةً بخلاف دلالة الالتزام، وبينما دلالة الالتزام مساوية لدلالة المطابقة.

٢- الدّلالة الصّوتيّة التّحليليّة:

وهي الّتي يتغيّر فيها المعنى تَبَعًا لتغيّر الوحدات الصّوتيّة، ففي الألفاظ (غيضٌ من فيض) أي بمعنى (قليل من كثير)، الحرفان الأخيران هما المتشابهان، أمّا الحرف الأول من الوحدة الصّوتيّة فهو الّذي يحدّد المعنى الدّلالي، إذ يشكّل الصوتُ الفرقَ الدلالي بين الألفاظ، فصوتُ الحرفين (الغين والفاء) يشكلان الفرق الدلالي بين كلمتي (غيض، فيض)، كما يشكل الصوت -أحيانًا- فرقًا دلاليًا جزئيًا بين الكلمتين، وإن لم يتغير الحقل الدلالي كالفرق الدلالي بين كلمتي (قبض، قبص)، (قبض) تعني

---

١- أحمد مختار عمر، علم الدلالة ص ٣٤.

٢- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المصدر، ص ٣٥.

٣- ابن جني، الخصائص، ص ٤٥٩.

الأخذ بقبضة اليد، بينما (قبص) تعني المسك بأطراف أَصابعه؛ حيث يتغير القصد من اللفظ حسب تغير صوت الحرف الأخير، كما يشكّل النبر شكلًا من أشكال التأثير الصوتي في الدلالة؛ "إذا يتغيّر المعنى باختلاف موقع الكلمة، كأن يضغط المتحدث الكلمة الأهم في الجملة"[١].

ويُعدُّ التنغيمُ من التأثيرات الصوتية المهمة التي قد تُغيّر دلالة التركيب اللغوي بشكل كامل سماها البعض النغمات الكلامية، "فعبارة (لا يا شيخ) يمكن أن تنطق بها بعدة نغمات، وكل نغمة تحمل دلالات مختلفة، منها، الاستفهام أو التهكم والسخرية، أو الدهشة والاستغراب"٢. ومن ذلك قوله تعالى في سورة يوسف بعد فقد صواع الملك: ﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ* قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾[٣]، فلا شكّ أنَّ تنغيم جملة: (قالوا جزاؤه) بنغمة الاستفهام، وجملة (من وجد في رحله فهو جزاؤه) بنغمة التقرير سيقرب معنى الآيات إلى الأذهان، ويكشف عن مضمونها"[٤].

٣- الدّلالة الصّرفيّة:

تعني أنّ دلالة لّفظ ما مرتبطة بصيغة هذا اللفظ وبنيته، " فكلمة (كذّاب) تزيد في دلالاتها عن كلمة (كاذب) وقد استمدت هذه الزيادة من تلك الصيغة المعينة، فاستعمال كلمة (كذّاب) يمدّ السامع بقدر من الدلالة لم يكن ليصلَ إليها أو يتصورها لو أنّ المتكلم استعمل كلمة (كاذب) "[٥]، وقد سمّاها ابن جنّي "الدّلالة الصّناعيّة" وجعلها ضمن دلالات النّحو الثلاث؛ لفظيّة وصناعيّة ومعنويّة، وجعلها أقوى من الدّلالة المعنويّة، فيقول: "وإنّما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل إنّها وإن لم تكن لفظًا فإنّها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليه ويستقر على المثال المعتزم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه، وجرت مجرى اللفظ المنطوق به، فدخلا

---

١- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص ٤٦.

٢- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط٥، مكتبة أنجلو المصرية، ١٩٨٤، ص ٤٧.

٣- سورة يوسف، الآيتان ( ٧٤-٧٥).

٤- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص١٣.

٥- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص ٤٧.

بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة "[1]. ومثال على ذلك: الفعل (دَخَلَ) بصيغة (فَعَلَ)، فعلُ لازمٌ، فإذا صُوغ منه على وزن (أَفْعَلَ) تغيّرت دلالتُه؛ لأنّ (أَفْعَلَ) تكون للتّعديّة –غالبًا– إلى مفعول واحد مثل: ودَخَلَ وأَدْخَلْتُهُ، وإن كان الفعل متعديّا إلى مفعول واحد صار متعديّا إلى مفعولين، مثل: سَمِعَ الخبرَ، فتقول: أَسْمَعْتُهُ الخبَرَ، وعَلِمَ الأَمْرَ، فتقول: أَعْلَمْتُهُ الأمْرَ.

٤– الدّلالة النّحويّة:

عناصر الجملة الفعليّة والاسميّة مرتبة ترتيبًا على نمط خاصّ يتولّد عنه مدلول معنى، ولا يزال هذا المعنى يتغيّر بحسب التّغيّر الّذي يطرأ داخل الجملة من حيث التّقديم والتّأخير، والعلاقات الّتي تكتسبها الكلمات داخل الجملة الواحدة، مثال: ( قتلَ الرجلُ الأسدَ) و( قتلَ الأسدُ الرجلَ) فعندما يتَغَيَّر مكان الكلمات (الرجل والأسد)، تتَغَيَّر مدلولها، فإنّ ترتيب الكلمات يدلّ على القاتل والمقتول، وإذا اختلّ نظامها كان من العسير فهمها، إنْ لم يحدّدْ ذلك العلامات الإعرابية؛ لأنّ تغييرها يؤدي إلى تغيّر في الدلالة، كما قد يؤدي الخطأ في التركيب إلى خطأ في الدلالة أو يؤدي إلى تشويه الدلالة.

٥– الدّلالة المعجمية:

معظمُ الألفاظ في اللغة العربية يُمكنُ تحديدُ معانيها من خلال المعاجم اللغوية المختلفة، والتي تُمثّلُ المعنى الوَضعي الأصلي للّفظ، فالمعجمُ قنّنَ ترتيب الألفاظ للوصول للمعنى المطلوب، فربما نجدُ للكلمة الواحدة أكثر من معنى؛ تصريحي وآخر إيمائي، وآخر سياقي؛ نظرًا للتداعيات التي يمكنُ أنْ تُحدثها أثناءَ الاستعمال، فأيّ كلمة قد تستدعي قيمةً اجتماعية أو ثقافية أو قيمة انفعالية تعكس صورة قائلها فتحدّد بعض ملامح الجانب النفسي للمتكلم، فالنصّ في كلام المتكلم لا يوجد منفردًا عن بقية أجزاء الكلام ونصوصه؛ بل هو مساقٌ معها سوقًا؛ ليؤدي مجموع المعاني التي يريدها المتكلم، ولقد اهتمت المعجمات اللّغويّة ببيان هذه الدّلالة المعجميّة؛ لتبيّن دلالة الكلمة الواحدة داخل المعجم؛ لأنّ فيها بيانَ معاني الألفاظ العربيّة، الحديثة منها والمولّدة والدّخيلة والمعرّبة، وقد يكون للعُرف الاجتماعي مدخلٌ في بيان دلالة

---

١– ابن جني ، الخصائص ، ص ٤٥٩.

بعض الألفاظ، كالألفاظ العاميّة فإنّنا نجد بعض الألفاظ لها في الفصحى مدلول وفي العامية مدلول آخر، فكلمة (عائل) مدلولها في الفصحى (فقير)، ومدلولها في العامية مَنْ يتكفّل به غيره، ومع أهمية المستوى الاجتماعي في تحديد المعنى، إلاّ أنّه يصعبُ وضع قواعد لتحديد الدّلالة الاجتماعية، لاختلاف العناصر الاجتماعيّة، فثمّة عناصر غير لغويّة ذات دخل كبير في تحديد المعنى؛ بل هي جزء أو أجزاء من معنى الكلام، كشخصيّة المتكلّم، وشخصيّة المخاطب، وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به، فتختلف دلالة اللفظ حسب هذه الظروف والملابسات والسياق الذي ورد فيه اللفظ؛ فلذلك يذهبُ البعضُ إلى أنّ المقصود هنا المعجم الذهني للدلالات؛ أيّ الموجود في أذهان أبناء المجتمع وليس المعجم اللغوي الكتابي، ويمكن فهم الكلمة فيه حسب السياق الذي وردت فيه، ووضع الكلمة داخل الجملة، مرتبطة بما قبلها وما بعدها، ومثال على ذلك كلمة (يَدٌ) وقد تنوّعت السّياقات الّتي وردت فيها، فمعناها في لسان العرب (الكفّ) وهي من أعضاء الجسد، ويمكن أن تكون يدَ الفأسِ أي مِقبضَها، وفي سياق آخر(يد الدّهر) وتعني مدّ زمانه، وفي جملة (فلان طويل اليد) إذا كان سمحًا، وفي جملة (سُقطَ في يده) أي ندم على ما قدّم.

فالسياق له أثر كبير في تحديد معنى الكلمة، حسب القرائن، وبعض العناصر اللغوية لا تتحدد معانيها إلا منْ خلال سياقها وما يحيط بها منْ ألفاظ تحدد معناها، وأي تغيّر دلالي هو تغّير معنوي والقيمة الدلالية للكلمة تكمن في معناها.

**وظائف الدلالة:**

لا يمكن فصل علوم اللغة العربية عن بعضها البعض؛ حيث يكمّل كلّ فرعٍ الآخرَ؛ ليشكّل منظومةً فنيةً متناسقةً يستعينُ بها في أداء وظائفه اللغوية وفهم المعنى، وعلم الدلالة من هذه الفروع ومرتبط بها، فالدلالة النَّصيّة لألفاظ القرآن الكريم متطورة من ناحية التعبير المتسق لفهم المعنى تبعا للوظيفة المبتغاة منها، فتارة تكون صور فنيّة تارة تؤدي محاورة فكرية عقلية، وأحيانًا أخرى يؤدي الّنص القرآني أثرًا نفسيًّا؛ كل ذلك من خلال السياق القرآني، وجميع هذه الدلالات مجالها اللفظ السياقي خارج حدود استعمالاته الاعتيادية، ولكنها لا تخرج إلى الشذوذ اللفظي

والمعنوي؛ بل إلى الثراء المعنوي في مواضع التراكيب الجميلة للقرآن الكريم من ناحية الألفاظ وما تحمله من دلالات، فتحسُّ وكأنك بإزاء لفظة دافقة بالحيوية فيما تنطوي عليها من معانٍ دلالية وفق السياق الذي ترد فيه، فجمال النّص يرسم ملامحه الأداء البياني، ووظيفة الأداء البياني لا تكمن عند حد اللفظ الظاهري، وإنّما تتّسع لتشمل عدة دلالات فنية ونفسية يوحي بها السياق، فتبرز المعاني في تشكيلات بلاغية مميزة تُدخِلُ الكلماتِ في نسيج صور معبرة؛ لتؤدي وظائف عقلية ونفسية تدعم السياق بانفعالية معينة، ولا يوجد ترابط كترابط الألفاظ في النص القرآن الكريم سواء في القصص أم في غير القصص؛ لأنّ القرآن العظيم كان دقيقًا في وضع الألفاظ في مكانها، واختيارها بدّقة متناهية، إذ تتفاوت الألفاظ بدلالتها على المعاني تبعا للنظم الذي ترد فيه، والمغزى المعبر عنه، وهذا ما أعجز بني البشر في كثير من الأحيان من إحضار كل تلك الألفاظ التي تدل على معنى بعينه وسط سياق معين، لكنه ميسور سهل بقدرة الله تعالى، وهذا ما سنبيّنُه من تتبّع الوظائف الدلالية للألفاظ في سياقاتها وفق السياق القرآني، فيما يأتي:

* الوظيفة الفنية:

إنّ المفردات في اللغة تشكِّل حركةً عضويةً صوتيةً ترمزُ إلى شيء معين، أما المفردات في السياق فهي عبارة عن تعانق اللغة والفكر؛ لتوليد معانٍ جديدة، وقد ميّز عبد القاهر الجرجاني بيْن اللغةِ والكلام، وبَيّن أنّ المقصودَ بالكلام معاني الألفاظ، وعدّ الألفاظ رموزا للمعاني، والفكر عنده لا يتعلق باللفظة، وإنّما يتعّلقُ بما بين المعاني من علاقات، وقال "إنّ الكلام ضربان: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، مثال (خرج زيد)، وضرب أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه إلى الذي يقتضيه، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض مثل الكناية الاستعارة كقولك: (كثير الرماد للدلالة على الكرم، ونؤوم الضحى للدلالة على الدعة)"[1] وعلى هذا الأساس يمكن عدّ المفردات محدودة، لكن تآلفها هو الذي يغير الإيحاءات؛ فالأسلوب الفّني هو الذي

---

١- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، ط١، ١٩٨٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٢٦٢.

ينبّه إلى المعنى، ولولا الطرائق الفنية في الكلام لنفدت المفردات، وهذا يعني أنّ الاستعمال البياني والاستعمال المجازي للغة هو ما يزيد بنية النص الخاص، فالنص عالم قائم بذاته، تتزايد فيه العلاقات بين الدوال المنتِجة لعددٍ غير متناهٍ من الدلالات، تدور جميعها داخل إطار موحّد، وما يحكمها ويجمعها هو السياق الفني، مفعلة قدرتها اللغوية والإيحائية على الخلق والابتكار، إذ تعمل هذه النظم المختلفة على خلق دلالة النص، مغيرةً من وظائفه التعبيرية، ليتسنى للدوال فرز مخزونها اللغوي، وجعله إشارة تنمو وتتحرك داخلَ النَّص، في علاقة تفاعلية؛ لخلق بنية تعبيرية متميزة، فيتم بذلك انحراف اللغة المعجمية عن معيارها، متحولةً إلى لغة فنية، فتخرج بنية جديدة تختلف عن الاحتمالات الكثيرة التي يمكن للبنية العامة أَن يحددها، والخروج بالكلمات عن وظيفتها الوضعية الحقيقية؛ لخلق لغة جديدة مجازية مبتكرة، معظمها متفرعة عن صناعة المجاز، فهناك فرق بين اللغة العادية الحياتية بين اللغة الفنية، وما أسماه عبد القاهر الجرجاني "معنى المعنى هو الذي تؤديه اللغة الفنية، وفَنِّيةُ اللغة تكمن في حسن النَّظم ودّقة الصنع"[1] وللخواص الفنيّة للغة قدرةٌ على إبراز المعنويات وتشخيص القضايا العقليّة بقوالب تغلب عليها عناصر الحسّ والمشاهدة؛ لتلتقي الصورة بالمضمون، وتقترن المعاني بالألفاظ؛ بل لتتعانق اللغة والفكر متضامنين في إخراج وظيفة الأداء الفني للقول، وعلى هذا فالوظيفة الفنيّة للقول تكون في كشف المجهولات للعيان وتشخيص المعنويات، بعرض المعقولات وإبرازها بمثال حسي، حتى يزول الخَفاء ويتلاشى الإبهام وطالما أنّ الفَنّ القولي هو أَعظم موروث للأمة العربية، إذن فهي أُمةُ بيان، والعربُ أئمةُ لسانٍ جاء القرآن الكريم معجزةً لهم؛ لأنّه من جنس ما يحسِنُون ومن سَنَحِ ما يعرفون؛ لذا فإنّ الإعجاز البياني أعمق شيء في نفس العربي، لأنهجِ الإبِل في صحرائه على حبِّ الكلمة وتوخِّي عذوبة اللفظة، تهزه الخطبة وتطربه القصيدة؛ لذا بهرهم القرآن الكريم بجمال نظمه ودقة اختيار ألفاظه، ففي النظم القرآني مخزون جمالي بلاغي لا يبلى في استجلاء الدلالات القرآنية الأدبية والفنون القولية، إذ تتميز المفردة القرآنية بتجاوز حدودها المعجمية، وقد تجاوز أحيانًا إيحاءاتها المعهودة، اعتمدت التأثير الحسي،

---

١- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٤١٥.

وحافظت على تلازم الشكل والمضمون، مولدةً ربطًا قويا بين المتلقِّي والنص القرآني، كما في قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾[1]، فنجد التَّعبير القرآني قد جعلَ من مشهد الرماد الذي اشتدت به عصفُ الريح صورةً فنية متحركة خاصة، حيث يقول صاحب الظلال " مشهد الرماد تشتد به الريح في يوم عاصف مشهود معهود، يجسم به السياق معنى ضياع أَعمال الكافرين سدى؛ ليجسد هذا المشهد العاصفُ المتحرك ما لا يبلغُه التَّعبير الذهني المجرد،"[2]، غير أنّ (الرماد) في اللغة هو مخلفات الخشب المحروق، وقد استعملته العرب كنايةً عن كثرة الضيف في قولهم (كثير الرماد) أَي كثير الأضياف؛ لذا يكثر الرماد لكثرة الطبخ، فالوظيفة الفنية تكون في نقل المعنوي إلى حسي، ونقل ما يدرك بالفكر إلى ما لا يدرك بالطبع، فهي ميزان القوة الاستدلالية لإثبات ما يستفاد من جهة العقل بما يمثل له من جهة الحسّ.

* الوظيفة العقلية:

عُنيَ العربُ بأساليبِ كلامِهم عنايةً فائقة، وعكفوا على دراستها، واستنبطوا خصائصها، فهُمْ أمةُ قولٍ حرصت على تماسكِه وقوّتِهِ؛ للقيام بوظائفَ متعددةٍ، فتارةً تكون وظيفته بلاغية فنية، وتارة إقناعية عقلية وتارةً تأثريّة نفسيّة، وكل هذه الوظائف مرتبطة ببعضها البعض، ولفهم طبيعتها، لا بدّ لنا من معرفة دور النشاط العقلي في اللغة المجازية والوظائف التي يؤديها، والتعرّف على ماهيّة العقل وكيفية مخاطبة النص له، ووظيفته في فهم النص، العقلُ هو "ما يدلُّ على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة، وهو مأخوذ من عقلتُ البعير، إذا جمعتُ، قوائمه لئلا ينفلت فيهرب"[3]، والأصل في العقل إذن الحبس والمنع والتقييد، وهو ناتج عن الفهم، وبه سُمِيَ الفهمُ عقلاً؛ لأنّ ما فَهِمَه المرءُ فقد قَيدَه بعقلِه وضبطَه بلسانه، أيَ منعه من الانطلاق وراء رغباته، إذن فالعقلُ في اللغة الفَهمُ الناتجُ عن المعرفة؛ لذا عدّ القرآن

---

١- سورة إبراهيم، الآية ١٨.

٢- سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، ج ١٣ ص ٢٠٩٤.

٣- ابن منظور، لسان العرب، مادة (عقل) المجلد الرابع، ج ٣٤، ص ٣٠٤٦.

الكريم العقلَ العلمَ بالشيءِ، فأَكَّد دور العقل في فهم النصّ ودلالاته، ودعا إلى توظيف العقل واعتماده في معرفة الله في أكثر من موضع، مع التسليم المطلق بوحدانية الله وما نزل به القرآن الكريم من الحق، فالوظيفة العقلية للكلام في القرآن الكريم تكمن في عرض الأدلة المنطقية، بألفاظ دقيقة الاختيار، وبأساليب فنية جميلة؛ للاحتجاج بالأمور العقلية والاستدلال بالبرهان، والدعوة إلى استعمال العقل، والتدبّر في آيات الله تعالى، وتُعدّ الحواسُ منافذَ ووسائلَ للمعرفة؛ لأنّ العقلَ في الحقيقة لا يدرك الأشياء مباشرة، بل عن طريق الحواس؛ لذا نجدُ أنّ القرآنَ الكريمَ في أكثر من موضع يربط العقل بالحواس، كالسمع والبصر والنطق، التي تفيده في المعرفة والوصول إلى الحق والإيمان، ومن لا يُعمل عقله يصفهم تارةً بالصم، وتارةً بالبكمِ، وتارةً بالعمي، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1]، وهذه الصفات دلالة على عدم العقل وعدم الوعي لدى الكفار يدركها المتدبر آيات الله تعالى.

* الوظيفة النفسية:

ثمة علاقة بين اللغة وأثرها النفسي من خلال الحديث عن التذوق الفني للألفاظ ومطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ حيث يتم اختيار الكلمات المناسبة في المكان المناسب للجملة، وهذا يعني أنّ أداتي الانفعال هما المفردات والعامل النفسي، وأمّا عنصر الاختيار فهو ما يميّز اللغة الانفعالية من غيرها، إذ تظلُّ مراعية لمقتضيات الحال وتحولاتها السياقية حسب المقام، فتصوغ عباراتها صوغًا جماليًّا، فلا يكون المعنى تبعًا لذلك بمعزل عن عناصر السياق، فإن إنتاجه يتشكَّل بشكل العملية اللغوية، التي لا تنفك تقوم على ثنائية الدال والمدلول ومن الألفاظ التي جمعت رشاقة التعبير إلى انسيابية التأثير واستمالة النفوس كلمة (إملاق) في الآتيتين في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[2]، وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[3]، في

---

١- سورة الأنعام، الآية (١٥١).

٢- سورة الإسراء، الآية (٣١).

٣- سورة البقرة، الآية (١٧١).

الآية الأولى ينهى الآباء عن قتل الأولاد بسبب الفقر الحاصل، فإنّ الله متكفل برزقكم الآن، وسوف يرزقهم في المستقبل، وفي الآية الثانية ينهى ربّ العزة الآباء عن قتل الأولاد خشية أن تفتقروا أو يفتقروا بعدهم، فإنّ الله يرزقهم في المستقبل، كما يرزقكم الآن، وكذلك إنْ تأملنا كلمة (المسّ) في القرآن الكريم وجدناها جاءت بمعنى الملامسة المادية، أي مسك الشيء، في قوله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُون﴾[1] فالواضح من ظاهر النَّص الدلالة المادية، ذلك بأنّ المطَّهرين هم الملائكة الكرام، وقيل هم المنزهون عن الخطيئة، وقيل هم السَفَرة وهم الكتبة، فالمعنى ما ينبغي أَنْ يمسه إلاَّ من هو على الطهارة من الناس، إلاَّ أَنّ المتأملَ لهذا اللفظ يجد أَنَّ حدود دلالته لا تنتهي عند دلالته المادية فقط؛ بل إنَّه يتضمن دلالة معنويةً تتمثلُ في أَنّ لِلقُرآنِ الكريم ظاهرًا وباطنًا ولا يكاد الإنسان يصل إلى باطنه ما لم يكن على طهارة عالية تؤهلُه أَن يعيَ ما فيه؛ ليصلَ إلى المعرفة والتَّمثُّلِ الحقّ في باطن القرآن الكريم، ودلالة المسّ هنا ظاهرة يعنى بها الباطن.

---

١- سورة البقرة، الآية (١٧١).

**المطلب الثاني: مجالات الدلالة والتطور الدلالي.**

مجالات الدلالة (الحقول الدلالية):

مفهوم نظرية الحقول الدلالية:

وهي كما عرفها اللغويون بأنّها "مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع تحت لفظ عام يجمعها ويفرض التواصل بين مفرداتها لوجود صلة مشتركة بينها، تفهم معانيها بكيفية متشابهة أو متقاربة، وهو قطاع متكامل من المادة اللغوية تعبر عن مجال معين"[١]، "على فكرة المفاهيم العامة التي تؤلّف بين مفردات لغة ما بشكل منتظم يساير المعرفة والخبرة البشرية المحدّدة للصلة الدلالية، أو الارتباط الدلالي بين الكلمات في لغة معينة، والتي يجمعها لفظ عام؛ لأنَّ اللغة نظام وقيمة كلّ عنصر من عناصرها لا يتعلّق بهذا النظام بسبب طبيعته، أو شكله الخاص؛ بل يتحدّد بمكانه وعلاقته داخل هذا النظام "[٢]، مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية فهي تقع تحت لفظ (لون) وتنقسم إلى الأحمر والأزرق والأبيض وغيرها، ولكن دلالات الكلمات المعنوية يصعب عليهم الاتفاق حول تحديدها؛ لأنَّ درجة فهمها تتفاوت من شخص لآخر، تبعًا للتجربة التي مرّ بها كلّ فرد، وطبيعة البيئة التي ينتمي إليها المتكلّمون باللغة، ومستوى التعلّم، وغيرها من العوامل التي تسهم في تحديد الدلالة، ويكون فهم الكلمات متماثلًا أو متشابهًا حينما يكون الاتفاق ضمنيًّا حول توظيفها واستخدامها، فالطريقة المثلى لفهم معنى الكلمة في هذه الحالة وجودها في التركيب الذي يسهم في إبراز معناها ويجعلها متباينة عن تلك التي تقاربها أو تبدو مشابهة لها، بالإضافة إلى الوظائف الدلالية ذات الارتباط بالمحيط والثقافة اللذين يعبران عن دلالة اللفظ المستقلة عن كلّ كلمات اللغة، ومن هنا كان تعريف الكلمة الذي يعدّ تحقيقًا لهذا الاتفاق أمرًا مُهمًا في استعمال المعاجم للكشف عن معانيها، والحقل الدلالي يتكوّن من مجموعة من المعاني أو الكلمات المتقاربة التي تتميّز بوجود عناصر أو ملامح دلالية مشتركة، وبذلك تكتسب الكلمة معناها في علاقاتها بالكلمات الأخرى، لأنَّ الكلمة لا معنى لها بمفردها، بل إنَّ معناها يتحدّد

---

١- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص٧٩.

٢- ريمون طحان، الألسنية العربية، ط٢، ١٩٨١، دار الكتاب اللبناني، ص ٩٣.

ببحثها مع أقرب الكلمات إليها في إطار مجموعة واحدة، فكلمة (عين) تنتمي إلى جسم الإنسان، ولكن لا تمثل معنى كاملا منعزلة، وربما تفيد معنى آخر إن كانت دلالتها عين الماء أو عين الجاسوس، فمن ذلك يمكن إنّ اللغويين العرب القدامى اهتدوا في فترة مبكّرة إلى تصنيف المدلولات في حقول دلالية ومفهومية فكانت لهم الريادة في تأليف الرسائل ومعاجم المعاني؛ ما يثبت إنَّ نظرية الحقول الدلالية تطوّرت على أيدي علمائها، ونمت بجهودهم المتواصلة، فكانت واضحة المعالم ومعروفة الحدود، ولم تعد نظرية فحسب بل أصبحت منهجًا له تطبيقاته في مجالات كثيرة مثل النص الأدبي والترجمة التعليمية وصناعة المعاجم وما إلى ذلك من الميادين، "فقد أقيمت دراسات عديدة حول الحقول الدلالية من أهمّها: "ألفاظ القرابة، والألوان، والنبات، والأمراض، والأدوية، والطبخ، والأوعية، وألفاظ الأصوات، وألفاظ الحركة، وقطع الأثاث وغيرها"[1]، ومن أهمّ مبادئ نظرية الحقول الدلالية تتلخّص فيما يأتي[2]:

* إنَّ الوحدة المعجمية تنتمي إلى حقل واحد معيّن.
* كل الوحدات تنتمي إلى حقول تخصّها.
* لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الوحدة اللغوية.
* مراعاة التركيب النحوي في دراسة مفردات الحقل.

أنواع العلاقات الدلالية:

العلاقات الدلالية مصطلح حديث يدل على العلاقات بين الكلمات من نواحٍ متعددة كالترادف والاشتراك الفظي والتضاد وغيرها، إذ تبيّن أنّ معنى الكلمة لا يتضح إلا من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى ضمن الحقل الذي تنتمي إليه، "فقد قسّم الدارسون هذه الحقول الدلالية إلى أنواع منها: الترادف، الاشتمال، علاقة الجزء بالكل، التضاد، التنافر، وليس من الضروري أن يكون كلَّ حقلٍ مشتملاً عليها

---

١- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص٨٠.

٢- ريمون طحان، الألسنية العربية، ط٢، ١٩٨١، دار الكتاب اللبناني، ص ١٤.

جميعًا؛ لأنَّه قد تضمّ بعض الحقول كثيرًا منها، على حين تقلّ بعض منها في حقول أخرى"[1]، تتمحور كلها حول علاقة الدال بالمدلول.

* علاقة التضاد التي تكوّن العلاقة بينها على شكل التضاد "لأنَّ النقيض يستدعي النقيض في عملية التفكير والمنطق، فعندما نطلق حكماً ما نتأكّد من صحته وتماسك بنيته بالعودة إلى حكم يعاكسه، ومن هنا تنشأ الحقول المتناقضة، فاللّون الأسود يستدعي الأبيض، والطويل يناقض القصير، والكبير يعاكس الصغير، والغني عكس الفقير وهذا ما يسمى بالتضاد الحاد أو التضاد غير المتدرج، مثل حي وميت"[2]، وهناك ما يسمى بالتضاد العكس، مثل (زوج) يطلق للرجل والمرأة على حد سواء، وكلمة (باع) تطلق على من يبيع ومن يشتري.

* علاقة الترادف وتعدد المعنى، "إذ يتحقّق الترادف بين اللفظين حين يوجد تضمين من الدال والمدلول وتتعدد المعنى؛ لتلبي حاجة الحاجة المتجددة للدلالة على معان وأشياء تتوالد باستمرار عبر تطور الزمان وتعدد المكان واختلاف شروط الحضارة ولا شكّ في أنّ استعمال الكلمات الدالة على تعدّد المعنى يعبّر عن اقتصاد لغوي"[3] فكلمة (والدة) ترادف كلمة(أم) مع اختلاف البيئة والزمان في توظيف الكلمتين.

* علاقة الاشتمال أو التضمين يختلف عن الترادف في أنّه تضمين من طرف واحد من ذلك (الفرس) نوع من الحيوانات.

* علاقة الجزء بالكل مثل علاقة اليد بالجسم، والعجلة بالسيارة، والفرق بين علاقة الجزء بالكل وعلاقة الاشتمال أو التضمن واضح، فاليد ليست نوعا من الجسم، ولكنها جزء منه، بخلاف الفرس الذي هو نوع من الحيوانات وليس جزءًا منها.

* علاقة التنافر إحدى العلاقات التي تربط بين كلمات الحقل الدلالي الواحد؛ وذلك مثل العلاقة بين خروف وفرس وقط وكلب، وكذلك العلاقة بين الألوان ببعضها البعض عدا الأسود والأبيض.

---

١- ريمون طحان، الألسنية العربية، ط٢، ١٩٨١، دار الكتاب اللبناني، ص ١٤.

٢- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص٣٧٠.

٣- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص٣٧٤.

ويمكن القول إنّ لهذه النظرية قيمتَها التي لا يمكن إغفالها، وهذه القيمة متمثلة فيما يأتي:

* الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه والاختلاف بين الكلمات التي تنطوي تحت حقل معين وبين المصطلح العام لها؛ مما يؤكد أنّ اللغة ما هي إلا بناء متكامل.

* تجميع الكلمات داخل حقل دلالي وتوزيعها يكشف الفجوات المعجمية التي توجد داخل الحقل الدلالي الواحد.

* هذه النظرية تمدنا بقائمة من الكلمات لكل موضوع على حدة، كما تمدنا بالتمييزات الدقيقة لكل لفظ؛ مما تسهل على المتكلم أو الكاتب في موضوع معين اختيار ألفاظه بدقة.

* هذه النظرية تضع مفردات اللغة في شكل تجميعي تركيبي ينفي عنها التسيب.

**التطور الدلالي.**

تُعَدُّ معاني المفردات في اللغة أكثر جوانب اللغة تطورًا فهي أكثر العناصر اللغوية استجابة لدواعي التغير، وتعمل العلاقات الاجتماعية والمعطيات الحضارية والبيئات المكانية المرتبطة جميعًا على تغيّر المفردات؛ "فتقضي على بعضها حينًا، وتُحَـوِّرُ بعضها حينًا آخر، والأسباب التي تؤدي إلى تغير هذه الظواهر ليست في أي مادة أخرى أكثر تعقيدًا، ولا عددًا ولا تنوعًا منها في هذا المجال"[1] وبعض اللغويين العرب متحمسين لفكرة إخضاع التطور اللغوي إلى قوانين محددة ذات صيغة علمية خالصة لا تتبع لتطور الإنسان والمجتمعات اللغوية فقط؛ بل تخضع أيضًا إلى الناحية الاجتماعية والتاريخية والسياسية والثقافية، فيرون "أنّ الظواهر اللغوية لا تسير وفقًا لإرادة الأفراد والمجتمعات، أو تبعًا لأهواء المصادفات اللغوية، وإنما تسير وفقًا لنواميس لا تقل في ثباتها وصرامتها واطرادها وعدم قابليتها للتخلف عن النواميس الخاصة بظواهر الفلك والطبيعة، وليس من اليسير تحديد آثار كل منها وتحديد العلاقات التي تربطه بالظواهر اللغوية، وأنّ جمهور اللغويين العرب القدامى لم يختلف موقفهم من التطور الدلالي عن موقفهم من التطور في البنية النحوية والصرفية والصوتية علماً أنهم فطنوا إلى تغير الدلالة بمجيء الإسلام

---

١- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص٣٦٥.

وتطور العلوم وعرفوا سنن ذلك التطور من تعميم وتخصيص ونقل ومجاز لكنهم حاولوا جاهدين الإبقاء على ما نُقل من لغة العرب"[1]، فمن الملاحظ التغير والتوسع الذي طرأ على كلام العرب مع التطور الذي شمل جميع مناحي الحياة، إذا ما قيس بأزمان لاحقة لعصر الفصاحة الذي اقتصر على كلام العرب العتيق قبل الإسلام، فلابدّ من الإشارة إلى أنّ تطور دلالة الألفاظ في العربية يتأثر بزخم الحياة، فقد حظيتِ الكتب والمصنفات الأدبية واللغوية والدينية والعلمية والفكرية المختلفة بما لا يحصى من ضروب التغير الدلالي، فالتغير الدلالي إمكانية توسيع دلالة المفردة أو تضييقها ونقلها بالاستعارة أو المجاز المرسل وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة بقرينة مانعة من إرادة ما وضع له في أصل الوضع.

أسباب التطوّر الدلالي:

يرجع التطوّر الدلالي إلى تغيّر اللسان البشري ومواكبته الحياة العصرية وتأثّره بها، فيطرأ تغيّر في معنى الكلمة الواحدة طبقا للمعنى الذي تؤديه، واستعمالها في مدلولات معينة، وإنّ مدلول الكلمة يتغير تبعًا للحالات التي يكثر فيها استعمالها، "فتتعلق بكل ما يتصل باللغة كالأسباب الصوتية والنحوية والاشتقاقية والسياقية التي تظهر في مدار الاستعمال، ويكون بداية التغير على شكل انحراف أو خروج عن المألوف، ولكن التغير يغدو بعد كثرة الاستعمال عرفًا متواضعًا عليه، ولا سيّما إذا كان يلبي حاجة ماسّة كالتقارب بين صوتين من كلمتين مختلفتين قد يؤدي إلى جعلها كلمة واحدة ذات معنيين، وهذا ما يحدث عادة في الكلمات التي تتخذ صيغة أو نطقًا في المشترك اللفظي"[2]

فقد استعرض علي عبد الواحد وافي أسباب التطوّر الدلالي للألفاظ فعلل إلى كثرةِ استعمال العام في بعض ما يدلّ عليه تجعله بمرور الأيام خاصًا، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله، "فالمفردات التي كانت عند العرب في الجاهلية عامة المدلول ثم شاع استعمالها في الإسلام في معان خاصة تتعلق بشؤون

---

١- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص٣٢١.

٢- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص٣٨٧.

الدين وشعائره، كالصلاة والحج والصوم والمؤمن والكافر والمنافق"[١]، "وكثرة استعمال الخاص في معان عامة تزيل عنه خصوص معناه وتكسبه العموم"[٢]

ومن أسباب التطور الدلالي غموض معنى الكلمة، فكلّما كان مدلول الكلمة واضحًا في الأذهان قلَّ تعرّضه للتغيير، "وكلّما كان مبهمًا غامضًا كثر تقلبه وضعفت مقاومته لعوامل الانحراف فعندما تكون الكلمة مرتبطة بفصيلة من الكلمات معروفة الأصل فإنَّ ذلك يساعد على إيضاح مدلولها، أما عندما لا تكون لها أسرة معروفة الأصل متداولة الاستعمال فذلك يؤدي إلى غموض معناها وإبهامه"[٣].

وقد يكون التطوّر الصوتي سببًا في التطوّر الدلالي أحيانًا، "فثباتُ أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتغيّر أصواتها يساعد على تغير معناها؛ لأنّ تغيّر صورة الكلمة الصوتية يضعف صلتها في الأذهان بأصلها وأسرتها، وهذا يجعل معناها عرضةً للتغيّر والانحراف"[٤]، فتطور أصوات الكلمة قد يجعلها تصبح مماثلة لكلمة أخرى لها معنى آخر فيختلط المعنيان وينجم عن ذلك معنى جديد، وبالرجوع إلى كلمة (كماش) الفارسية في تاج العروس، ووجدتها تعني: "نسيج من قطن خشن"[٥]، قد تطوّرت فيها صوت الكاف فأصبحت قافًا، فشابهت الكلمة العربية (قُماش) وتعني: "ما كان على وجه الأرض من فُتات الأشياء، حتى يقال لرُذالة الناس قماش، وقُماش البيت: متاعه"، وأصبحت هذه الكلمة ذات دلالة جديدة على المنسوجات.

ومن عوامل التطور الدلالي أيضًا كثرة دوران الكلمة في الحديث، فإننا "نلاحظ أن معنى الكلمة يزيد تعرضًا للتغيّر كلما زاد استعمالها، وكثر ورودها في نصوص مختلفة؛ لأنّ الذهن في الواقع يُوَجَّهُ كل مرة في اتجاهات جديدة، وذلك يوحي إليه بخلق معانٍ جديدة، ومن هنا ينتج ما يسمى (بالتأقلم)"[٦]، نفهم من هذا المصطلح

---

١ –حسين حامد الصالح، التطور الدلالي في العربية في ضوء علم اللغة الحديث، جامعة صنعاء، مجلة الدراسات الاجتماعية، العدد ٥ يناير ٢٠٠٣، ص ٧٤.

٢– علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ٣١٩.

٣– المصدر السابق، ٣٢١.

٤– المصدر السابق، ٣٢٢.

٥– الزبيدي، تاج العروس مادة (قمش) ج١٧، ص٣٤٠.

٦– علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، مصدر سابق، ٣٤٥.

قدرةَ الكلمات على اتخاذ دلالات متنوعة تبعًا للاستعمالات المختلفة التي تستعمل فيها، وعلى البقاء في اللغة مع هذه الدلالات.

أشكال التطور الدلالي:

يأخذ التطور الدلالي للفظ الواحد أشكالًا ترتبط بمعنى الكلمة وهذه الأشكال، حدّدها اللغويون في ثلاثة أشياء:

أولاً: تخصيص الدلالة:

ويسمى أيضًا "تخصيص العام أو تضييق المعنى"[١]، وهو أنْ تقصر دلالة اللفظ العام على بعض ما كانت تدل عليه؛ بحيث يصبح مدلول الكلمة مقصورًا على أشياء أقلّ عددًا مما كانت عليه الكلمة في الأصل.

ومن حالات التخصيص الدلالي إطلاق الاسم العام على طائفة خاصة، فلفظ (البهائم) تعني لفظا عامًا للدلالة على بهيمة الأنعام، فالبعض يفهم أنْ المقصود بها (البقر)؛ لأنّ البقر في نظرها هي البهائم، والبعض يقصد بها (الأغنام)، وآخرون يقصدون بها الخيل، وكذلك كلمة (العيال) التي أصبحت تدل على الزوجة، ولكنها أخذت تتجه حالياً لتتخصص في الدلالة على الأولاد أنفسهم، مع أنها كانت تدلّ في الأصل على كل ما يعال في الأسرة"[٢]، وأما كلمة (الحريم) فبعد أن كانت تعني "الذي حُرِّمَ مسُّهُ فلا يُدنَى منه"[٣]، كما في لسان العرب، فأصبحت تعني النساء خاصة، وكلمة حرامي هي في الأصل نسبة إلى الحرام، ثم تخصّصت دلالتها واستعملت بمعنى (اللص)[٤]، وكذلك "الصيام أصله ويعني (الإمساك)، ثم زادت الشريعة النيّة، وحظرت الأكل والمباشرة، وغير ذلك من شرائع الصوم، وكذلك الحج لم يكن عندهم فيه غير (القصد)، وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية (النماء)، وزاد الشرع ما زاده فيها"[٥]، فهذه الألفاظ الإسلامية وغيرها كثير أصابها

---

١- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ٢٥٤.

٢- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص١٥٣.

٣- ابن منظور، لسان العرب، مادة (حرم)، ج١٢، ص١٢٠.

٤- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مصدر سابق، ص١٢٥.

٥- أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص ٧٨-٨٦.

التطور الدلالي نتيجة التطور الاجتماعي والثقافي الذي طرأ على المجتمع العربي بعد مجيء الإسلام.

ثانياً: تعميم الدلالة:

وهو عكس التخصيص وهو توسيع المعنى، ويحصل عند الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام، "ومثلما يصيب التخصيص دلالة بعض الألفاظ فقط يصيب التعميم دلالة بعضها الآخر، فنجد أن معنى الكلمة يصبح ممكن التطبيق على مدى أوسع وأشمل، ويصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، وكثيرًا ما نلحظ الأطفال يطلقون لفظ (الأب) على كل (رجل)، وهم بذلك ينتقلون بالدلالة الخاصة إلى الدلالة العامة التماسًا لأيسر السبل في خطابهم[1].

ثالثاً: انتقال الدلالة:

وهو أن ينتقل اللفظ من مجال استعماله المعروف فيه، إلى مجال آخر، ويشمل هذا المظهر نوعين من تطور الدلالة:

الأول: ما كان انتقال الدلالة فيه لعلاقة المشابهة؛ وذلك يكون في (الاستعارة بنوعيها التصريحية والمكنية)، وهي تشبيه حذف منه أحد طرفيه وأداة التشبيه[2]، وطرفا التشبيه هما المشّبه والمُشبّه به، والاستعارة أسلوب مهم من أساليب العرب في الكلام، وقد حفل كلامهم شعرًا ونثرًا بالاستعارة وبغيرها من ألوان المجاز، وعلى وفق أساليبهم تلك نزل القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[3] فكلمة ( يموج ) لاتقف عند استعارتها لمعنى (الاضطراب)؛ بل إنّها تصوّر للخيال يوم القيامة الجمعَ الحاشدَ من الناس احتشادا لا تُدركُ العينُ مداه حتى صار هذا الحشد الزاخر كبحر ترى العين منه ما تراه في البحر الزاخر من حركة وتموّج واضطراب، ولا تأتي كلمة يموج إلا موحية بهذا المعنى ودالة عليه، وكذلك ما يُوظف من ألفاظ في غير محلها للمشابهة بين المعنيين الحقيقي والمجازي، ويتجلى هذا المظهر في كثير من الكلمات التي انتقلت

---

١ –إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص١٥٤.

٢– الجرجاني، التعريفات، ص٢٠.

٣– سورة الكهف، الآية ٩٩.

من معناها إلى معنى آخر يشبهه، ومن أمثلتها: سن القلم، وعين الحقيقة، وعنق الزجاجة، ورأس الشارع، وصلب الموضوع، وقلب المعركة وغيرها.

الثاني: ما كان انتقال الدلالة فيه لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين، وهو ما يعرف بـ(المجاز المرسل) وعلاقاته التسعة المعروفة، وأمثلة انتقال الدلالة لغير المشابهة كثيرة، فمن ذلك "إطلاق اسم (الشتاء) على المطر؛ لأنّ الشتاء هو الفصل الذي ينزل فيه المطر، فالعلاقة بين المعنيين زمانية، ومن ذلك قول العرب: (أكلنا مَلة) أي: خبز ملة، والملة هي الرماد الحار، وهو موضع الخبزة، فسموا الخبزة باسم موضعها، ومن ذلك إطلاق لفظ (اليد) على النعمة؛ لأنّ النعمة تصدر عنها"[1]، ومنه الكناية أيضًا فمن الكلمات التي تغيرت دلالتها بطريق النقل كلمة: (السفرة) التي كانت تعني الطعام الذي يصنع للمسافر، وهي في الاستعمال الحديث: المائدة وما عليها من الطعام، وقديمًا كان (طول اليد) كناية عن السخاء والكرم، وأصبح اليوم وصفًا للسارق[2]، والأمثلة كثيرة في هذا المجال.

فالفرق بين مظهر الانتقال ومظهري التعميم والتخصيص هو أن المعنى في هذين المظهرين أوسع أو أضيق من المعنى القديم، أما في مظهر الانتقال فالمعنيان القديم والجديد متساويان، ومعنى هذا أن كل أنواع المجاز التي يتساوى فيها الطرفان (المنقول منه والمنقول له) تندرج ضمن هذا النوع المسمى بنقل الدلالة، أو تغيير مجال الاستعمال، وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أن الفرق بين مظهر الانتقال والمظهرين الآخرين من مظاهر التطور الدلالي يتمثل في أن هذين المظهرين يتّمان عادة بصورة غير شعورية، أما هذا المظهر أي (الانتقال) فإنه يتم بصورة قصدية لغرض أدبي غالباً[3]. والحقيقة أن نقل المعنى كثيرًا ما يتم لغير داعٍ إبداعي أو أدبي كالحاجة مثلاً، فقد ينقل المتكلمون اللفظ من مجاله المألوف إلى مجال آخر غير مألوف: "حين تعوزهم الحاجة في التعبير، وتتزاحم المعاني في أذهانهم أو التجارب في حياتهم، ثم لا يسعفهم ما ادخروه من ألفاظ، وما تعلموه من

---

١- الزمخشري، أساس البلاغة، ص٣٤٣.

٢- أحمد مختار عمر، دلالة الألفاظ، ص١٢٦.

٣- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، المصدر السابق، ص٢٤٧.

كلمات، فهنا قد يلجؤون إلى تلك الذخيرة اللفظية المألوفة، مستعينين بها على التعبير عن تجاربهم الجديدة لأدنى ملابسة أو مشابهة أو علاقة بين القديم والجديد"[1].

١- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص١٣٠.

# الفصل الثاني

## التكرار والقصص والمتشابهات اللفظيّة في القرآن الكريم

**المبحث الأول: التكرار في القرآن الكريم وفوائده:**

المطلب الأول: التكرار في القرآن الكريم

المطلب الثاني: فوائد التكرار في القرآن الكريم

**المبحث الثاني: القصص في القرآن الكريم وظاهرة التكرار وآراء العلماء فيها:**

المطلب الأول: ظاهرة التكرار في قصص القرآن الكريم وفوائدها

المطلب الثاني: آراء العلماء في قضية التكرار في قصص القرآن الكريم

**المبحث الثالث: المتشابهات اللفظية في قصص القرآن الكريم:**

المطلب الأول: أنواع المتشابهات اللفظية في قصص القرآن الكريم وفوائدها

المطلب الثاني: المحسنات اللفظية في قصص القرآن الكريم

# المبحث الأول: التكرار في القرآن الكريم وفوائده

## المطلب الأول: التكرار في القرآن الكريم

## المطلب الثاني: فوائد التكرار في القرآن الكريم

**المطلب الأوّل: التكرار في القرآن الكريم**

القرآنُ الكريمُ دستورٌ متكاملٌ يقوم على توحيد الخالق عزّ وجلّ بأساليبَ مختلفةٍ منها الأوامر والنواهي والتحذير والتهديد وقصص المؤمنين والعصاة وعواقب أعمالهم والتكرار والإعادة للفت الانتباه، كما يقول أبن الجوزية: "إنّ كلّ آية في القرآن الكريم فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه؛ فإنّ القرآنَ الكريم إما خبَرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العِلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلعِ كل ما يُعبَد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطَّلبي، وإما أمر أو نهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوقُ التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعَل بهم في الدنيا، وما يُكرِمهم به في الآخرة، فهو جزاءُ توحيده، وإما خبر عن أهل الشِّرك، وما فعَل بهم في الدنيا من النَّكال، وما يحلُّ بهم في العقبى من العذاب، فهو خبرٌ عمن خرَج عن حُكم التوحيد؛ فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقِه وجزائه، وفي شأن الشِّركِ وأهله وجزائهم"[1]، فالتكرار المفيد والمطلوب من أكثر ما نلمحه في القرآن الكريم؛ وذلك؛ "لأنّ أكثر ما تخبو الومضات الإيمانية وأسرع ما تفتر المشاعر الدينية إن لم تستقر فتنزل القلب في ظلام الحَيرة، وقد قيل من السهل جدًّا الإيحاء بفكرة وقتية في عقول الجماعات، ولكن من الصعب جدًّا تمكين معتقد دائم في قلوبهم أو هدم اعتقاد تمكّن فيها، ولم يكن للرسول ﷺ من دليل في هذا الطريق الشائك سوى الوحي القرآني الذي كان يهدف إلى أن يُشرِبَ القلوب عقيدة التوحيد ويمحو فيها العقيدة الوثنية بما قصّ من أنباء وضرب من أمثال وأقام من أدلة؛ لأن غرضه ليس بيان الحق فقط بل تعميق مجراه في القلوب، وليس هذا الحق سوى عقيدة تصل الناس بربهم من غير واسطة فيؤمنون بأنه وحده صاحب الحول والطول وهذا الاعتقاد هو الحالة النفسية التي تعقب الحكم وتقلبه بالتكرار"[2].

وقد سبق القولُ إنّ التكرار من الأساليب المعروفة في اللغة العربية، وهو من أهم سمات سماحتها ومعالم فصاحتها، يُزيّن الأسلوب، ويستميل القلوب، وإنّه من

---

١- ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط٧، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٣، ج١، ص٢٩٠.

١- التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، ص١١٤.

المظاهر الشائعة في القرآن الكريم؛ إذْ يمثّل جانبًا من جوانب البلاغة فيه، وبابًا من أبواب الفنّ، إضافةً إلى الإعجاز الذي أخرس أرباب اللغة، كما يَرِدُ في الكلام للفائدة، وهذا ما دفع أهل اللغة لأنْ يولّوه اهتمامًا كبيرًا، فأخرجوا قيمته الكبرى تأكيدًا لمعناه وتقريره، والتكرار فنّ قولي من الأساليب المعروفة عند العرب؛ بل هو من محاسن الفصاحة، يقول الجاحظ مبيّنًا الفائدة منه: "إن الناس لو استغنوا عن التكرير _التكرار_ وكفّوا مؤونة البحث والتنقير لقلّ اعتبارهم، ومن قلّ اعتباره قلّ علمه، ومن قلّ علمه قلّ فضله، ومن قلّ فضله كثُر نقصه، ومن قلّ علمه وفضله وكثُر نقصه لم يُحمد على خير أتاه، ولم يُذمّ على شرّ جناه، ولم يجد طعم العزّ، ولا سرور الظفر، ولا روح الرجاء، ولا برد اليقين ولا راحة الأمن"[1]، فهذا لو استغنى البشر في الكلام عن التكرار، فما بالك إذن بكلام ربّ البشر سبحانه؟

فالتكرار ظاهرة تميّز بها النص القرآني؛ لتعزيز ما يقتضيه الحال في السياق من أجل تحقيق مقاصد دينية ودعوية وتربوية؛ لما له من أثر في تقوية العلاقة بين الصوت والدلالة لجذب المتلقي، فمن الجانب الصوتي هناك تنويع في تكرار الأصوات الصامتة حسب المواقف، فالقرآن يوظّف الصوت المتكرر لتقرير الدلالة المقصودة، ففي التهويل والتخويف يتكرر الصوت الذي يتميّز بصفات الشدّة والجهر، فالعبارات تتكرر في مواضع متعددة في القرآن الكريم مع اختلاف في طرق الصياغة وعرض الفكرة، وبعض الأوامر والنواهي والإرشادات والنصح ممّا يقرّر حكمًا شرعيًّا أو يحثُّ على فضيلة أو ينهى عن رذيلة أو يُرغِّبُ في خير أو يُنفِّرُ من شرّ، مرة يكون المكرر أداة تؤدى وظيفة في الجملة بعد أن تستوفي ركنيها الأساسيين؛ المسند والمسند إليه، وأخرى تتكرر كلمة مع أختها لداعٍ؛ بحيثُ تفيد معنى لا يمكن الحصول عليه بدونها.

---

١- الجاحظ، مجموعة رسائل الجاحظ، جمع محمد طه الحاجري، ط١، دار النهضة بيروت، ١٩٨٣م، ص١٨٧.

ومن مظاهر التكرار الأداء الصوتي في اللغة العربية؛ مما أعطى مساحة لبلوغ أبعاد صوتية ودلالية وجمالية؛ لما فيه من وقع سمعي وأثر صوتي في تحسين اللفظ وتأكيد المعنى، فهو يعطي النص تماسكًا وقوّةً، وجد فيه العلماء قديما وسيلة لتأصيل التراث اللغوي، ومن ذلك:

* تكرار الأداة:

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]، في الآية الكريمة تكرار "إنَّ"، وهذا الظاهر يقتضي الاكتفاء بـ "إنَّ" الأولى، لكن أعيدت مرة أخرى بسبب طول الفصل بين "إنَّ" الأولى وخبرها، وهذا أمر يُشعِر بتنافيه مع الغرض المسوقة من أجله "إنَّ" وهو التوكيد، لهذا اقتضت البلاغة إعادتها لتلحظ النسبة بين الركنين على ما حقها أن تكون عليه من التوكيد. يرى النحويون إن وردت "إنَّ" وكان بين اسمها وخبرها فسحة طويلة من الكلام، فإعادة "إنَّ" أحسن في حكم البلاغة والفصاحة، كالذي تقدّم من الآيات"[2].

* تكرار الكلمة:

ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾[3].

فقد تكررت "هم" مرتين، الأولى مبتدأ خبرها: "الأخسرون". والثانية ضمير فصل جيء به لتأكيد النسبة بين الطرفين وهي: هُمْ الأولى بالخسران (وهم الأخسرون).

---

١- سورة النحل، الآية (١١٠).

٢- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، الصناعة المعنوية، ط١، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٧، القسم الثالث، ص ١٧.

٣- سورة النمل، الآية (٥).

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

تكررت هنا (أولئك) ثلاث مرات ولم تجد لهذه الكلمة المكررة مع ما جاورها إلا حسنًا وروعة، فالأولى تشير إلى منكري البعث، كفرهم بربهم والثانية تشير إليهم بأنّ الأغلال في أعناقهم، والثالثة، بيان لمصيرهم المهين ودخولهم النار ومصاحبتهم لها على وجه الخلود الذي لا يعقبه خروج منها.

ولو أسقطت (أَولئك) من الموضعين الثاني والثالث في غير القرآن الكريم لأربك المعنى واضطرب، فتصبح الواو الداخلة على (الأغلال في أعناقهم) واو حال وتصبح الواو الداخلة على (أَصحاب النار هم فيها خالدون) عاطفة عطفًا يربك معه المعنى، ومن أمثلة تكرار الكلمة الواحدة للتوكيد في قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[2].

وإما تكرر آية كاملة بعد آية أخرى مباشرة، للتوكيد وإظهار البشارة، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾[3].

* تكرار الفواصل والجمل:

غالبا ما ترتبط تكرار الفواصل بسوء المصير والتنبيه لعاقبته، ونعتمد في دراستنا لتكرار الفاصلة على ثلاث سور هي (الرحمن والقمر والمرسلات) وهي السور التي برزت فيها هذه الظاهرة الأسلوبيّة بشكل لم يرد في غيرها، ولهذا التكرار في المواضع الثلاثة أسباب ومقتضيات.

---

١- سورة الرعد، الآية (٥).

٢- سورة المؤمنون، الآية (٣٦).

٣- سورة الشرح، الآيتان (٥،٦).

ففي سورة القمر "نجد الآية الكريمة (فَكَيفَ كَانَ عَذابِي وَنُذُر) تكررت تسع مرات، فقد صاحبت في كل موضع من مواضع تكرارها قصة عجيبة الشأن، وكان أول موضع ذُكِرت فيه عقب قصة قوم نوح، وبعد أن صوَّر القرآن الكريم مظاهر الصراع بين سيدنا نوح عليه السلام وقومه ثم انتصار الله تعالى لنوح عليهم؛ حيث سلَّط عليهم الطوفان فأغرقهم إلا من آمن وعصمه الله تعالى، وأنّ الله تعالى نجَّى نوحًا وتابعيه، ولكن تبقى هذه القصة موضع عظة وادكار، ولتلفت إليها الأنظار وللتهويل.

أما التكرار الوارد في سورة الرحمن في قوله تعالى: ﴿فَبِأيّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان﴾، فله أسبابه كذلك، منها أنّ هذا التكرار الوارد في هذه السورة هو أكثر صور التكرار الوارد في القرآن الكريم على الإطلاق؛ حيث تكررت الآية الكريمة فيها إحدى وثلاثين مرةً، وأنّ التكرار في هذا الموضع قد مُهِّدَ له تمهيدًا رائعًا؛ حيث جاء بعد اثنتي عشرة آية متحدة الفواصل، وقد تكررت في هذا التمهيد كلمة الميزان ثلاث مرات متتابعة دونما نبو أو ملل، في قوله تعالى: ﴿والسَّمَاءَ رَفَعَها وَوَضَعَ المِيزَان*ألّا تَطْغَوا فِي المِيزان*وأقِيمَوا الوَزَنَ بِالقِسْطِ ولا تُخْسِروا المِيزَان﴾[1]، فهذا التمهيد قد أشاع كذلك لحنًا صوتيًّا عذبًا كان بمثابة مقدمة طبيعية؛ لتُلائم صور التكرار ولتألفها النفس وتأنس بها؛ لأنّ القرآن الكريم قد راعى في فواصل المقدمة التمهيدية ما بنيت عليه فواصل الآية المكررة، كما أنّ الطابع الغالب على هذه السورة هو طابع تعداد النعم على الثَّقَلين؛ الإنس والجن، وبعد كل نعمة أو نِعَم يعددها الله تكرر هذه الآية، وعلى هذا الأساس يمكن بيسر فهم عِلّة التكرار الذي حفلت به سورة الرحمن بأنّه تذكير وتقرير لنعمه، وتذكير عباده بآلائه، وأنّها من الظهور بمكان فلا يمكن إنكارها أو التكذيب بها، ثم فيها بالإضافة إلى ذلك معنى التقريع والتوبيخ؛ لأن تعداد النِّعم والآلاء من الرحمن توبيخ لمن أنكرها، وظاهر هذه الآيات بلاء وانتقام لمن يجحد بهذه نعم،

---

١- سورة الرحمن، الآيات (٧-٩).

والمتأمل يدرك أنّ في الإنذار والوعيد وبيان مآل الضالين عصمة للإنسان من الوقوع فيه فيكون مصيرُه مصيرَهم، ومن هذا الاعتبار يتبين أن هذه المواضع مندرجة تحت النعم؛ لأنّ النعمة إمّا ايصال الخير أو دفع الشر، والسورة اشتملت على كلا النوعين فلذلك كررت الفاصلة.

أما التكرار في سورة المرسلات ففي الآية الكريمة ﴿وَيْلٌ يَومَئِذٍ للمُكَذِّبِين﴾ التي تكررت عشر مرات، وفي كل مواضع يتلوه مشهدٌ من مشاهد يوم القيامة وصورة من صور الحشر أو مشاهد القدرة الإلهية فيها العظة والعبرة ما لا تجدها في الأخرى، أما السبب العام الذي اقتضى هذا التكرار فإنّ الآية الكريمة أعقبت ما من شأنه أن يكون أكبر داع من دواعي الإيمان والتصديق؛ بحيث يكون الخارج عن هذا السلوك والمكذب به صائرًا لا محالة إلى الويل والعذاب الأليم؛ فويل للمكذبين بيوم الفصل، وويل للمكذبين بهلاك المجرمين، وويل للمكذبين بقدرة الله وتقديره أرزاق الخلق، وعلى هذا المنهج يمضى التكرار في السورة كلها.

ويمكن أن تكرر آية واحدة في أكثر من سورة، فقد تكررت الآية الكريمة ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في ستة مواضع في القرآن الكريم، في سورة يونس الآية (٤٨)، وفي سورة الأنبياء الآية (٣٨)، وفي سورة النمل الآية (٧١)، وفي سورة سبأ الآية (٢٩)، وفي سورة يس الآية (٤٨)، وفي سورة الملك الآية (٢٥)، ولكن تختلف موضوع السؤال من سورة إلى أخرى.

* تكرار الصوت، فمن أشكال هذا التلوين الصوتي تكرار الصوت الأول والثاني من الفعل الرباعي قول تعالى: ﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[1]؛ حيث وظّف القرآن الكريم كلمة (كُبْكُبُوا) بدلا من (كُبُّوا) "فتكرار الصامتين الكاف والباء فيه دلالة العنف والشدّة"[2]، لأهل النار على وجوههم، فالكلمة مركبة من مقطعين (كب)، فالصامتان

١- سورة الشعراء، الآية (٩٤).

٢- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، حرف الكاف والباء ص٣٥.

مختلفان بين الجهر والهمس وهذا يدلّ على دقّة توزيع الأصوات وصورة النطق بها، فهما متضادان فالكاف صوت انفجاري مهموس، والباء صوت انفجاري مجهور، فاجتماع الصامتين متّن العلاقة مع دلالة الكلمة وهي تدهور الوجوه بقوة في الجحيم. وكذلك كلمة (زحزح) في قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدّنْيَا إِلاّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[1]، ما يلاحظ على كلمة (زحزح) تكرار الحاء والزاي فهو تعادل الأصوات وتوازنها؛ مما يعطي توجيهًا دلاليًّا لما يحتويان من خصائص صوتية، فهما يلتقيان في الاحتكاك، ويختلفان في الهمس والجهر، فالقرآن يوظّف الحروف لتحاكي أصواتها، كما يقول حسن عباس " فحرف الزاي مثلا صوت يعبّر في بعض المواقف عن الشدّة تارة وعن العناية تارة أخرى، وهنا لها حضور ظاهر في هذا السياق فقد أكسبها مع صوت الحاء انسجامًا حدّدا الدلالة وهي النجاة"[2]، وقد وردت الكلمة مكررة المقطعين في موضع آخر، في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[3]، رغم أنّ الصيغة مختلفة إلا أنّهما يحملان نفس الدلالة وأثرهما أقوى من الزحّ، وكذلك في الكلمات (حصحص وعسعس وزلزل) وغيرها من أشكال التكرار في ألفاظ القرآن الكريم.

كما وردت صورة أخرى للتكرار وهو تكرار الكلمات بهيئتها الاشتقاقية التي تحافظ على النمط الصوتي كقوله تعالى في سورة النازعات: ﴿وَالنّاشِطَاتِ نَشْطاً وَالسّابِحَاتِ سَبْحاً فَالسّابِقَاتِ سَبْقاً﴾[4]، ما يلاحظ على هذا التكرار أنّه قائم على التنوّع؛ حيث " تشكّل من أصوات مختارة رصدا لأبعاد صوتية، وهذا التلوين جمع فيه بين الجمع والمصدر مراعاة للتكوين الصوتي، وما يحققه من توابع دلالية"[5]، فالأصوات في

---

١- سورة آل عمران، الآية (١٨٥).

٢- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، حرف الزاي ص٣٢.

٣- سورة البقرة، الآية (٩٦).

٤- سورة النازعات، الآيات (٢-٤).

٥- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص٢٢.

النص القرآني تتّسم بالدقّة رغم اختلاف خصائصها، فهذا التنوع يعكس حقيقة النظم المعجز لكتاب الله تعالى، فأصوات الكلمات المكررة تقاربت من جهة الخصائص الصوتية بين الهمس والجهر، الشدّة والرخاوة، فنطقها يناسب طبيعة الأجواء التي تحيط بالسياق. فهذه الأصوات مع دلالتها تثير في النفس توجسًا مشحونا بالخوف تسوقه موسيقى واجفة.

ومن أبرز صور التكرار ما ورد في قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[1]، ما يميّز التكرار في (دَكًّا وصفًّا) أنّه متوازن في النبرات دلالته توحي إلى العظمة والهول، فإذا توقفنا عند كلمة (دكّا) اسم يطلق على الانقلاب الكوني الذي يحدث يوم القيامة، وقد احتوى على صوتين يدلّان على القوّة فيما يخصّ الدال " أصلح الحروف للتعبير عن معاني الشدّة والفعالية الماديتين"، "أمّا الكاف فالنطق به في هذا السياق يجب أن يتّسم بالشّدة"[2]، فطبيعته الصوتية متميّزة في القرآن الكريم، أمّا خارجه فالأمر يختلف" إنّ العربي كان يلفظ حرف الكاف في أول المصادر بشيء من الفخامة والشدّة وليس كما نلفظه بشيء من الرقّة والرخاوة. فكان صوته بذلك أوحى بالشدّة والضخامة"[3]، كما أنّ لفظ (صفّا) مناسب لسياق الآية "فالصامتان مختلفان فالصاد بقوّتها، وما تمتاز به من صفة الإطباق مع الفاء المتّسمة بالرقّة أبانا عن الدلالة المتمثلة في الطاعة"[4].

وكذلك من أبرز مظاهر التكرار في القرآن الكريم وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بصفات تلائم ما سبقها، ففي آيات القوة والقدرة والعلم نجد صفته تبارك وتعالى: (اللطيف الخبير) في قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ

---

١- سورة الفجر، الآيتان (٢١،٢٢).

٢- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، مكتبة الأسد، دمشق، ١٩٩٨، حرف الكاف، ص٣٥.

٣- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، حرف الكاف، ص٤٣.

٤- المصدر السابق، حرف الصاد، ص ٤٢.

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1]، وفي آيات العلو والرفعة نجد صفته تبارك وتعالى: (العلي والعظيم) ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيم﴾[2]، وفي آيات الشدة والمنعة نجد صفته تبارك وتعالى: (عزيز حكيم) في قوله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

مما سبق فأنّ القرآنَ الكريمَ يؤدي وظائف جمة منها ما يكون من الناحية الدينية باعتبار أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وتشريع لا يخلو منها فنٌّ من فنونه، وأهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية هو تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به؛ ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين، ومنها ما يكون من الناحية الأدبية؛ فإن دور التكرار فيها متعدد وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدي إلى تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان الجرس الصوتي.

---

١- سورة البقرة، جزء آية الكرسي (٢٥٥).

٢- سورة الأنعام، الآية (١٠٣).

٣- سورة البقرة، الآية (٢٠٩).

**المطلب الثاني: فوائد التكرار في القرآن الكريم**

التكرار من أساليب الفصاحة في اللغة العربية؛ لما ينطوي عليه من فوائد في الكلام، فإنّ كلام البلغاء لا يتكرر عبثا؛ وإنما لفوائدَ كثيرةٍ ومعانٍ جديدة وأغراض مختلفة أوردها علماء اللغة العربية في مؤلفاتهم، ولمّا كان هذا حال كلام العرب، فكلام الله تعالى أولى بذلك، فلا تُرى كلمةٌ أو آيةٌ تكررت إلا لحكمة بالغة وفائدة عظيمة، عند استعرض آيات الذكر الحكيم بالتدبير والغوص في معانيها بناء على ما ذكر من مظاهر التكرار في الآيات السابقة وهو أحسن الحديث، وفي ذلك يقول ربّ العزّة جلّ شأنه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[1]، وقال ابن قتيبة: "من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار للتخفيف والإيجاز؛ لأنّ افتنان المتكلِّم والخطيب في الفنون أحسن من اقتصاره في المقام على فنٍّ واحدٍ، يقول القائل منهم: واللهِ لا أفعله، ثم واللهِ لا أفعله، إذا أراد التوكيد وحسم الأطماع مِنْ أنْ يفعله، كما يقول: واللهِ أفعلُه، بإضمار( لا ) إذا أراد الاختصار، ويقول القائل المستعجِل: اعْجَل اعْجَل، وللرامي: ارمِ ارمِ"[2]، وقد أورد الكرماني في كتابه: أسرار التكرار في القرآن وبين بلاغة القرآن، وفوائد التكرار فيه بشكل مفصل، وقد قال في مقدمة الكتاب: "فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة، أو نقصان، أو تقديم، أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافًا بين الآيتين، أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبين ما السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها، وما الموجب للزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير، والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى، وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في

---

١- سورة الزمر، الآية (٢٣).

٢- ابن الأثير، المثل السائر، القسم الثالث، ص ٧.

السورة التي تشاكلها، أم لا ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها، وتمتاز بها عن أشكالها"[1]. وسنوردها بالتفصيل في دلالات تكرار القصة.

وهكذا حسموا أمر التكرار في التوكيد وقطع الشك، فيمكننا القول إننا لا نجد في القرآن الكريم تكرارًا محضًا؛ بل نجد في أيّةِ آيةٍ أو أيّةِ كلمةٍ أعيدت فيها من الفوائد ما لا تحصى؛ وذلك في كلّ خطاب، نختار منها بعض الآيات ولا نحصيها، والدقة اللغوية تأتي في مقدمة هذه الفوائد التي لا تبلغها دقة العالِم في معمله كما في قوله تعالى: ﴿فَسِيْرُوْا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوْا﴾ في سورة النحل الآية (٣٦)، وفي سورة النمل الآية (٦٩)، وفي سورة الروم الآية (٤٢)، فعطف النظر على السير بأداة العطف (الفاء) التي تفيد التعقيب بلا تراخٍ، فإن الآيات الكريمة تُجمعُ على حثّ المؤمنين على النظر في عواقب المكذبين وهذا نهج عام وهو الاتعاظ بمجرد النظر في آثار الكفار السابقين وكيف دُمّرَت حضاراتُهم، وجاء في سورة الأنعام في الآية (١١) قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ فهنا عطف النظر على السير بأداة العطف (ثم) التي تفيد التعقيب مع التراخي، فإنها تطلب على حثّ المؤمنين على النظر في عواقب المكذبين بمنهج آخر فيه تريثٌ وتراخٍ ودراسة علمية متأنية يُخرجُ منها بمزيد من التفاصيل ومزيد من النتائج والدلالات على وجود الله تعالى وعظمته"[2].

منها التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرَّر تقرَّر، وقد نبّه الله سبحانه وتعالى على السبب الذي لأجله كرّر الآيات التي تنطوي على التنبيه والإنذار في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[3]، ونجد القرآن الكريم يقرر كل شيء؛ لذا نجد التكرار الهادف بين ثنايا آيات الذكر الحكيم زيادة للتأكيد.

منها التأكيد، أقوى أغراض التكرار؛ لأهمية المكرر، كقوله تعالى في الآيتين الثالثة والرابعة من سورة التكاثر: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ*ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، يؤكد رب

---

١- محمود حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن الكريم، ط١، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٤٥.

٢- محمود حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن الكريم، ص ٤٦.

٣- سورة طه، الآية (١١٣).

العزة جلّ شأنه علمَ الإنسان في المستقبل عاقبة التمسك بالدنيا، فقد ورد في الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي قوله: " وعيد بعد وعيد، ويحتمل أن يكون تكراره على وجه التأكيد والتغليظ، عذابٌ في القبر وعذاب يوم القيامة"[١]، والتوكيد لمن يتوقع منه التردد أو ما يزال يطمع في حاجة ما؛ وذلك لقطع الشكّ والتأكيد في قطع أطماعه، كما في قوله تعالى في سورة الكافرون: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

ومنها زيادة التنبيه ليكمل تلقي الكلام بالقبول، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ*يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[٢]، فإنّه كرّر فيه النداء لزيادة التنبيه من قبل مؤمن آل فرعون خوفًا عليهم من عذاب الله تعالى والقبول بالهداية، ومنه: تكرار ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[٣]، قال الزمخشري: "كرر ليجدوا عند سماع كل نبأ منها اتعاظًا وتنبيهًا وإنّ كلّا من تلك الأنباء مستحق باعتبار يختصّ به وأن يتنبهوا كيلا يغلبهم السرور والغفلة"[٤].

ومنها: إذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانيها تطرية له وتجديدًا لعهده، ومنه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[٥]، فقد تكرر ( رأيت) تذكيرا في آخر الآية لما ورد في أولها.

ومنها: التعظيم والتهويل نحو ﴿الْحَاقَّةُ*مَا الْحَاقَّةُ﴾، ﴿الْقَارِعَةُ*مَا الْقَارِعَةُ﴾، ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾؛ لوصف عظم ما سوف يلاقيهم من هول يوم القيامة، ويندرج أيضا تحت التنبيه.

ومنها استمالة المخاطب وإقناعه بأمر ما، كقوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ*يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ

---

١- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ط١، مؤسسة دار الرسالة، بيروت، ٢٠٠٦، ج٢٢، ص٤٤٥.

٢- سورة غافر، الآيتان (٣٨،٣٩).

٣- سورة القمر، الآية (٣٩).

٤- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥- سورة يوسف، الآية (٤).

الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[1]، تكرر لفظ (يا قوم) للتقرب واستمالة المخاطب بقصد الإقناع وتأكيد معنى الأخوة والترابط بين أفراد قومه.

من فوائد التكرار مراعاة جمال الفواصل فتكرار بعض العبارات بين الفقرات من السور يشكّل لوحة بديعة تثير النفس لاستظهار المعاني، وما فيها من تشويق وتحسر وترهيب "تكرار حركة واحدة في رويّ الفواصل وإن اختلفت الحروف في أواخر الكلمات، كالذي نرى في سورة الكهف، ومنها تماثل حرف الروي في فواصل سورة بأسرها على نسق واحد، وهو ما نراه في إحدى عشرة سورة أو التزام حرف الروي في أبعاض السورة أو التزام أكثر من حرف بكل الروي.

ولذلك فإنّ التكرار ورد في القرآن الكريم كثيرًا، ومع أنّ هذا الأسلوبَ في الكلام البشريّ قد لا يسلم من القلق والاضطراب، إلا أنّه جاء في كلام الله عزّ وجلّ مُحْكَمًا؛ ولكون هذه الظاهرة بارزة في القرآن الكريم، فقد تعرّض لها المفسّرون والبلاغيون، وبيّنوا جزءًا من أبعادها ودلالاتها على اختلاف مواقعها، كما حاولوا التعرّف على محاورها وأنماطها التي تمثّلت في تكرار حروف وكلمات، وتكرار بدايات وفواصل، وتكرار جملٍ وآياتٍ، وتكرار قصص وأنباء، سيأتي ذكرها مفصلا.

لكنهم اختلفوا في دلالة توظيفها، فانقسموا إلى فريقين، ففي حين رأى فريق في التكرار ظاهرة ملحّة يرتكز عليها القرآن الكريم في بنيته، لا سيّما أنّ من وظائفه البلاغيّة والتأكيد على المعنى المقصود من الألفاظ المكرّرة، فقد نفى الفريق الآخر التكرار من القرآن الكريم تمامًا، بادّعاء عدم الفائدة من تكرار اللفظ نفسه في السياق نفسه للمعنى نفسه، فحتى لو كانت الألفاظ مكرّرة، فإنّها تدلّ بنظرهم على معانٍ مختلفة، والآخر الذي نجده في المعنى دون اللفظ، كقولك: أطعني ولا تعصني، فإن الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية، مع اختلاف الأسلوبين اللغويين بين الأمر والنهي، ثم حدّدوا مفهومه في أبسط مستوى من مستوياته " بأن يأتي المتكلّم بلفظ ثم يعيده بعينه، سواء أكان اللفظ متّفق المعنى أم مختلفًا، أو يأتي بمعنى ثم يعيده، وهذا من شرط اتّفاق المعنى الأول والثاني، فإن كان متّحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس، وكذلك إذا كان المعنى متّحدًا، وإن كان

---

١- سورة غافر، الآية (٣٨).

اللفظان متّفقين والمعنى مختلفًا، فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين"[1]، فمن ذلك فإنّ المقصود من التكرار في المعنى دون اللفظ، هو عادة ما يرد كثيرًا في القَصَص، كما هو الحال في قَصَص الأنبياء، كقصة آدم، وقصة نوح، وقصة لوط عليهم السلام، أو العذاب والنعيم في الآخرة، أو إحياء الموتى يوم القيامة، وبعض الظواهر الكونية كخلق السموات والأرض، فمع أن هذه القَصَص والظواهر المذكورة تتكرّر في السور القرآنية، فإنّها تجيء في كل مرّة بصيغة مختلفة، وبمفردات مختلفة، ومن ثمّ فهي تَعرِض لأهداف مختلفة، فالألفاظ المستعملة في سياق هذه القَصَص تختلف من موضع لآخر، أما المعاني والعبر فتتكرّر من حين لآخر.

ومن جهة أخرى فإنّه لا يمكن قراءة القرآن الكريم كله في كل وقت، "فلهذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر سوره، لا سيما الطويلة منها، حتى صارت كل سورة قرآنًا صغيرًا، فسهّل السبيل للكل دون أن يحرم أحدًا، فكرّر التوحيد والحشر وقصة موسى عليه السلام"، فتكرار المعاني دون الألفاظ يجيء في القرآن إذن للدلالة على تكرّر الاحتياج والإشارة إليه.

أما التكرار الذي نجده في اللفظ والمعنى، فهو ما تكرّر فيه لفظ بعينه دون اختلاف في عدّة مواضع من القرآن الكريم، أي أن الكلمة أو العبارة أو الآية تأتي بنفس الصيغة والمفردات، وهذا التكرار ينقسم إلى نوعين، فهو إما موصول وإما مفصول، فالموصول تتكرّر فيه إما كلمات، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾.

وأحيانًا يكون التكرير في اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد، والمقصود به غرضان مختلفان كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ* لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[2]، فإنّ هذا تكرير في اللفظ والمعنى

---

١- أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٩، ج١، ص٧٣٠.

٢- سورة الأنفال، الآيتان (٦-٧).

وهو قوله (أَن يُحِقَّ الْحَقَّ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ)، "إنمّا جيء به ها هنا لاختلاف المرد؛ وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها، وانّه ما نفّرهم وخذل أولئك على غيرها، وانّه ما نفّرهم وخذل أولئك لا لهذا الغرض"[١].

هذه بعض الآراء الواردة بشأن التكرار الوارد في القرآن الكريم، ولقد علمنا ممّا سبق أن العلماء اختلفوا في دلالة توظيف هذه الظاهرة البارزة في النصّ القرآني، ورأينا أنهم انقسموا إلى فريقين: فريق نافٍ للتكرار تمامًا وأنّ كلّ قصة لها من العبر والعظات ما ليس في الأخرى، ووقفنا على القليل ممن يقرون بوجود التكرار.

١- ابن الأثير، المثل السائر، القسم الثالث، ص٥.

## المبحث الثاني: القصص في القرآن الكريم وظاهرة التكرار وآراء العلماء

### المطلب الأول: ظاهرة التكرار في قصص القرآن الكريم وفوائدها

### المطلب الثاني: آراء العلماء في قضية التكرار في قصص القرآن الكريم

**المطلب الأول: ظاهرة التكرار في قصص القرآن الكريم وفوائدها**

مفهوم التكرار في قصص القرآن الكريم:

لا يمكن قياسُ القصة القرآنية بأدوات القصة المتعارف عليها أدبيا، ولا ينبغي أن تُقاس؛ لأنّ أدواتِها ربانية وأحداثها واقعية وأبطالها إرشاديون، فما وجدت القصة الأدبية الحديثة إلا لتجاري القصص الحق الذي لا ريب فيه.

والغرض من هذا البحث ليس تقصّى نقاط الخلاف بين الفريقين، ولا إثبات مشروعية التكرار؛ بل للإحاطة بظاهرة التكرار في قصة سيدنا آدم عليه السلام من جميع جوانبها والبحث في مزاياها في التعبير القرآني، ومن ثم توضيح علاقة هذه الظاهرة بالإعجاز البياني، إلا أن معرفة الوظائف التي يؤدّيها التكرار في القرآن قد يفيد القارئ في إدراك الطريق الذي سنسلكه في هذا البحث المتواضع، حين نقوم بتوظيف فائدة جديدة له؛ ولبيان هذا المسلك لا بدّ أن نتحدّث عن ماهيّة هذه الظاهرة، فما هو التكرار؟ وكيف يتجلّى في القرآن الكريم؟

عرض المفسرون والباحثون في علوم القرآن لقضية التكرار في قصص القرآن الكريم، ذلك لأن القرآن الكريم منهج تقويمي إرشادي تتشابه فيه المواقف لتعنت أهل الشرك والضلال فلا بد من تشابه الحجج، فلذلك يعزو ابن قتيبة التكرار في قصص القرآن الكريم إلى نزوله منجما، إذًا لا بد من الإرشاد والوعظ والتنبيه المتكرر فيقول: "وأما تكرار الأنباء والقصص فإنّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن الكريم نجوما في ثلاث وعشرين سنة بفرض بعد فرض تيسيرا على العباد وتدريجا لهم في كمال دينهم، ووعظ بعد وعظ تنبيها لهم من سِنة الغفلة وشحذا لقلوبهم بتجدد الموعظة، وناسخ بعد ناسخ استعبادا لهم واختيارا لهم"[1] ، ولا يختلف معه الزركشي صاحب البرهان في علوم القرآن إنّ التكرار في الأمور المهمة التي تعظم العناية بها، حيث قال: "وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى خشية تناسي الأول لطول العهد"[2] فالقصة المتكررة هي وسيلة لها أغراض دينية وإيمانية لتنظيم أمور الإنسان.

---

١– ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن الكريم، ط٢، ١٩٧٣، دار التراث، القاهرة، ص ١٨٣.

٢– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ج٣، ط١، ٢٠٠٦، دار التراث، القاهرة، ص ١٠.

**ظاهرة التكرار في قصص القرآن الكريم:**

إن القصةَ تمثل جزءًا كبيرًا من القرآن الكريم؛ حيث تمثل ثلث القرآن الكريم كما أورد ابن تيمية في مجموع فتاويه: " فقد قالت طائفة من أهل العلم: إنّ القرآن الكريم باعتبار معانيه ثلاثة أثلاث، ثلث توحيد وثلث قصص وثلث أمر ونهي"[1]، فلا تخلو سورة من سوره إلا وتضمنت إخبارًا عن الماضي إمّا أن تكون لمحة وإشارة وإمّا أن تكون قصة تامة الأركان، وهي نوع من الأساليب القرآنية تحمل كلّ خصائص القرآن الكريم وسِماته العامة منها الإعجاز، فوجوه الإعجاز التي تجدها في سائر القرآن الكريم تجدها أيضًا في القصص، لكن القصص يزيد على ذلك بوجوه أخرى تميزه عن غيره، فمن تلك الوجوه التكرار الهادف؛ حيث تجد في كلّ موطنٍ من مواطنه من العبر واللطائف والإشارات ما لا تجده في القصة نفسها في موطنٍ آخرَ، فالتكرار بمعنى ذكر الشيء مرة بعد مرة وأكثر؛ ما يتحقق في ذلك المفهوم أن يعاد ذكر الشيء بلفظه أو مرادفه من غير أن يكون هناك جديد في الإفادة، وهذا المعنى لا يتحقق في القصص القرآني الكريم.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن كثيرًا، هل في القصص القرآني تكرار؟ ولمَ لمْ تُعرض القِصص مرةً واحدة؟

لا نحبّ أن نتعجل الإجابة عن هذا السؤال، وإنما نرجِئُهُ حتى نلمَّ بالموضوع من جميع الجهات، ولابد أن نقرر بما يلي:

* لم تلتزم القصة القرآنية طريقًا واحدًا من حيث الطول والقصر والإجمال والتفصيل، فهناك القصة المفصّلة: كما في قصة موسى عليه السلام في سورة الأعراف، وقصة نوح عليه السلام في سورة هود.

وهناك القصة المجملة: كما في قصة نوح عليه السلام في سورة الأعراف، وقصة موسى عليه السلام في سورة هود؛ فقد أجملت كلٌّ من السورتين في القصتين ما فصّلته الأخرى.

* إن كلَّ قصة قرآنية مجملة أم مفصلة، قصيرة أم طويلة، جاءت لتفي بالغرض الذي سيقت من أجله، فليس قصر القصة يشعر القارئ بشيء من النقص؛ بل ربّما يذكر في القصة القصيرة ما لا يذكر في غيرها، ولعل خير مثال على ذلك ما ذكرته

---

١- ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، ط١، ج١٧، مطابع دار العربية، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص ٢٠٧.

قصة نوح عليه السلام في سورة العنكبوت؛ حيث أوجز ووفّي الغرض في آيتين، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ *فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

إن بعض القصص القرآني لم يذكر إلا مرة واحدة، وبعضه الآخر ذكر أكثر من مرة؛ ولعلنا ونحن نقرأ هذا القصص ندرك السبب في ذلك، فالقصة التي ذكرت أكثر من مرة في كتاب الله كانت ذات صلة وثيقة بقضية الدعوة والدعاة إلى الله تعالى، أما التي ذكرت مرة واحدة فمع سمو الحقائق التي قررتها وما فيها من مناهج تربوية وغايات رائدة لكنها لم تتحدث عن مجال الدعوة، وعما كان بين الأنبياء عليهم السلام وأممهم وما لاقوهم منهم، إنما كان حديثها في مجلات اجتماعية وجوانب إنسانية وقيم خلقية تمد الباحثين والعلماء بقبس لا يخبو أوارها على مدى الدهر.

وهذا الضرب من القصص _ الذي لم يذكر كثيرا في كتاب الله تعالى _ يظن البعض لأول وهلة أنه قليل إذا قيس بغيره، مما ذكر مرات كثيرة، لكن الأمر على العكس من ذلك، قصة يوسف عليه السلام لم تذكر الا مرة واحدة، كذلك قصة موسى عليه السلام مع أنها طويلة ومتشعبة لكن لم تكرر منها إلا ما يخصّ صراعه مع فرعون، وهي مفردة مع العبد الصالح التي جاءت في سورة الكهف، ومع قومه في دخول الأرض المقدسة التي جاءت في سورة المائدة، ومع قومه في ذبح البقرة سيأتي تفصيله في الفصل الثالث، ومن هذا القبيل ما جاء في شأن ابني الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام، حيث ذكرتا مرتين، إحداهما في مكة في سورة مريم، والأخرى في المدينة في سورة آل عمران، وما جاء في شأن يونس عليه السلام وما كان من خبر أيوب وداؤود وسليمان عليهم صلاة الله وسلامه؛ فلقد ذكر خبر أولئك مفرقا على عدة سور، حيث خصت كل سورة بجانب يلائم موضوعها وشخصيتها.

والقصة الوحيدة التي خرجت عن هذه القاعدة فذكرت أكثر من مرة وليس لها صلة مباشرة بالدعوة والدعاة؛ قصة آدم، ولكن إذا عرفنا أن قصّة آدم أبي البشر جاءت تحدثنا عن النواحي الفطرية والجوانب الرئيسة في حياة الإنسان، وعن الاستعدادات

---

١- سورة العنكبوت، الآيتان (١٤-١٥).

والغرائز التي تتكون منها طبيعته، إذا عرفنا ذلك أدركنا السر الذي ذكرت من أجله قصة آدم في أكثر من سورة.

فالقصص الذي ذكر أكثر من مرّة قصص أولئك الأنبياء الذين تحملوا المشقة ولاقوا العنت، وهم يدعون أقوامهم كنوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام، وكذلك قصة آدم عليه السلام كما ذكرنا.

بالإضافة إلى أنَّ في القرآن الكريم قصصًا لغير الأنبياء، أو لمن اختلف في نبوَّتهم كقصة ذي القرنين، وما كان من حديث لقمان لابنه، ونبأ ابني آدم وقصة أهل الكهف وخبر المائدة التي طلبها الحواريون ونبأ أصحاب الجنة الذي جاء في سورة (القلم)، كلها لم تذكر إلا مرة واحدة.

فهذه القصص جميعها مع ما تعطيه من قيم، ومع كثرة ما فيها من عظات وفوائد، ومع ما يستنتج منها من قواعد كثيرة في الاجتماع والتربية والسياسة والحكم وغير ذلك من المجالات الحيوية المفيدة التي أراد الله تبارك وتعالى لهذه الأمة أن تفيد منها، ومع ما تعطيه هذه القصص من ذلك كله فإنه اكتفى بذكرها مرة واحدة؛ لأنها تؤدي الغرض الذي سيقت من أجله من غير أن تذكر أكثر من مرة.

إن بعض السور القرآنية ذكر فيها أكثر من قصة من هذا اللون، أعني اللون الذي لم يذكر الا مرة واحدة، كما في سورة الأنبياء وسورة مريم، فإذا نظرنا الى هذا القصص في هذه السور وجدناه ذا ترتيب بديع، عجيب الشأن؛ إذ هو يكون منهجًا متكاملًا لما ينبغي أن يكون عليه المسلمون أفرادًا وجماعات، فسورة الكهف مثلاً، انفردت بقصص أربع لم تذكر في غيرها وهي قصص أهل الكهف، وقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وقصة ذي القرنين، وقصة صاحب الجنتين، والذي يبدو لنا والله أعلم بما ينزل أن ذلك إيحاء للمسلمين ليدركوا العناصر الرئيسة التي لابد أن تتوافر في شخصيتهم، فقصة أهل الكهف تمثّل عنصر العبادة والعقيدة، ولما كان أكثر ما يزلزل هذه العقيدة في النفوس ويفسد هذه العبادة، أمران اثنان هما طغيان المال وإغواء الشيطان، ثم قصة أصحاب الجنّتين ذكرت بعد قصة أهل الكهف حتى يستطيع المسلمون أن يحصنوا عقائدهم ويحافظوا على عباداتهم، فذكرت قضية المال وما يسببه من طغيان في قوله سبحانه: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا

جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾[1]، وذكر الأمر الآخر وهو احتيال الشيطان على الناس في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا﴾[2]، وبعد ذلك ذكرت القصة الثانية، وهي قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح، وهذه القصة إنما تبين عنصرًا آخر لابد أن يتوافر للمسلم وهو عنصر العلم، ذلك أن العبادة بلا علم لا يأمن صاحبها على نفسه من أن يضل ويطغى، وتزل قدم بعد ثبوتها.

أما القصة الثالثة في سورة الكهف فهي قصة ذي القرنين؛ وهي تمثل العنصر الثالث في حياة المسلمين، وهو عنصر الجهاد، وهكذا رأينا هذه السورة الكريمة تحدثنا عن القضايا الأساسية التي لابد للمسلمين منها وهي العقيدة والعلم والجهاد، ولذلك يُسنُّ قراءتها كل أسبوع.

إنّ القصص الذي ذكر أكثر من مرة في كتاب الله قد لا نجد منه قصة واحدة ذكرت في سورتين اثنتين بطريقة واحدة، لا بد أن نجد كل قصة جاءت فيها مالم يجيء في الأخرى، ففي كلّ قصة من المشاهد والجزيئات والأحداث وما تفردت به السورة التي ذكرت فيها هذه القصة، مع الاختلاف فيما بينها من حيث الألفاظ والتراكيب التي ذكرت في كل قصة، من حيث الموضوعات والجزيئات والمشاهد والمواقف الموزعة على السور التي ذكرت فيها القصة، ومن حيث اختصاص كل سورة بما جاء فيها من هذه المواقف والمشاهد كما في سورة سيدنا موسى وقصة سيدنا آدم عليهما السلام.

والباحث في القصة من حيث التكرار ولكي تكون نتائجه مقبولة، وأحكامه صحيحة؛ لابد من أن يقوم بدراسته دراسة موضوعية، وهذه لا تتم إلا أن تكون ركيزته الأولى بحث القصة من حيث ترتيب النزول باعتبار القرآن الكريم نزل منجما على مدى ثلاثة وعشرين عامًا؛ ليعرف ما الذي نزل أولًا وما الذي نزل بعد ذلك، هذه هي

---

١- سورة الكهف، الآية (٣٢).

٢- سورة الكهف، الآية (٥٠).

الدراسة الموضوعية التي يمكننا أن نصدر بها أحكامًا صحيحة، وأن نصل بها إلى نتائج منطقية عن سبب التكرار وأهدافه.

إنّ مجيء القصة على ما جاءت عليه في كتاب الله عزّ وجلّ يفتح للدارسين أبوابًا للتأمل والاستنتاج والمقارنة ليدركوا سرَّ العظمة في هذا الكتاب، فقد حاول بعض الباحثين أن يبحثوا قضية التكرار في القصة القرآنية، فبدؤوا دراستهم بالسور القرآنية من حيث ترتيبها في المصحف ليثبتوا نفي التكرار، بأن تقسّم القصة إلى مشاهد وأحداث، أو موضوعات، فيذكر كلّ موضوع أو حدث أو مشهد في سورة؛ بحيث يذكر في سورة ما ولا يذكر في سورة في غيرها، بل تختصّ كلّ سورة بذكر شيء معين لا يوجد في مشاهد السورة الأخرى، فمثلاً يذكر مولد موسى عليه السلام في سورة، وخروجه من مصر في سورة، وخروجه من مصر في سورة أخرى، وإرساله إلى فرعون في سورة غيرها، ودعوته لبني إسرائيل وما قاساه في سور، فتختص كل سورة بحدث معين، كما آثر البعض دراستها حيث ترتيب النزول، والزمن بين كل حدث وآخر والحالة التي نزل بها كل سورة بما يناسب الحدث بما أن الهدف الرئيس للقصص هو تثبيت فؤاد النبي ﷺ ومواساته في الدعوة بعد الأذى الذى تعرض له من المشركين.

فإذا نظرنا في القصة القرآنية من حيث عدد المرّات التي وردت فيها وظهور العناصر الفنية فإننا نجد أنّ هناك قصصًا وردت مرةً واحدة وفيها عناصر القصة الفنية من شخصية وحدث وزمان ومكان وحوار مكتملة ومستوفية كقصة يوسف عليه السلام وقصة ابني آدم وقصة أصحاب الكهف وقصة صاحب الجنتين وقصة ذي القرنين وقصة أصحاب القرية وقصة أصحاب الجنة. كما نجد قصصاً تكرر ورودها في مواضع مطوّلة وأخرى أقلّ طولاً كقصة سيدنا آدم عليه السلام التي وردت مفصّلة في سورة البقرة[1] وسورة الأعراف[2] ووردت حلقات مطولة تكشف عن بعض

---

١ – سورة البقرة الآية ٣٠–٣٩.

٢ – سورة الأعراف الآية ١٠–٢٥.

جوانبها في سورة الحجر[١] الإسراء[٢] وطه[٣] وص[٤] كما وردت إشارات عنها في سورتي آل عمران[٥] والكهف[٦].

لذلك نجد أن القصة الواحدة في القرآن الكريم قد تتكرر في مواضع كثيرة، وهي الحرية التي يمنحها القرآن الكريم للذهن في القصة الواحدة أو الموضوع الواحد؛ ليقودنا إلى إدراك المعنى الكلي للقرآن الكريم، فكما أن الفراغ بين الآيات يتيح للذهن ملأه بمعرفة ثالثة كذلك القصص والموضوعات المتكررة تتيح للذهن أن يفعل ذلك ليس في الموضوع الواحد أو القصة الواحدة إنما في القرآن الكريم ككل؛ فيكون بإمكان الذهن عند ملء الفراغ بين الكتلتين سواء بالمقارنة أم بغيرها من الأساليب أن ينشئ الربط المناسب بين الآيات، وهذا يؤدي بالذهن إلى التطور عبر كامل القرآن الكريم وليس التطور عبر قصة واحدة أو موضوع واحد حيث تكون في نفس المعنى الذي تهدف إليه السورة بشكل عام فلا تخرج عنه على اعتبار الوحدة مفهوما أساسًا في القرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[٧]، كذلك يؤدي هذا التعدد في زوايا القص إلى جعل السورة ميدانا للتدبر وليس التسلية؛ لأنّ الذهن عندئذٍ يكون منفعلا ومصدوما ومتسائلا، فالقصة ليست مُعطاة مرة واحدة؛ بل هي مبثوثة في كامل القرآن وعلى الذهن أن يبحث عنها ويوظّف قدراته لأجل ذلك لئلا يركن إلى الدعة والراحة والاستسلام، وبما أن القصة القرآنية لا يمكن إطلاق العنان في ملء الفراغ إلا بما يناسب التأدب مع الله سبحانه وتعالى.

---

١ – سورة الحجر الآية ٢٦–٤٤.

٢ – سورة الإسراء الآية ٦١–٦٥.

٣ – سورة طه الآية ١١٥–١٢٧.

٤ – سورة ص الآية ٦٧–٨٥.

٥ – سورة آل عمران الآية ٥٩.

٦ – سورة الكهف الآية ٥٠–٥١.

٧– سورة النساء الآية ٨٢.

**فوائد التكرار في القصة القرآنية:**

تعتبر القصة من أهم الآثار الأدبية التي تصور الخُلُق والعادات والأحاسيس الباطنية، فأهدافها تهذب النفوس والقلوب، ويمكن أن تكون سبب استخدام القصة في القرآن الكريم العلاقة الوثيقة بينها وبين النفوس البشرية، ومن جهة أخرى أن التجارب التربوية تدل على أن المواعظ الدينية التي تُعرضُ على هيئة قصصية أشدُّ تأثيرًا على المخاطبين؛ لأنها تبعث الأحاسيس فيهم حتى يتأثروا بالأحداث والوقائع العقلية المختلفة، هذه القصة في القرآن الكريم، أما تكرار القصة الواحدة في القرآن الكريم فإنما هو لفائدة اشتمل عليها كلّ موضع خلت منها المواضع الأخرى، ومن أمثلة ذلك: عصا موسى عليه السلام؛ ففي سورة طه الآية (٢٠)، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾، وفي سورة الأعراف الآية (١٠٧)، قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وفي سورة النمل الآية (١٠)، قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾، فوصف الله سبحانه وتعالى عصا سيدنا موسى عليه السلام بالحيّة من حيث الخِفة والنشاط وسرعة الحركة، وبالثعبان باعتبار ضخامتها، وهي كأنها جانٌّ لكونها مرعبة.

كما إنّ تكرار القصة في عدة سور بأساليب مختلفة إنما يهدف إلى تمكين هذه السُنن في النفس وتثبيتها في القلب؛ حتى تقوى داعية الإصلاح عن المصالح فلا يجد اليأس سبيلا إليه، ومع الإعجاز البياني فإنّ القصة قد تطول وهي ذات جوانب كثيرة، فالله سبحانه وتعالى يذكر جانبا منها في موضع يناسبه، ويذكر جانبا آخر أو جوانب أخرى في موضع آخر يناسبه لتتم الصورة الكلية للقصة ويتبين معالم الهدف المقصود منها"[١] حسب تفاوت البشر ودرجاتهم ومن ذلك " فإنّ القصة يقصد بها التأثير النفسي لما يعلم الله تبارك وتعالى تفاوت مدارك البشر وأمزجتهم؛ إذ منها ما ينفد إلى الحقيقة، ومنها ما يسيطر عليها الوهم تحت سلطان الأفكار الموروثة، ومنها ما يصل بها برود العاطفة ثم إلى جمودها ثم المثيرات العاطفية"[٢]، فهو أيضًا لتقرير النِّعم وتأكيدها والتذكير بها

---

١- محمود البستاني، قصص القرآن ص ٣٣٤.

٢- التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، ص ١٢٨

ومن مقاصد التكرار في القصص القرآني ترهيب الجاحدين وإنذارهم بما جرت عليه سنة الله في المكذبين الرسلَ، ولا أدلّ على ذلك من صدق السنن الإلهية من حدوثها مرارا في ظروف متماثلة وأزمان متباعدة.

بالإضافة إلى بيان وحدة الأديان في أصل العقيدة ووحدة الدعوة التي دعا إليها الرسل عليهم صلوات الله، وتشابه أقوامهم في مواقفهم، وتقتضي تعزيز هذه الحقيقة أن تعرض طائفة من قصص الأنبياء ومتابعته.

* من فوائد تكرار القصة أنها تصيب هدفين أو أكثر في القصة نفسها في موضع لأخرى، أو تتحدث من جهةٍ غير الجهة التي تعرضت إليها في مواضع أخرى؛ وذلك نظرا لأنّ القرآنَ الكريم كتابُ هدايةٍ وعبرة، وليس كتابَ سردٍ تاريخي، ولا متعة أدبية فارغة، فتكون القصة وسيلة لتحقيق تلك الأهداف المتعددة، متجهة نحو الغرض الذي سيقت من أجله ومن أمثلة ذلك قصة سيدنا موسى عليه السلام وصراعه مع فرعون كما في الآية (١٠٣) من سورة الأعراف، يقول ربّ العزّة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ تشير الآية إلى المعجزات الحسيّة التي أيّد الله بها سيدنا موسى عليه السلام وحده عند بعثه لفرعون فتقدمت (بآياتنا) بغرض توجيه الرسالة إلى موسى عليه السلام، بينما في الآية (٧٥) من سورة يونس يقول الله تعالى ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ فتهدف الآية إلى إشراك سيدنا هارون مع موسى بناء على طلبه فقد تأخرت (بآياتنا) وهي الآيات التي يشترك فيها هارون مع موسى عليهما السلام.

* المعالجة الحكيمة للنفوس بترسيخ العقيدة السمحة والمفاهيم الصحيحة في عقول المدعوِّين إلى التوحيد وذلك في قالب قصص واقعي جذاب من أهم فوائد التكرار، ولقد قرّر علم النفس الحديث أن الشيء يرسخ في النفس بتكراره مرارًا ما لا يرسخ بعرضه مرة واحدة أو مرتين، ولاسيّما إن كان أمرًا جديدًا تنفر منه طبائع المشركين، وتشذ عنه عادات الجاهلين.

* التحدي والإعجاز البلاغي في أعلى مراتبه؛ لأنّ كلَّ قصة كُرِّرت لا بدّ أن يحصل في ألفاظها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إجمال أو تفصيل أو غير

ذلك في مواضع مختلفة منها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[1]، فقد كررت القسم الأول من الآيات بألفاظها مع بعض التغيرات في خواتيمها، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[2]، وقد يُوظّفُ أسلوبٌ غير الأسلوب الذي وظّف في القصة الأخرى، فأعجز الله تعالى بها أصحاب اللغة وأخرس ألسنتهم "ولو سلك القرآن الكريم طريقًا واحدًا في إيراد القصص لقال الكفار نحن نقدر على مثل هذا النوع، فقطع الله عليهم كل سبيل للاعتراض، وذكر في القرآن الكريم أنواعًا مختلفة وترك لهم حرية اختيار ما يشاؤون منها، لكنهم عجزوا فدلّ عجزهم على صدق القرآن الكريم وأنّه وحيٌ منزل من الله عزّ وجلّ"[3].

* جذب النفوس إلى سماع القصة بالمغايرة بين أساليب القصة الواحدة، وبذلك تظهر خاصة للقرآن الكريم لم تكن في غيره من الكلام، وهي أنه بتكرار المعني الواحد منه بأساليب مختلفة، لا يزداد عند السامع إلا قبولا ولا يعتري قائله ملل ولا سآمة، بخلاف غيره إذا كرر مهما تنوعت أساليبه سئمته الأسماع وملته الأفواه، وهذا من إعجاز القرآن الكريم وتأثيره في النفس الإنسانية، وذلك أن النفوس تميل إلى التنوع في الأساليب من تقديم وتأخير وزيادة ونقصان وتتعدد بذلك الصور التي تستلذها النفس ويميل إليها القلب، فلا يحدث الملل من أسلوب واحد، وفي هذا التنويع تجديد للكلام وتطريته، ففي قصة آدم عليه السلام وصراعه مع إبليس تجد الآيات الألفاظ نفسها تتكرر ومحاورها تتغير، ففي الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[4]، وفي الآية الكريمة: ﴿ وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُوْا لِآدَمَ فَسَجَدُوْا إِلَاّ إِبْلِيْسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَاْنَ مِنَ

---

١ – سورة البقرة، الآية ١٤

٢ – سورة البقرة، الآية ٧٦

٣– سعيد محمد اللحام، قصص القرآن، مصدر سابق، ص ٣٢٤.

٤ – سورة الكهف، الآية ٥٤.

الْكَافِرِيْنَ﴾[1]، نلمح في الآية الأولى طاعة الملائكة الكرام ويقابلها فسق إبليس، وفي الآية الثانية طاعة الملائكة الكرام ويقابلها رفض إبليس ووصفه بالكفر.

* تمكين العظة والعبرة وإيقاظ الهمم، فبالتكرار ينتبه غير المنتبه ويزداد إدراكا وتعمقا؛ وذلك لأنّ بعض القلوب لا تنتبه إلا إذا كرر عليها الخبر أكثر من مرة، والعقول والضمائر تتفاوت من سرعة التنبيه والاستفادة، فإنّ الله تبارك وتعالى يكرر القصة حتى يستفيد في المرة الثانية والثالثة من لم يمكنه من الاستفادة في المرة الأولي، وفي ذلك تعميق للعظة والعبرة" [٢]

* كذلك فإن تكرار القصة تسلية للنبي ﷺ وتثبيت لقلبه، وقلوب أصحابه رضوان الله عليهم، وذلك ليري الرسول ﷺوالمؤمنون ما لاقى الأنبياء وأتباعهم من أذى أقوامهم، وثباتهم على الحق، ومصابرتهم ومجاهدتهم في سبيل الله حتى كانت العاقبة لهم والدائرة على أعدائهم، فيصبروا على أذى المشركين كما صبر غيرهم من الرسل.

فتكرار القصة في عدة سور بأساليب مختلفة إنما يهدف إلى تمكين هذه السنن في النفس وتثبيتها في القلب حتى تقوى داعية الإصلاح عند المصلح، فلا يجد اليأس سبيلا إليه، وقد كان من تربية الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ أن قصّ عليه من سير الأنبياء ما يسليه؛ لأنّ نفوس المفسدين في كل زمان متقاربة ووسائلهم في محاربة الحق متشابهة[٣] قال تعالى: "مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ" [٤] فلذلك نجد شدة عناية الحقّ تبارك وتعالى بشأن القصة أو الجانب المكرر منها إما لدلالتها على التوحيد كقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ومعاداته للأصنام وأهلها، وإما لدلالتها على نصرة الله تعالى لأنبيائه على أعدائه كقصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون وإما لغير ذلك من عظات وعبر للمسلمين كما يُعلم من تتبع قصص القرآن.

---

١ – سورة البقرة، الآية ٣٤.

(٢) سعيد محمد اللحام، قصص القرآن ص ٣٢٨.

(٣) التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن ص ١٣٠.

(٤) سورة فصلت آية ٤٣.

* ومن مقاصد تكرار القصة في القرآن كذلك "ترهيب الجاحدين وإنذارهم بما جرت عليه سنن الله بعقاب المكذبين لرسله، ولا أدل على صدق السنن الإلهية من حدوثها مرارًا وفي ظروف مماثلة وأزمان متباعدة"[١].

كما جاء في سورة العنكبوت في معرض ذكر عدد من الأنبياء تكررت أنباؤهم في أكثر من سورة، إذ يقول تعالى: وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ، فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ، وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ، وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ، فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٢].

* ومن فوائد تكرار القصة في القرآن الكريم كذلك ضمن مجموعة من القصص بيان وحدة الأديان في أصل العقيدة ووحدة الدعوة إليها من الرسل وتشابه أقوامهم في موقفهم منها قال تعالي: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٣]، ويقتضي تقرير هذه الحقيقة أن تعرض طائفة من قصص الأنبياء متتابعة تروي كل ذلك كما ورد سابقًا[٤]، والملاحظ في عرض قصص الأنبياء التزام القرآن الكريم صيغة واحدة فيما حكاه من دعوة هؤلاء الرسل إلى الله عزّ وجلّ، فقد قال كل رسول لقومه "اعبدوا الله ما لكم من إله غيره" "وقد كان له أن يتصرف في حكاية كلامهم بصيغ متنوعة تؤدي نفس المعنى؛ لأنهم كانوا يتكلمون بغير لغة القرآن الكريم ولكن التكرار هنا في اللفظ والمعني معا للإشعار بأنّ كلامهم إنما صدر عن واحد وهو الله سبحانه وتعالى واتجه إلى غاية واحدة وهي التوحيد"[٥].

---

(١) التهامي نقرة، سيكولوجية القصة، مصدر سابق، ص ١٣١.

(٢) سورة العنكبوت الآيات ٣٥-٤٠.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٥.

(٤) التهامي نقرة، سيكولوجية القصة، مصدر سابق، ص ١٣٢.

(٥) المصدر السابق ص ١٣٣ .

"إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجومًا في ثلاث وعشرين سنة، وكانت وفود العرب ترد على رسول الله ﷺ للإسلام، فيقرئهم المسلمون شيئًا من القرآن، فيكون ذلك كافيًا لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرّقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثنّاة ومكرّرة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع، ويثبتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير"[١].

فالمتدبر الآيات التي تتضمن التكرار في القصة القرآنية يجد أنها تصنف إلى نوعين؛ صُوْرِي وحقيقي، فالأول هو الواقع في القرآن الكريم لأنّ ظاهره التكرار وحقيقةً ليس فيه أيُّ تكرار، والثاني يستحيل وقوعه في القرآن الكريم، ونفي التكرار عن القرآن من الإيمان المطلق بأنّه كلام الله عزّ وجلّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليس هذا فحسب؛ بل لا وجود للتكرار أصلا وهذا ما يمليه الإنصاف العلمي، وما لهذه الخصيصة من تميز وظهور فقد أفردنا الحديث عنها لبيان المراد بإطلاق التكرار في القرآن وبيانِ مغازيه وأهدافه التي تزيده سموًّا ورفعةً وبيان تلك الروعة القرآنية، ومن العلماء من يقرّ بوجود التكرار في القصة " فقد تتكرر القصة الواحدة في القران الكريم، ولكن في تكرارها فوائد في كل واحد منها لا توجد في الأخرى من غير تعارض؛ لأنّها لما كانت منزلة لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب؛ فلذلك اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب وذكر في بعضها من المعاني ما ليس في البعض الآخر حتى لا تملَّ لفظها ولا معانيها"[٢]، " فتعرض القصة ما يلائم موضوع السورة، فإنّ هذا يقتضي تكرار عرض القصة في أكثر من سورة سواء أكان عرضا كاملا مختلفا عن العرض الأول أم عرضا جزئيا"[٣]، ومن العلماء من ينكر وجود التكرار في القصة القرآنية "ويحسب أناس أن هناك

---

١ – ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مصدر سابق، ص٢٣٢.

٢ – عبد الكريم زيدان، المستفاد من قصص القرآن الكريم للدعوة والدعاة، ط١، ١٩٩٨، مؤسسة الرسالة، بيروت ج١، ص٦.

٣ – فهد عبد الرحمن الرومي، دراسات في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص ٦١١.

تكرارا في القصص القرآني؛ لأنّ القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى ولكن النظرة الفاحصة تؤكد ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يساق وأنه حيثما تكررت حلقة كان هناك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار"[1]، ومن هنا يمكننا أن نفهم أهداف التكرار في ضوء الحِكَم والأسرار التي اشتملت عليها.

* إن عرض الحادثة الواحدة في أساليب كثيرة متلونة وصور بيانية متنوعة دون أن يختلَّ نظامه أو يضطربَ معناه أو تتفككَ روعته أو يضعفَ مستواه لهو مما يعجز عنه أبلغ الفصحاء، مع العلم أن القرآن الكريم نزل في فترات متباينة، وفي هذا المعنى يقول الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى في كتابه إعجاز القرآن: "إن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة لتؤدي معنى واحدًا هي من الأمور الصعبة التي تظهر فيها الفصاحةُ وتَتبيّنُ فيها البلاغةُ "[2].

* إنّ القرآن الكريم كما تحدَّى فصحاء العرب بتنوع أساليبه الكثيرة تحدّاهم كذلك بمحاكاة أسلوب واحد من أساليبه الكثيرة ولون واحد من ألوانه العجيبة فعجزوا خاسئين وفي هذا المعنى يقول الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى في كتابه إعجاز القرآن الكريم: " ونبهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأً ومكررً وكم من سرٍ بلاغي وحكمةٍ ومغزًى ودلالةٍ تكمن وراء ظاهرة التكرار يحسبه الفارغون فراغًا وما هو بفراغ "[3].

* من أهداف التكرار ما هو تعليمي حينما يكون لحِكَم دَعْويَّة وإرشادية وعِلْمية بأسلوب التنويع في ضروب البلاغة وأساليب البيان فإنّ التكرار مع هذا الإعجاز بالتنويع قائم وحاصل وهو أبلغ في الإعجاز مما لو كان لمجرد إظهار البراعة المعجزة في التنويع ولو اشتملت بعد ذلك على حِكم ولطائف فالإعجاز في القرآن قائم كيفما توجهت الأهداف، ومهما تنوعت الأساليب وضروب البلاغة في القرآن

---

١ – سيد قطب، في ظلال القران الكريم، ج١، ص٥٥.

٢ – أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط١، دار المعارف، القاهرة، ص٩.

٣ – الباقلاني، إعجاز القرآن، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تبعًا للمعاني حيثما حلّقت، وإن كان كلٌ من المعاني الإرشادية والضروب البلاغية في القرآن الكريم لا ينفكُّ عن الآخر، لكنَّ عرض الحكمة والمقصد من التكرار يختلف من أسلوب لآخر وهذا مما يزيد في إظهار جلالة القرآن وقداسته، ويفصح عن دقة بلاغته، وبديع بيانه، وجديد روعته، ويكونُ أدحضَ لشبهِ المستشرقين، وافتراءاتِ المدَّعين.

إنّ من ينظر في آيات القرآن الكريم يجد أنّ الله سبحانه وتعالى كرّر ذكر كثير من الأنبياء في أكثر من سورة، وأكثر من موضع مثل قصة موسى عليه السلام فقد ذكرت في كثير من سور القرآن الكريم منها سورة البقرة والمائدة والأعراف ويونس وهود وطه والقصص والشعراء والنمل وغافر والنازعات، كما نجد أنه قد تكرر آيات بعينها لغايات مقصود بها، أو تكرار كلمة في الآية.

والحقُّ أنَّ تكرارَ القَصص القرآني ليس تكرارًا للقصة بآياتها وعباراتها وإنما هو ذكر جانب أو أكثر من القصة في موضع لمناسبة ما، وذكر جانب آخر أو أكثر في غيره لمناسبة أخرى، مع تباين واختلاف هذه الجوانب بعضها عن بعض، تكملة للصورة العامة التي يقررها القرآن في قصصه.

فتكرار القصّة في القرآنِ الكريمِ وثيق الصلة بمنهجه القصصي يخدم غرضين في آنٍ واحد:

غرضًا فنيّا يتمثلُ في تجدّد أسلوبها إيرادا وتصويرا، والتفنّن في عرضها إيجازا وإطنابا، والتنوع في أدائها لفظًا ومعنى، وغرضا نفسيا بما له من تأثير في النفوس؛ لأنّ المكرّر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ودوافعها كما هو مقرر في علم النفس[1].

والتكرار في القصص القرآني ظاهرة واضحة ملفتة للنظر وداعية لكثير من التساؤلات والبحث، فقد وجد أصحاب الأهواء ومرضى القلوب من الملحدين وأعداء الإسلام مدخلا ملتويًا يدخلون منه على الطعن في القرآن والنيل من بلاغته وإعجازه ويتكئون على ذلك بحجج واهية وأدلة باطلة وهي أنّ التكرار في القرآن قد أدخل الاضطراب على أسلوبه وجعله ثقيلا علي اللسان والسمع، يبعث على الملل والسآمة، وهم بذلك

---

١- التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن الكريم، مصدر سابق، ص ١١٥.

يخلصون إلى نتيجة وهي أن أسلوب القرآن ليس علي المستوى البلاغي الرفيع الذي يجعل القرآن معجزا وأنه من السماء"[1].

وإذا كان هؤلاء يتشدقون بهذه الكلمات كذبًا وبهتانًا على رسول الإسلام وكتابه، فإن الذي دفعهم إلى ذلك هو عداوتهم للإسلام وحقدهم على رسوله ﷺ من المؤكد أنهم لم يتذوقوا طعم البلاغة العربية ولم يقفوا على أسرارها ولم يسبروا أغوارها ليفقهوا دقائقها "ولو أنهم رُزقوا شيئًا من هذا لما طاوعتهم ألسنتهم أن ينطقوا بهذا البهتان العظيم الذي لم يقع في حسبان قريش ولم تقل به، مع أنها كانت تتصيد التهم والمفتريات على القرآن الكريم، حتى لقد بلغ بها الأمر أنها لو وجدت زورًا من القول لقالته فيه ورمته به، ولكن الزور نفسه أعياها أن تتمسك به في وجه هذا الحقّ المشرق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"[2].

وبقراءة ما ردوا به على النبي ﷺ في القرآن الكريم نجد أنّهم مرة قالوا إنّه ساحر وأخرى إنّه كاهن وثالثة إنّه مجنون وإنّه شاعر، وقالوا إنّه كاذب وإنّ القرآن كذب، ونعوذ بالله مما يقولون.

وقد تحداهم القرآن بأقسى عبارة في التحدي في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ممَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3]، فعجزوا رغم أنوفهم، مع أنهم كانوا يفهمون أسرار البلاغة العربية، وأن التكرار عجز بلاغي، ومع ذلك كانوا معاندين.

وسوف أبين أثناء دراستي لدلالات التكرار في القصة ما يدفع هذه الشبهة وينفي وجود هذه المفارقات التي لا يبرّرها ما يقتضيه العمل الفني والأدبي من تصرف في عناصر الأحداث أو الشخصية؛ لأنّ هذا وإن جاز في القصص الأدبي التاريخي لا يجوز بحال من الأحوال في القصص القرآني والله تعالى يقول " لَقَدْ كَانَ فِي

---

١- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني، ص ٢٣٠.

٢- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني، المصدر نفسه، ص ٢٣١.

٣- سورة البقرة، الآية ٢٣.

قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"[1].

والجمال الفني في قصص القرآن الكريم لا يعتمد والابتكار والخيال، ولكن على صدق الرواية وإبداع العرض وجمال الأداء بالإضافة إلى الواقعية؛ لذا فإنّ التكرار في قصص القرآن لم يكن لمجرد التكرار والترديد؛ بل هو تجديد للمعاني، "والفرق بين التجديد والترديد أنّ الترديد يكون تكرارا لا غاية له أو يكون لمجرد التوكيد، أما التجديد في تكرار اللفظ فإنه يكون لغاية بعده لا تتم إلا به"[2].

يقول السيوطي في الإتقان "والتكرير أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة ومن فوائده التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر"[3]، وقد نبّه رب العزة سبحانه وتعالى إلى السبب الذي لأجله كرّر الأقاصيص من الإنذار في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[4].

وقد لفتت ظاهرة التكرار في قصص القرآن الكريم أنظار العلماء إليها وحركت عقولهم وقدحت زناد فكرهم للكشف عن أسرارها ودواعيها، إذ لا يمكن أن يُفهم القصص القرآني حقّ الفهم إلا إذا عُلِمَ الهدف من القصص القرآني، ومن ثم عُرفت خصائص هذا القصص، وبالتالي يتضح لنا الحكمة من هذا التكرار.

ومجمل القول في ذلك بأنّ نقول: لما كان من أغراض القصة في القرآن الكريم إثبات وحدة الإله ووحدة الدين ووحدة الرسل ووحدة طرائق الدعوة ووحدة المصير الذي يلقاه المكذبون، ولما كان الأمر كذلك فقد استدعى المنطق القرآني هذا التكرار؛ لتحقيق تلك الأغراض وتثبيتها في قلوب المؤمنين وتحذير المعاندين من مغبَّة الإعراض عنها، فنشأ عن خضوع القصة لهذه الأغراض – كما يقول سيد قطب رحمه الله – "أن يُعْرَض شريط الأنبياء والرسل الداعين إلى الإيمان بدين واحد والإنسانية المكذبة

---

١- سورة يوسف، الآية ١١١.

٢– التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، مصدر سابق، ص ١٤٩.

٣– السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ١، مصدر سابق، ص ٦٢.

٤– سورة طه، الآية ١١٣.

بهذا الدين الواحد مرات متعددة، بتعدد هذه الأغراض، وأن يُنشئ هذا ظاهرة التكرار في بعض المواضع"[1].

والقرآن الكريم كله عبر ومواعظ وتنبيهات بأساليب مختلفة، كلها تصب في العبادة؛ مما يستوجب التكرار فيه وذلك لفوائد وأغراض كثيرة.

فقد ورد في كتاب حقائق الإسلام حول شبهات المشككين حديث مفاده " أنّ التكرار في القصة في القرآن الكريم محكمًا، وقد ورد فيه كثير من الآيات في هذا الشأن، ولكن ليس فيه موضع قد أُخذ عليه ما دَعا إليه دعاوى المغالين، فإن بينهم وبين القرآن تارات، فهم له أعداء إذا أحسنوا الفهم لكتاب الله لوجدوا أنّ التكرار فيه – مع سلامته من المآخذ والعيوب – ما يؤدي وظيفتين:

أولاهما: من الناحية الدينية.

ثانيهما: من الناحية الأدبية.

فالناحية الدينية باعتبار أن القرآن كتاب هداية وإرشاد وتشريع لا يخلو منها فنّ من فنونه، وأهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية هو تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين.

أما الناحية الأدبية: فإن دور التكرار فيها متعدد، وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدي إلى تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان، وليكن حديثنا عنه[2]".

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم ، المجلد١، ص ٣٦.

(٢) مجموعة مؤلفين، حقائق الإسلام حول شبهات المشككين، سينا للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٧٦.

**المطلب الثاني: آراء العلماء في قضية التكرار في قصص القرآن الكريم.**

لم يترك العلماء أمرًا في القرآن الكريم إلا وتناولوه وسبروا في أغواره، وتفننوا في عرضه، فتباينت آراؤهم واختلفت دراساتهم ولكنهم اتفقوا جميعهم في إعجاز القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن هذه الدراسات تكرار القصة في القرآن الكريم الذي أخذ حيّزًا كبيرًا من اهتمامهم وتفتقت فيه أذهانهم، فانقسموا حيال ذلك إلى فريقين: بعضهم يقرّ بوجود التكرار المحمود والمقصود الذي يعتمد على التنبيه والتحذير والتهديد، وهؤلاء قلة، ومنهم من يرفضه جملة وتفصيلا، والذين نفوا وجود التكرار في القرآن يرون أن المقصود من كلمة تكرر لفظها في القرآن الكريم هو غير تلك الكلمة في موضع آخر، فإذا تكررت كلمة في القرآن الكريم مرتين فالكلمة واحدة لكن المعنى والمقصود اثنان.

أما من يقرّ بوجود التكرار في القصة في القرآن الكريم فيرون أن التكرار ليس ذمًّا أو قدحًا إلا إن كان مما يمكن الاستغناء عنه، وكان الذي نكرره خاليًا من أي معنى جديد يضاف إلى الأول، فهو حينئذ يكون لغوًا لا فائدة منه، وهذا ليس منه في القرآن الكريم شيء، أما ما عدا ذلك فهو على العكس، إنه أمر مطلوب مرغوب، وإن فُقِد في الكلام كان ذما أحيانًا.

نظر علماء اللغة إلى التكرار على أنه أسلوب بلاغي ومظهر جمالي، وعدَّه بعضهم ظاهرة لغوية، كما فطن علماء المسلمين لقيمة التكرار في القرآن الكريم الذي نزل بلسان العرب أريد بذلك التوكيد والإفهام من خلال التدرج والتنبيه والتجديد، والتكرار هو استدعاء النموذج العقلي الممثل للشيء أو الفكرة والعمل عليه أكثر من مرة، هذا النشاط المتكرِّر يعمل على تقوية النموذج العقلي وتثبيته، كما أن التكرار يؤدي إلى صقل الشبكة التي يعمل من خلالها العقل وتهذيبها وزيادة كفاءتها.

ومنهم الجاحظ في رسائله مبينًا الفائدة من التكرار: "إن الناس لو استغنوا عن التكرير وكفوا مؤونة البحث والتنقير لقل اعتبارهم، ومن قلَ اعتباره قلَ علمه، ومن قلَ علمه قلَ فضله، ومن قلَ فضله كثر نقصه، ومن قلَ علمه وفضله وكثر نقصه لم يُحمد على خير أتاه، ولم يُذم على شر جناه، ولم يجد طعم العزَ، ولا سرور

الظفر، ولا روح الرجاء، ولا برد اليقين ولا راحة الأمن، فهذا لو استغنى البشر في الكلام عن التكرار، فما بالك إذن بكلام رب البشر سبحانه؟"[1]

ويرى الزركشي في البرهان "أنّ التكرار مصدر كرر إذا ردد وأعاد، وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ظنّا أنه لا فائدة له وليس كذلك بل هو من محاسنها لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض وذلك فإنّ عادة العرب في خطاباتها إذ أبهمت بشيء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيدًا وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه أو الاجتهاد في الدعاء عليه حيث تقصد الدعاء وإنما نزل القرآن بلسانهم وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد؛ لأنّ الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة وكلها داعية إلى الشهوات ولا يقمع ذلك إلا تكرار المواعظ والقوارع"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في التعليق على تكرار قصة موسى عليه السلام مع قومه وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن، يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعًا غير النوع الآخر، ولها دلالات تختلف عنها في المواضع الأخرى كما تختلف أسماء الله تعالى وصفاته حسب الموضع وصفات الرسول صلى الله عليه وسلم وأسماء القرآن الكريم، فيقول: "كما يسمَّى اللهُ ورسولُه وكتابُه بأسماء متعددة، كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر، وليس في هذا تكرار، بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي صلى الله عليه وسلم إذا قيل: محمد، وأحمد، والحاشر، والعاقب، والمقفى، ونبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر، وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة،

وكذلك القرآن الكريم إذا قيل فيه: قرآن، وفرقان، وبيان، وهدى، وبصائر، وشفاء، ونور، ورحمة، وروح، فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر، وكذلك أسماء الرب سبحانه وتعالى إذا قيل: الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن،

---

(١) الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج٣ ص ١٨١.

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج٣ ص٩.

العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور: فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر، فالذات واحدة، والصفات متعددة، فهذا في الأسماء المفردة.

وكذلك في الجمل التامة، يعبَّر عن القصة بجُمَل تدل على معانٍ فيها، ثم يعبر عنها بجُمَل أخرى تدل على معانٍ أُخَر، وإن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة، ففي كل جملة من الجُمَل معنًى ليس في الجُمَل الأُخَر[١].

قال ابن قتيبة: "وكانت وفود العرب تَرِد على رسول الله صلى الله عليه وسلم للإسلام، فيقرئهم المسلمون شيئًا من القرآن، فيكون ذلك كافيًا لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم"[٢].

وما أورده الشيخ محمد رشيد رضا الذي يقول إنه قد تكرر القصة الواحدة في القرآن الكريم، ولكن في تكرارها فوائد في كل منها فائدة لا توجد في الأخرى من غير تعارض في المجموع،" لأنها لمّا كانت منزَّلة لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب؛ اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب، وذكر في بعضها من المعاني والفوائد ما ليس في بعضها الآخر حتَّى لا تُملَّ ألفاظها ومعانيها، ثُمَّ إن الأقوال المحكية فيها إنما هي معبرة عن المعاني وشارحة للحقائق وليست نقلا لألفاظ المحكي عنهم بأعيانهم، فإن بعض أولئك المحكي عنهم أعاجم، ولم تكن لغة العربي منهم كلغة القرآن في فصاحتها وبلاغتها، هذا وإن اختلاف الأساليب وطرق التعبير في قصص القرآن وفي القرآن عمومًا عن المعنى الواحد لا تختلف إلا لكي تفيد في فهمها فائدة لفظية أو معنوية"[٣].

ولذلك يعدّ التكرار إنما أتى في مواضع من الَقُرْآن الكَرِيم كي يستزيد المؤمن إيمانًا كون التكرار الذي يراه في الَقُرْآن الكَرِيم يأتي في كلّ مرة بِأسلوب جديد، وصياغة

---

١- ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، ط١، المجلد١٩، مطابع دار العربية، بيروت، ١٣٩٨هـ، ص١٦٧.

٢- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٢٣٤.

٣- محمد رشيد رضا، مجلة المنار، ط٢، المجلد١، مطبعة الوفاء للنشر والتوزيع، مصر، ١٣٢٧هـ، ص ٣٦.

جديدة، فقصة موسى عليه السلام في سُوْرَة (الْقَصَصِ)، لا تشبه قصته نفسها في إطارها العام في سُوْرَة (طَه) وغير الدلالة التي تحمل في طيات القصة نفسها في سورة (الأعراف).

أما سيد قطب يزيد على ذلك بقوله: " قد يحسب أناسٌ أنَّ هناك تكرارًا في القصص القرآني؛ لأنّ القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنّه ما من قصة أو حلقة قد تكرّرت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق، وأنّه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار"[١]، وهو بذلك يقرّ بعدم وجود التكرار في القرآن الكريم؛ لأنه يرى أن التكرار هو تكرار اللفظ نفسه في السياق نفسه للمعنى نفسه بغير فائدة، أما ما يأتي في سياق آخر ومناسبة أخرى غير التي جاء فيها أولاً فإنّه لا يعد تكرارًا، وهذا ما جاء في قصص القرآن الكريم.

ذكر ابن قتيبة في دفاعه عن القرآن: "فأمّا تكرار الأنباء والقصص فإنّ الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجومًا في ثلاثٍ وعشرين سنة بفرض بعد فرض تيسيرا منه على العباد، وتدريجا لهم إلى كمال دينه، ووعظ بعد وعظ تنبيها لهم من سنة غفلة وشحذًا لقلوبهم بمتجدِّد الموعظة"[٢].

وعدّه ابن رشيق من أصول البديع: "وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقلّ"[٣].

أمّا الزركشي فنظر إليه على أنّه من علم المشابه: "وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة، ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب؛ ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكرر"[٤].

---

١- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص ٣٦.

٢- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٢٣٢.

٣- ابن رشيق، العمدة، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ، ج٢، ص٧٣.

٤- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ج١، ص١١٢.

أمّا النحاة فقد صنّفوه ضمن باب التوكيد، وانصبّ اهتمامهم بالحركات الإعرابية التي تحدد المعاني، وقد أشار إليه ابن جني في باب الاحتياط: "اعلم أنّ العرب إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد، هو على ضربين، أحدهما تكرير الأول بلفظه، وهو نحو ذلك: (قام زيد) و(ضربت زيدا وضربت)، والثاني تكرير الأول بمعناه، وهو على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم والآخر للتثبيت والتمكين، الأول كقولنا: قام القوم كلّهم، ورأيتهم أجمعين، والثاني: نحو قولك: قام زيد نفسه، ورأيته نفسه"[١].

التكرار من خصائص الأسلوب القرآني، وقد ورد في كلام العرب، وتنوّعت مواطنه في القرآن الكريم في الحروف وفي الكلمة وفي الجمل وفي الآية الواحدة وفي القصة؛ مما أعطى توازنا صوتيا يحقق السهولة في الفهم والتأمل في السياق مع قوة التماسك والتناسق.

ومن العلماء الذين نفَوا وجود التكرار في القصة في القرآن الكريم الخطيب الإسكافيُّ حيث قال: "إذا أورد الحكيم – تقدَّست أسماؤه– آية على لفظة مخصوصة، ثمَّ أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غيَّر لفظة عمَّا كانت عليه في الأولى فلابدّ من حكمة تُطلب، فإنّ أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها فليس لأنَّه لا حكمة هناك، بل جهلتم"[٢]، وذلك أنَّ ما يرد في الكتاب العزيز ممَّا ظاهره التَّكرار زيادة في المبنى مما يؤدي إلى زيادة في المعنى والفائدة، أو تتميم معنى، أو بناء غيره من الكلام.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: "لقد علمنا أن الله تحدى المعارضين بالسور كلها ولم يخصّ، فعلم أن جميع ذلك معجز وذلك لأن الكلمات المكررة لفظًا هي ذاتُ معانٍ جديدةٍ بعد تكرارها"[٣].

---

١– ابن جني، الخصائص، تحقيق علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٣ ص ١٠٤.

٢– الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، معهد البحوث العلمية جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠١، ج١، ص ٦١.

٣– الباقلاني، إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص ١٠٧.

وقال حجة الإسلام الغزالي في كتابه (جواهر القرآن ودرره) لا تكرار في القرآن إذ حدُّ المكرر ما لا ينطوي على مزيد فائدة، فإن رأيت شيئاً مكررًا من حيث الظاهر فانظر في سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة في إعادته[1].

ويقول محمد قطب في كتابه (دراسات قرآنية): "الظاهرة الحقيقية ليست هي التكرار، وإنما هي التنوع؛ إذ لا يوجد نصّان متماثلان في القرآن الكريم كله، إنما يوجد تشابه فقط دون تماثل، تشابه كذلك الذي قد يوجد بين الإخوة والأقارب، لكنه ليس تكرارًا بحال من الأحوال، إنه مثل ثمار الجنة ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْها مِن ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾[2]، وإنّ التنويعَ ذاتَه لجمالِ فوقَ أنه يُذهبُ عن النفس المِلال"[3].

ويقول عبدالرحمن المَيداني في كتابه (قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله): "على متدبر كلام الله تعالى أن يبحث في كل نص يبدو له أنه من النصوص المكررة في القرآن ليكتشف غرض التكرير إذا كان النص مكررًا حرفيًّا، وليكتشف فوارق المعاني إذا كان النص المكرر مختلفا ولو بعض الشيء ولو بكلمة أو حرف في كلمة، فكثير من النصوص التي يتوهم فيها التكرار هي ليست في الحقيقة مكررة، ولكنها متكاملة يؤدي بعضها من المعاني المرادة ما لا يؤديه البعض الآخر، وكذلك قصص القرآن الكريم كمثال للتكرار أو التنويع تأتي في كل مرة في سياق مختلف عن غيره، وله هدف خاص يسوق القصة من أجله لتظهر منها الأجزاء التي تناسب هذا الهدف المحدد، وكل سياق تأتي فيه القصة لا تتشابه ألفاظها وأجزاؤها مع القصة الثانية في السياق الثاني؛ بل لا بد من تقديم لكلمة وتأخير لأخرى، أو ذكر لشيء في موقف وعدم ذكره في المرة الثانية، وهكذا حسب مقتضيات المعنى والسياق، ووفق أغراض بلاغية أصيلة"[4].

---

(١) الغزالي، جواهر القرآن ودرره، ص ١٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥.

(٣) محمد قطب، دراسات قرآنية، ص ٢٣٤.

(٤) عبدالرحمن الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ، ص ٣٤١.

يقول الأستاذ فاضل السامرائي في (التعبير القرآني): " فأنت ترى أن القصة في القرآن الكريم كأنها تتكرر في أكثر من موطن، والحقيقة أنها لا تتكرر، ولكن يعرض في كل موطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق، وبحسب ما يراد من موطن العبرة والاستشهاد"[1].

وضرب مثلاً لذلك قصة موسى عليه السلام فإنها تحوي عبراً كثيرًا وأهدافًا متعددة، فإنْ كان غرض السياق تطمين قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه جاء جانب النبي المنتصر على فرعون وجنوده بتأييد الله، ولبيان استعلاء الناس واستكبارهم في الأرض يأتي جانب المواجهة بين موسى وفرعون، وما جرى بينهم من محاورات.

ولكن بالمقابل جاء البعض على غير ما هو وارد في كتب العلماء؛ حيث نقل خليل عبد الكريم ما ذكره محمد خلف الله في رسالته الفنّ القصصي في القرآن الكريم، "إنّ في القرآن قصصًا مكررة اعتمادًا على ورود بعض قصص الأنبياء في أكثر من سورة، فيتساءل " لماذا كرّر القرآن الكريم قصص آدم، ونوح، وهود، ولوط، وصالح، وشعيب وغيرهم من الرسل والأنبياء؟ إن الوقوف على تاريخ كلّ واحد من هؤلاء يكفي في إيراد القصة الواحدة في الموطن الواحد، وليس يلزم أن تكرر القصة في أكثر من موطن من مواطن القرآن "[2].

فإن هذه الشبهة ليست جديدة، والتكرار أسلوب عربي معروف عند العرب في العهد الأول، وكل ما جاء في القرآن منه له فائدة، وقد ردّ على هذه الشبهة جمع من المعاصرين، ومن أحسن ما كتب فيها ما جاء في كتاب: (حقائق الإسلام حول شبهات المشككين)، وهو كتاب ألفته مجموعة من العلماء، فقد جاء في هذا الكتاب في معرض الكلام على الرد على شبهة التكرار: "يقع التكرار في القرآن الكريم على وجوه: مرة يكون المكرر أداة تؤدي وظيفة في الجملة بعد أن تستوفي ركنيها الأساسيين، وأخرى تتكرر كلمة مع أختها لداع، بحيث تفيد معنى لا يمكن الحصول عليه بدونها، فاصلة تكرر في سورة واحدة على نمط واحد، قصة تتكرر في مواضع

(١) فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ط٤، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٦، ص ١٧٥.

(٢) محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ط٤، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٦١.

متعددة مع اختلاف في طرق الصياغة، وعرض الفكرة، بعض الأوامر، والنواهي، والإرشادات، والنصح مما يقرر حكمًا شرعيًّا، أو يحث على فضيلة، أو ينهى عن رذيلة، أو يرغب في خير، أو ينفر من شر، وتكرار القرآن في جميع المواضع التي ذكرناها، والتي لم نذكرها مما يلحظ عليها سمة التكرار، في هذا كله يباين التكرار في القرآن ما يقع في غيره من الأساليب؛ لأن التكرار، وهو فن قولي معروف، قد لا يسلم الأسلوب معه من القلق والاضطراب، فيكون هدفًا للنقد والطعن؛ لأن التكرار رخصة في الأسلوب إذا صح هذا التعبير، والرخص يجب أن تؤتى في حذر ويقظة"[1].

من كل ما سبق نستخلص أنّه قد يحدث أن يتكرر عرض القصة نفسها، أو عرض الجانب الواحد منها بحسب الظاهر، ولكن تلك القصة أو ذلك الجانب منها ينطوي على عبر وعظات متعددة، فيقتضي الغرض الديني أن يعاد ذكرها عندما تأتي مناسبة كلّ عبرة من عبرها، فتلبس القصة في كل مرة من الأسلوب والإخراج التصويري ما يناسب المعنى الذي سيقت بصدده حتى لكأنك منها أمام قصة جديدة لم تتكرر على مسامعك، ولم تعرض أحداثها على خاطرك من قبل.

(١) مجموعة مؤلفين، حقائق الإسلام حول شبهات المشككين، سينا للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٧٧.

## المبحث الثالث: الدلالة وأنواعها ووظائفها ومجالاتها وتطورها.

### المطلب الأول: مفهوم الدلالة وأنواعها ووظائفها.

### المطلب الثاني: التطور الدلالي؛ أسبابه وأشكاله.

**المطلب الأول: المتشابهات اللفظية في قصص القرآن الكريم، أنواعها وفوائدها**

علوم القرآن الكريم متعددة ومتشعبة، وثمة علمٍ من بينها يسمى علم المتشابه، وهو علم له أصوله وفروعه، وله علماؤه ومؤلفاته، وله فوائده ومزاياه، وآية متشابهة أو آيات متشابهة أو متشابهات هي الآيات القرآنية المتشابهة التي تحمل أكثر من تفسير لها، يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1].

في هذه الآية الكريمة بداية ونهاية فرع من علوم القرآن الكريم نجده يبدأ منها وينتهي عندها، إذ احتوت كلماتها على المحكم ويقابله المتشابه، والراسخون في العلم يؤمنون بالمحكم والمتشابه معا، ويقابلهم الذين في قلوبهم زيغ ممن يؤولونه خطأ يبتغون بذلك الفتنة، ومن هذه الآية كانت بداية تعريف مصطلحي كلٍّ من المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.

ولقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أنه كله محكم إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾[2]، وجاء فيه ما يدل على أنه كله متشابه إذ قال جل شأنه: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِها﴾[3]، وجاء فيه ما يدل على أن بعضه محكم وبعضه متشابه إذ قال عزّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[4]، ولا تعارض بين هذه الإطلاقات الثلاثة؛ لأن معنى إحكامه كله أنه منظم رصين متقن متين لا يتطرق إليه خلل لفظي ولا معنوي كأنه بناء مشيد محكم يتحدى الزمن ولا ينتابه تصدع ولا وهن، ومعنى كونه كله متشابها

(١) سورة آل عمران، الآية ٧.

(٢) سورة هود، الآية ١.

(٣) سورة الزمر، الآية ٢٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٧.

أنه يشبه بعضه بعضا في إحكامه وحسنه وبلوغه حد الإعجاز في ألفاظه ومعانيه حتى أنك لا تستطيع أن تفاضل بين كلماته وآياته في هذا الحسن والإحكام والإعجاز كأنه حلقة مفرغة لا يدري أين طرفاها.

وأما أنّ بعضَه مُحكم وبعضَه متشابه فمعناه أن من القرآن الكريم ما اتضحت دلالته على مراد الله تعالى منه، ومنه ما خفيت دلالته على هذا المراد الكريم، فالأول هو المحكم والثاني هو المتشابه، يقول الزركشي: "فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنّ كل القرآن الكريم يجب أن يكون معلوما وإلا ما أدى إلى فائدة الانتفاع به، وأنه لا يصح أن يكون في القرآن الكريم بعض ما لا يعلم تأويله إلا الله، وقال ابن عباس أنزل الله تعالى القرآن الكريم على أربعة أوجه، وجه حلال وحرام، ووجه لا يسع أحد جهالته، ووجه تعرفه العرب، ووجه تأويله لا يعلمه إلا الله"[١]، فإن الذين اتفقوا عليه لا يمكن أن يختلفوا فيه هو أنه لا تنافي بين كون القرآن الكريم كله محكما أي متقنا وبين كونه كله متشابها أي يشبه بعضه بعضا في هذا الإتقان والإحكام وبين كونه منقسما إلى ما اتضحت دلالته على مراد الله وما خفيت دلالته؛ بل إن انقسامه هذا الانقسام محقق لما فيه كله من إحكام وتشابه بالمعنى السابق.

**تعريف المحكم والمتشابه:**

المحكم في اللغة يستعمل بمعنى المتقن والممنوع من الخطأ، وورد في لسان العرب "أحكم الأمر أي أتقنه"[٢] ويقال أحكم الرأي أي أتقنه ومنعه من الفساد، والإتقان البالغ ومنه البناء المحكم الذي أتقن، فلا يتطرق إليه الخلل أو الفساد، ويقول الزركشي: "والحكمة اللجام الذي يحيط بحنكي الفرس؛ ليحكمه ويمنعه من الحركة والاضطراب"[٣]، والقرآن الكريم بهذا المعنى اللغوي محكم كله أي متقن ممتنع عن

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص ٦٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حكم) ص ٩٥٣.

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، مصدر سابق، ص ٧٠.

النقص والخلل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما في قوله تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[1]، يقول ابن منظور في لسان العرب "أحكمت بالأمر والنفي ثم فصلت بالوعد والوعيد والمعنى أن آياته أحكمت وفصلت بجميع ما يحتاجه إليه من الدلالة على توحيد الله عزّ وجلّ وتثبيت نبوة الأنبياء وشرائع الإسلام"[2].

وكثرت تعريفات المحكم عند العلماء في الاصطلاح "وهو الذي يدل على معناه بوضوحٍ لا خفاءَ فيه، وما لا يحتمل من التأويل إلا وجهًا واحدًا، وما كانت دلالته راجحة، وما عرف المراد منه إما بالظهور أو بالتأويل، وهو الواضح الدلالة الذي لا يحتمل النسخ، وما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، وهو المتقن الذي لا يتطرق إليه الإشكال"[3].

أما المتشابه في اللغة "المتماثل ويقال أمور متشابهة أي متماثلة يشبه بعضها بعضا ويقال شابهه وأشبهه أي ماثله إلى درجة الالتباس"[4]، والقرآن الكريم بهذا المعنى اللغوي محكم جله وبعضه متشابه كما ورد في الآية الكريمة، وهو أيضا مأخوذ من الشّبه وهو التماثل بين شيئين أو أشياء ولما كان التماثل بين الأشياء يؤدي إلى الشك والحيرة ويوقع في الالتباس؛ لذا توسع العلماء في اللفظ وأطلقوا عليه اسم المتشابه، ويقال اشتبه الأمر عليه أي التبس، منها ما استأثر الله بعلمه، أو ما لم يستقل بنفسه واحتاج إلى بيان برده إلى غيره، أو ما احتمل أكثر من وجه، أو ما كان غير واضح الدلالة ويحتمل النسخ، وكل ذلك مرتبط بالتفسير والبيئة العربية في

---

(١) سورة هود، الآية ١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (حكم) ص ٩٥٤.

(٣) ابن الجوزي، مجالس ابن الجوزي، ص ١٠٥.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شبه) ص ٢١٩٠.

الجاهلية، يقول ابن الجوزي: " يحتمل بعض المعاني لعدم اتضاح دلالته، ولا يتعين المراد منه إلا بضمّها إلى المحكم"[١].

وعلى تشابه الشيء وتشاكله لونًا ووصفًا، يقول الجرجاني: "شِبْه وشَبَه وشَبيه، والشبه من الجواهر الذي يشبه الذهب، والمشَبِّهات من الأمور المشكلات، والمتشابهات المتماثلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا"[٢]

وبربط المتشابهات بالقصة القرآنية فإنها تعني التماثل، والالتباس والمشكلات من الأمور، والمشتبهات وما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره من حيث اللفظ ودلالة المفردة والواحدة، أو من حيث المعنى ودلالة الكلام المركب، أما في الجملة فهي ثلاث أضرب: متشابه من جهة اللفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهة اللفظ والمعنى معًا ويربط ذلك أيضا بالقصة القرآنية ومتشابهاتها، قال ابن كثير: "في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أُخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس، أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكَّم مُحكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى ومن عكس انعكس، وأورد عن الرسول الكريم أنه قال: إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه فآمنوا به"[٣].

وقال الطبري: "المتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور، باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وباختلاف الألفاظ واتفاق المعاني"[٤]، والمتشابه في القصص ما يحتمل أوجهًا عديدةً من التفسير والتأويل، ولا سبيل إلى معرفة حقيقته يقينًا إلا بالوقوف على هذا التفسير والتأويل، وبهذا يمكن استخلاص ثلاثة معان:

الأول: تشابهٌ عام، وهو تشابه القرآن الكريم كلِّه في الكمال والإتقان والائتلاف، فلا يناقض بعضه بعضًا في الأحكام، ولا يكذب بعضه بعضًا في الأخبار.

---

(١) ابن الجوزي، مجالس ابن الجوزي، ص ١٠٣.

(٢) حقائق الإسلام حول شبهات المشككين، سينا للنشر، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٧٧.

(٣) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٢، مصدر سابق، ص١٧.

(٤) الطبري، تفسير الطبري، ج٢، مصدر سابق، ص٢١٤.

الثاني: تشابهٌ بمعنى الخفاء واللبس النسبي، وهذا الخفاء هو على بعض الناس دون بعض، أو في وقت دون وقت.

الثالث: تشابهٌ بمعنى الخفاء واللبس العام؛ وذلك ما استأثر الله تعالى بعلمه من الحقائق والغيبيات.

**أنواع المتشابه:**

يقسم المتشابه إلى لفظي ومعنوي، أما المعنوي فهو ما تتضمنه القصص القرآنية من أغراض يمكن استنتاجها من معرض القصص، وأما اللفظي ما تكرر لفظه أو اختلف بتقديم أو تأخير، أو زيادة في التعبير، وجعل ابن الجوزي المتشابه ثلاثة أنواع: "إبدال كلمة بكلمة أو حرف، الزيادة والنقصان في الحروف والكلمات، التقديم والتأخير"[١].

وما تشابه فيه اللفظ في الظاهر والمعنيان مختلفان، ويُعرف المتشابه اللفظي بأنه: الآيات المتكررة في موضوع واحد متقارب المعنى مع اختلاف في لفظها.

وقد قسم الزركشي المتشابه اللفظي إلى ثمانية أقسام كتابه (البرهان في علوم القرآن)[٢]، وطريقة التوصل إلى فهمه بالنظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها، واستعمالها بحسب السياق مع العلم بأحوال العرب ولغتهم وفصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته مع أصحابه الكرام ومع أعدائه، بناء على أسباب النزول، والترتيب بين السور والآيات، والتشاكل اللفظي، ومنها بعض الأمثلة التي تصب في مضمار هذا البحث.

* النوع الأول: المتشابه بالتقديم والتأخير:

– تقديم كلمة وتأخيرها: مثال قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾[٤]. ولأهمية المقدم في

---

١– ابن الجوزي، مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠١٣، ص ٥٥.

٢– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، مصدر سابق، ص ٦٩ وما بعدها.

٣ – سورة القصص، الآية ٢٠.

٤ – سورة يس، الآية ٢٠.

الآية الأولى (رجل) لوصفه بالاهتمام، أما في الآية الثانية ( من أقصى المدينة) للدلالة على بعد المسافة.

– تقديم جملة وتأخيرها: مثاله قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾[2]، قدم الألوهية على الخلق للدلالة على التنزه والوحدانية، وفي الثانية قدم الخلق للدلالة على القدرة.

– الاختلاف في ترتيب المتعاطفات: مثاله قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[4]، التقديم والتأخير بين بنيه وصاحبته (أولاده وزوجته) فالفداء بالبنين، بينما الفرار من الزوجة، بناء على طبيعة العلاقة بين كل منهما.

– تقديم الضمير وتأخيره: مثاله قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﴾[6]، تقديم شبه الجملة (به) في الأولى وتأخيرها في الثانية للدلالة أن المقدم هو المحور.

* النوع الثاني: المتشابه بالإبدال:

– إبدال حرف بآخر: مثاله قوله سبحانه: ﴿ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[8]، هنا الإبدال بين حروف المعاني للدلالة على القرب في اللام والبعد في إلى.

---

١– سورة الأنعام، الآية ١٠٢.

٢– سورة غافر، الآية ٦٢.

٣– سورة المعارج، الآيتان ١١،١٢.

٤– سورة عبس، الآيات ٣٤–٣٦.

٥ – سورة البقرة، الآية ١٧٣.

٦ – سورة المائدة، الآية ٣.

٧ – سورة لقمان، الآية ٢٩.

٨ – سورة الرعد، الآية ٢.

– إبدال كلمة بكلمة: مثاله قوله تعالى: ﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾[2]، ألفى بمعنى وجد وأشمل وأدق؛ للدلالة على ما ورثوه منذ القدم.

– إبدال جملة بجملة: مثاله قوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم﴾[4]، ظلوم كفار أي جاحد بنعمة الله.

* النوع الثالث: المتشابه بالإثبات و الحذف:

– إثبات حرف وحذفه، مثاله قوله تعالى: ﴿ولما جاءت رسلنا لوطا﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا﴾[6]، كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، فزيادة أن للتوكيد وتحديد الزمن أي بمعنى حينما.

– إثبات كلمة وحذفها، مثاله قوله سبحانه: ﴿ويكون الدين لله﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ويكون الدين كله لله﴾[8]، للدلالة على التوكيد.

– إثبات أكثر من كلمة وحذفها، مثاله قوله تعالى: ﴿ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير﴾[9]، وقوله سبحانه: ﴿ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾[10]، الزيادة تدل على الشمول وأن الجميع ملك لله وما خلق وما سيخلق.

---

١ – سورة البقرة، الآية ١٧٠.

٢ – سورة لقمان، الآية ٢١.

٣ – سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

٤ – سورة النحل، الآية ١٨.

٥ – سورة هود:٧٧

٦ – سورة العنكبوت:٣٣

٧ – سورة البقرة:١٩٣

٨ – سورة الأنفال:٣٩

٩ – سورة آل عمران:١٨٩.

١٠ – سورة المائدة:١٧

* النوع الرابع: المتشابه بالجمع والإفراد، مثاله قوله سبحانه: ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾[2] ومن هذا القبيل قوله عز وجل: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات﴾[4] من ناحية اللغة جواز جمع التصحيح للمؤنث غير العاقل وكذلك الإفراد.

* النوع الخامس: المتشابه بالتذكير والتأنيث، مثال قوله سبحانه: ﴿إن هو إلا ذكرى للعالمين﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾[6] ومن هذا القبيل قوله عز وجل: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾[8]، التأنيث والتذكير دلالة على توسيع المعنى ليسع الكل.

* النوع السادس: المتشابه بالتعريف والتنكير، مثاله قوله تعالى: ﴿رب اجعل هذا بلدا آمنا﴾[9]وقوله سبحانه: ﴿رب اجعل هذا البلد آمنا﴾[10]. ومن هذا القبيل قوله عز وجل: ﴿ويقتلون النبيين بغير الحق﴾[11]، وقوله تعالى: ﴿ويقتلون النبيين بغير أما التعريف ففيه تضييق للمعنى قد يكون للعهدية أو للجنسية، بعكس التنكير الذي يدل على الشمول.

* النوع السابع: المتشابه بالإظهار والإضمار، وهو نوعان:

---

١ – سورة المؤمنون:٩.

٢ – سورة الأنعام:٩٢.

٣ – (البقرة:٨٠

٤– سورة آل عمران:٢٤.

٥– سورة الأنعام:٩٠

٦– سورة يوسف:١٠٤.

٧– سورة هود:٦٧

٨ – سورة هود:٩٤

٩ – سورة البقرة:١٢٦

١٠ – سورة إبراهيم:٣٥

١١ – سورة البقرة:٦١

١٢ – سورة آل عمران:٢١

– وضع المظهر موضع المضمر، ومثاله قوله سبحانه: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[2] ومن هذا القبيل قوله عز وجل: ﴿قال فرعون آمنتم به﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿قال آمنتم له﴾[4]، هناك فرق بين حرفي الجر (الباء) والتي تدل على الألوهية و(اللام) وله من أجل آخر.

– الاختلاف في الضمائر، ومثاله قوله تعالى: ﴿بل متعنا هؤلاء﴾[5] ، وقوله سبحانه: ﴿بل متعت هؤلاء﴾[6]، ومن هذا القبيل قوله عز وجل: ﴿فأخذتكم الصاعقة﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾[8]، صيغة الجمع تدل على التعظيم في قوله تعالى متعنا، أما متعتُ للدلالة على التفرد.

* النوع الثامن: المتشابه باختلاف الصيغة الصرفية، وهو أنواع:

– متشابه بالإدغام والفك، مثاله قوله سبحانه: ﴿ومن يُشَاقِقِ الرسول﴾[9]، وقوله تعالى: ﴿ومن يُشَاقِّ الله﴾[10]، دلالة لغوية في جواز فك الإدغام في المضعف المجزوم.

– متشابه بالتضعيف وعدمه، مثاله قوله تعالى: ﴿وإذ نجيناكم من آل فرعون﴾[11]، وقوله سبحانه: ﴿وإذ أنجيناكم من آل فرعون﴾[12]. ومن هذا القبيل قوله عز وجل: ﴿وأنزلنا عليكم﴾[13]، وقوله تعالى: ﴿ونزلنا عليكم﴾[14]، حروف الزيادة في الأفعال

---

١ – سورة الأنعام:٣٧

٢ – سورة الأعراف:١٨٧.

٣ – سورة الأعراف:١٢٣

٤ – سورة آل عمران:٧١

٥ – سورة الأنبياء:٤٤

٦ – سورة الزخرف:٢٩.

٧ – سورة البقرة:٥٥

٨ – سورة النساء:١٥٣

٩ – سورة النساء:١١٥

١٠ – سورة الحشر:٤

١١ – سورة البقرة:٤٩

١٢ – سورة الأعراف:١٤١

١٣ – سورة البقرة:٥٧

١٤ – سورة طه:٨٠

إلى الزيادة في المعنى، فزيادة الهمزة في (أنجى) للتعدية، بينما (نجّى) للتعدية مع الكثرة.

– متشابه بالتجريد والزيادة، مثاله قوله تعالى: ﴿فمن تبع هداي﴾[١]، وقوله سبحانه: ﴿فمن اتبع هداي﴾[٢]، ومن هذا القبيل قوله عز وجل: ﴿ساحر عليم﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿سحار عليم﴾[٤]، القيمة الصرفية في زيادة الحروف تؤدي إلى اختلاف المعنى وتوسعها تبع واتبع، وكذلك ساحر على صيغة اسم الفاعل، أما سحّار بصيغة المبالغة، للدلالة على كثرة سحره كما يظنون.

– متشابه بالماضي والحاضر، مثاله قوله تعالى: ﴿كذلك نسلكه﴾[٥]، وقوله سبحانه: ﴿كذلك سلكناه﴾[٦]، كذلك اختلاف الزمن بين نسلكه في صيغة المضارع المستمر وسلكناها فيما مضى وانقضى.

– متشابه بالبناء للفاعل والبناء للمفعول، مثاله قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا ادخلوا﴾[٧]، وقوله سبحانه: ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا﴾[٨]، و(قلنا) بني الفعل للمعلوم، أما (قيل) مبني للمجهول وحذف الفاعل بغرض العلم به؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى وحده هو المسيطر.

– متشابه بجمع السلامة وجمع التكسير، مثاله قوله سبحانه: ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾[٩]، وقوله تعالى: ﴿نغفر لكم خطيئاتكم﴾[١٠]ومن هذا القبيل قوله عز وجل:

---

١ – سورة البقرة:٣٨.

٢ – سورة طه:١٢٣.

٣ – سورة الأعراف:١١٢.

٤ – سورة الشعراء:٣٧.

٥ – سورة الحجر:١٢.

٦ – سورة الشعراء:٢٠٠.

٧ – سورة البقرة:٥٨.

٨ – سورة الأعراف:١٦١.

٩ – سورة البقرة:٥٨.

١٠ – سورة الأعراف:١٦١.

﴿ويقتلون النبيين﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ويقتلون الأنبياء﴾[2]، من خصائص القرآن الكريم مخاطبة الجمع بالمفرد والعكس.

* النوع التاسع: المتشابه بالإجمال والتفصيل، مثاله قوله تعالى: ﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة﴾[3]، وقوله سبحانه: ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر﴾[4]، فالتفصيل دلالة على تقوية الوصف.

* النوع العاشر: المتشابه بالإضافة وعدمها، مثاله قوله سبحانه: ﴿وقبل غروبها﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وقبل الغروب﴾[6]، ودلالة الإضافة تضييق والتخصيص، بينما التعريف دلالة على التعميم.

**فوائد علم المتشابه اللفظي:**

لعلم المتشابه اللفظي فوائد عديدة، منها:

– أنه ضَرْبٌ من التفسير لكلام الله، فهو بهذا يكتسب أهميته، كما يكتسب علم التفسير أهميته.

– يُظهر إعجاز القرآن الكريم ببلاغته النافذة، وأسلوبه البديع؛ ذلك أن وجود المكرر اللفظي، مع عدم قدرة العرب على الإتيان بمثله دليل على عجزهم.

– يدل على صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وذلك حين تتجلى الصور البلاغية البديعة في ثنايا المتشابه اللفظي، وقد تلقنها العرب الأوائل وعقلوها، وما حاولوا قط معارضة القرآن الكريم.

– يرد على أهل الزيغ والضلال زعمهم أن المتشابه ما هو إلا تكرار يغني بعضه عن بعض؛ وذلك بإظهار عظمة القرآن الكريم، وبلاغته في متشابهه.

– التكرار فيه تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم، قال عز وجل: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾[1].

---

١ – سورة البقرة:٦١.

٢ – سورة آل عمران:١١٢.

٣ – (البقرة:٥١)

٤ – (الأعراف:١٤٢).

٥ – سورة طه:١٣٠

٦ – سورة ق:٣٩.

– حصول العظة والعبرة؛ ذلك أن المتشابه فن من فنون القصص القرآني، قال سبحانه: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾[٢].

– يساعد على إتقان حفظ القرآن الكريم.

– يزيد القارئ لكتاب الله إيمانًا؛ لما يتبين له من فنون البلاغة، التي عجز عنها البلغاء، ووقف من دونها الفصحاء.

---

١– سورة هود، الآية ١٢٠

٢– سورة يوسف، الآية ١١١.

## المطلب الثاني: المحسنات اللفظية في قصص القرآن الكريم

المحسنات اللفظية البديعية جزء من طبيعة اللغة البشرية إيقاعًا ولفظًا بدءًا بالعصر الجاهلي وانتهاء باللهجات العامية المتداولة في عصرنا الحديث، وهي ليست مجرد تلاعب لغوي، بل هي زينة وحلية للكلام وجذب للمتلقي، والألوان البديعية جاءت في الشعر القديم والنثر عفو الخاطر ودون إعمال فكر، "وكانت مما تستدعيه الفكر استدعاء؛ فتصدر عن الخطباء الشعراء عن فطرة وسليقة لا تعمّل فيها ولا تكلّف، وقد زخرت النصوص القديمة والمتأخرة في تلك العصور دون أن يعرف أصحابها أسماءها ولا أقسامها"[١]، حيث أشار الجاحظ في البيان والتبيين إلى أول من قال به "من الخطباء الشعراء ممن كان يؤلف الكلام الجيد ويصنع المناقلات الحسان ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة في بيان عجيب ورواية كثيرة وحسن دلّ وإشارة عيسى بن يزيد بن دأب، ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن كلثوم بن عمرو العتّابي، وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جمع ما يكلف ذلك من شعراء المولدين"[٢].

البديع معناه الجديد والمخترَع، والمبدِعُ هو المُنشئ الذي لم يسبقه إلى إنشائه أحد"[٣]، فقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٤]، وأن الله سبحانه وتعالى ابتدع السموات والأرض من غير أصل وعلى غير مثل، وهو علم يعرف منه وجوه تحسين الكلام وتزيينه؛ لذا سُمِّيَ بالمحسنات البديعية، ومنه ما يكون محسنًا لفظيًّا منه ما يكون معنويًّا، ومن المحسنات اللفظية الجناس السجع، من المحسنات المعنوية الطباق والمقابلة، وتكرار الحروف في الجناس والسجع يعطى نوعًا من الجرس الموسيقي وأجمل ما يكون في القرآن الكريم، وكذلك الطباق السالب كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِيْ الّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ وَالّذِيْنَ لَاْ يَعْلَمُوْنَ﴾[٥].

---

١- عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٥.

٢- الجاحظ، البيان والتبيين، ط٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٥١.

٣- الطبري، تفسير الطبري، ج١، ص٣٦١.

٤- سورة البقرة، الآية ١١٧.

٥ - سورة ، الآية .

*** الجناس**

لون من ألوان الجمال اللفظي، له أثر موسيقي قوي على المتلقي، ينبع من تكرار الحروف وترديدها، وتقابل الألفاظ المتشابهة، ينشّط الذهن ويطرد السآمة، ويسهم إسهامًا كبيرا في إيضاح المعاني وزيادة الفائدة، ويكون كذلك إذا جاء عفو الخاطر، وسَمَحَ به الطبع من غير أن تبدو عليه لوثة الصنعة والتكلف، وإلا شوّه العبارة، وأدّى إلى التعقيد، وفي القصص القرآن الكريم نماذج كثيرة من الجناس.

فقد ورد في كلام العرب على مر العصور، وقد اعتمد القرآن الكريم الجناس المطلق وسيلة من وسائل الجذب والسحر اللغوي، وفي الحديث يقول الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة أتمّ التسليم: (الظلم ظلمات يوم القيامة) (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)، فهذه الاستعمالات ليست مجرد تلاعب لفظي، وإنما لتمكين المعاني وتقويتها أما الجناس الذي يؤدي إلى تعقيد، ويحول دون انطلاق المعاني فهو المتكلّف الذي وجدنا له النماذج الكثيرة في أدب المقامات: وأقدح زند جدك بجدك، واقرع باب رعيك بسعيك، ولج كل لج.

والجناس في اللغة: مصدر جانس الشيء بالشيء، أي شاكله، واتحد معه في الجنس، مع كونهما مختلفين، وفي تعريفات الجرجاني" كلٌّ مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة"[1] ويقول صاحب لسان العرب: " الضرب من كل شيء، والجنس أعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس، ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله، وفلان يجانس البهائم ولا يجانس الناس، إذا لم يكن له تمييز ولا عقل"[2].

وفي الاصطلاح: هو أن يتشابه لفظان في النطق (الحروف)، ويختلفان في المعنى، وأن التشابه قد يكون تامًا في كل الحروف، وقد يكون في بعضها دون البعض ويسمى الجناس غير التام.

فقد قال عبد القاهر الجرجاني: " كأنه يخدعك عن الفائدة، وقد أعطاكها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفّاها"[3]، فالجناس يحمل عنصر المفاجأة، وخداع

---

١- الجرجاني، معجم التعريفات، مادة (جنس)، ص ٧٠.

٢- ابن منظور، لسان العرب، مادة (جنس)، ص ٦٩٩.

٣- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار المدني، جدة، ص ٦٩٩.

الأفكار، ويوهم بتكرار اللفظ بلا فائدة ولكن سرعان ما يدرك المتلقي أن اللفظ الآخر يحمل معنى آخر غير المعنى المتوقع، فيكون له أثر حسنٌ في النفس، ووقع جميل في القلب.

ويقول ابن حجة الحموي: " ويحسُنُ الجناس إذا قلَّ، وأتى في الكلام عفوًا من غير كدٍّ ولا استكراه ولا بُعد ولا ميل إلى جانب الركاكة، فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تبتغي به بديلا، ولا تجد عنه حولا، ومن هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقّه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه"[1].

وقد وقع الجناس في القرآن الكريم في كثير من آياته، فكان في غاية الروعة وقمة الفصاحة وذروة البلاغة، بل كان ضربا من ضروب الإعجاز البلاغي، فهو يعطي للمعاني قوة ويضفي على الألفاظ جزالة ويسكب في الآذان موسيقى رائعة ساحرة، ويصنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة، فهو جناس حسن غير متكلف، له بديع الأثر في إبراز المعنى المقصود وجمال الأسلوب وإيضاح الصورة وزيادة تأثيرها، ويُدخِل في نفس المتلقي بهجة ومتعة وراحة.

أقسام الجناس:

ينقسم الجناس باعتبار تشابه الكلمات في الألفاظ واختلافها في المعنى إلى نوعين: جناس تام، وغير تام:

* الجناس التام وهو الذي يختلف فيه اللفظان في المعنى، ويتفقان في أمور أربعة هي: عدد الحروف ونوعها وترتيبها وشكلها، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾[2] فالساعة الأولى يوم القيامة والساعة الثانية هي الساعة الزمنية، وبينهما جناس تام؛ حيث اتفق اللفظان في عدد الحروف، ونوعها، وترتيبها، وهيئتها، وكذلك قوله تعالى ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يُذْهَبُ بِالأبْصَارِ يُقَلِّبُ اللهُ اللّيْلَ

---

١- ابن حجة الحموي، لسان العرب، مادة (جنس)، ص ٦٩٩.

٢- سورة الروم، الآية ٥٥.

وَالنَّهَارَ إِنَّ فِيْ ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِى الْأَبْصَارِ﴾[1] فالأبصار الأولى جمع قلة للبصر وهو حاسة الرؤيا، والأبصار الثانية جمع بصيرة وهو العلم العقول.

* الجناس غير التام ويقال له الجناس الناقص، والجناس المشبه، وهو ما اختلف فيه واحد أو أكثر من الشروط الأربعة السابقة التي يجب توافرها في الجناس التام، وهي: عدد الحروف ونوعها وترتيبها وهيئتها (حركاتها)، مع اختلافهما في المعنى:

– الاختلاف في هيئة الحروف:

كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ*فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾[2]، فوقع الجناس في هذه الآية بين (منذِرين) الأولى وهي اسم فاعل (مكسور ما قبل الآخر) ويقصد بها هنا الفاعلون، وهم الرسل (عليهم الصلات والسلام) وبين (منذَرين) الثانية، وهي اسم مفعول (مفتوح الذال)، وهم المفعولون، من وقع عليهم الإنذار، فاللفظان مختلفان في حركات الحروف فقط مع توافر الشروط الثلاثة الأخرى.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[3]، فالجناس في الآية الكريمة وقع بين (يقتلون) و(يقتلون) وهو وقع بين فعلين.

– الاختلاف في نوع الحروف:

ومن أمثلته في الأسلوب القرآني، قوله تعالى يخبر عن الأخسرين أعمالا: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[4]، فالجناس وقع في الآية الكريمة بين (يحسنون) و (يحسبون).

ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم (عليه السلام): ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[5]، فالجناس وقع بين (يسقين) و (يشفين).

– الاختلاف في عدد الحروف:

---

١– سورة النور، الآية ٤٤.

٢– سورة الصافات، الآية ٧٢–٧٣.

٣– سورة التوبة، الآية ١١١.

٤– سورة الكهف، الآية ١٠٤.

٥– سورة الشعراء، الآية ٧٩–٨٠.

ومن أمثلته في الأسلوب القرآني قوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[1] فالجناس الناقص في هذه الآية الكريمة وقع بين (الساق) و(المساق). فالميم زيادة في اللفظة الثانية عن الأولى.

– الاختلاف في التركيب أو الترتيب:

ومثاله في الأسلوب القرآني قوله تعالى : ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[2] فالجناس المعكوس هنا وقع بين (ربك) و (كبر) وهو جناس قلب وعكس ومنه أيضا قوله تعالى حكاية عن سيدنا هارون لأخيه موسى (عليهما السلام): ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[3] فالجناس الناقص في الآية وقع بين (بين) و (بني).

*** السجع**

هو الكلام المنثور الذي يأتلف آخر كل جملة فيه على نسق كما تأتلف القوافي، وأصله من السجع، وقال الجرجاني: "هو تواطؤ الفاصلتين مع النثر على حرف واحد في الآخر"[4]، وهو الاستواء والاستقامة والاشتباه؛ لأنّ كلَّ كلمة في آخر الفاصلة تشبه الأخرى ربما تساويها، وقال الزبيدي: "سمي سجعًا لاشتباه أواخره وتناسب فواصله"[5]، وقد كان كَهَنَةُ العرب قبل الإسلام يسجعون، بدليل الحديث الذي نهى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن سجعهم: (إيّاكم وسجع الكهان) [6]، وفي الحديث كذلك – أنه نهى عن السجع في الدعاء، فأما فواصل الكلام المنظوم الذي لا يشاكل المسجع فهو مباح من ذلك الخطب والرسائل وغيرها، ويبدو أن تكلّف السجع سبب في رفضه، ومع ذلك نستطيع أن نرى نماذج السجع أو الكلام الذي له فواصل، وفي القرآن الكريم في كثير من الآيات والسور التي نجد فيها السجع كما في سورة الإخلاص وسورة الكوثر وغيرها، وأن السجع في القرآن الكريم يسمى غالبًا فاصلة وفي الحديث الشريف يسمى نسبيًا كما في وصية للرسول الكريم: (افشوا السلام،

---

١– سورة القيامة، الآية ٢٩–٣٠.

٢– سورة المدثر، الآية ٣.

٣– سورة طه، الآية ٩٤.

٤– الجرجاني، معجم التعريفات، مادة (سجع)، ص ١٠١.

٥– الزبيدي، تاج العروس، ج٤، تحقيق عبد الحميد الطحاوي، سلسلة التراث العربي، الكويت، ١٩٨٧، ص ٥.

٦– ابن جني، ص ٥.

وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)، ومن جهة أخرى فالتوقيعات، وهي الرسائل الموجزة كان أغلبها مسجوعة، منها قولهم: ليس عليك بأس، ما لم يكن منك بأس.

وقد كثر السجع في مقدمات الكتب الأدبية، حتى كانت مقامات الهمذاني قمة السجع، فهي أصلًا بُنيت عليه ولو على حساب المضمون، حيث بدأ الانبهار اللغوي، وكان وسيلة للكُدية وقصص الاحتيال،(حَدَّثَنَا عِيَسى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: اشْتَهَيْتُ الأَزَاذَ، وأَنَا بِبَغْدَاذَ، وَلَيسَ مَعْي عَقْدٌ عَلى نَقْدٍ، فَخَرَجْتُ أَنْتَهِزُ مَحَالَّهُ حَتَّى أَحَلَّنِي الكَرْخَ، فَإِذَا أَنَا بِسَوادِيٍّ يَسُوقُ بِالجَهْدِ حِمارَهُ، وَيَطَرِّفُ بِالعَقْدِ إِزَارَهُ، فَقُلْتُ: ظَفِرْنَا وَاللهِ بِصَيْدٍ، وَحَيَّاكَ اللهُ أَبَا زَيْدٍ)[1]، وفي عصر المماليك خلعت على كثير من أسماء الكتب الأسماء المسجوعة مثال كتاب (نهاية الأرب في فنون العرب) للنويري، وكتاب (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء) للقلقشندي، كذلك الاسم الدقيق لمقدّمة ابن خلدون كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر).

أما كتاب ألف ليلة وليلة والذي تعتمد على الخيال لجذب انتباه السامعين عند سرد الحكايات، فقد فيه السجع بصورة خاصة في سير عنترة والزير وأبي ليلى المهلهل وتغريبة بني هلال ورحيلهم إلى بلاد المغرب.

مما تقدم فإنّ السجع كان ملازمًا للغة العربية، واستمر حتى عصرنا، غير أننا لا نكاد نرى اليوم مقدمات كتب مسجوعة، بسبب اعتماد الكتّاب على التركيز على المضمون، فإن جاء السجع تلقائيًّا ومطبوعًا وبعيدًا عن التكلّف فهو سائغ.

فالسجع لا يحسن إلا إذا كان رصين التركيب خاليًا من التكرار في غير فائدة، ولهذا كان جمال القرآن الكريم اللغوي الذي راوح بين الفواصل والإرسال، ومن جهة أخرى نفرنا من أسلوب المقامات، وخاصة المتكلف منه، بينما أعجبنا بالأمثال المسجوعة.

---

١- بديع الزمان الهمذاني، المقامات، شرح الشيخ محمد عبده، ط٣، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٥م، (من المقامة البغدادية)، ص٧١.

فالخطيب إذا استعمل السجع بعض المرات يزيد خطبته سبكًا ورونقًا، بينما إذا استمر على السجع فإنه يتركز على الشكل ويفقد الجاذبية، فهو جزء من اللغة لم ينفصل عنها في أية فترة زمنية، فالعبرة في قوة السبك وفي التأثير في المتلقي.

**الطباق والمقابلة**

الطباق هو الجمع بين الشيء وضده في الجملة الواحدة، وهو نوع من أنواع التأثير اللفظي والمعنوي في المتلقي من غير تكلّف، يقول قدامة بن جعفر في كتابه نقد النثر عن الطباق المقابلة: "أن يكون في جميع ألفاظه ومعانيه جاريًا على سجيته غير مستكره لطبيعته، ولا يتكلف ما ليس في وسعه، فإن التكلف إذا ظهر في الكلام هجّنه وقبح موقعه"[١]، ويقول صاحب كتاب الصناعتين: "لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجًا، فالكلمات العادية لا تثير انتباه القارئ أو السامع، وتتجلى المتعة بالإيقاع نفسه، وفي الإيقاع نوع من التكرار، فإذا قيل: ليس له صديق في السر، ولا عدوٌّ في العلانية، فالقسم الثاني قوّى القسم الأول، لأنه تكرار من نوع جديد يزيد الإيقاع قوة على قوة"[٢]، إذًا فبقدر ما يؤدّى الغرض مضمونًا وتأكيديًا فإن ثمة لمسة جماليّة تزيينية هو الإيقاع والتمكين معًا، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾[٣]، في الآية الكريمة كلمات وضدها، أما الشيء ونفيه كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[٤]، وفي المقابلة أكثر من طباق واحد؛ ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[٥]، ومن دعاء الرسول عليه الصلاة السلام: (اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت)، ومثل هذا التضاد يقوي المعنى ويرسخه في ذهن السامع، وهذه الأساليب منها ما هو تعويض عن قافية الشعر، وإذا كان الشعر كثافة معنى وتركيزًا فإن هذا التدبيج أو التزيين يركز الخلاصة في موسيقى

---

١- سورة النجم، الآية ٤٣-٤٤.

٢- سورة النجم، الآية ٤٣-٤٤.

٣- سورة النجم، الآية ٤٣-٤٤.

٤- سورة الزمر، الآية ٩.

٥- سورة الحديد، الآية ١٣.

وجمال بناء شبيهين لما لهما في النظم. ومن المقابلة ما يأتي لإيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ من جهة الموافقة أو المخالفة، فإذا كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى*فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى*وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى* وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[1]، وهذ الأسلوب يقوّي ضدُّهُ الضدَّ بلا إسفاف أو تكلّف، وقد يدخل التكرار في هذا الباب، فهي محسنات بديعية معنوية، ولم ترد على ألسنة علماء البلاغة على أنها لفظية.

**حسن الختام**

ويسمى القفل وقد جعل الله خاتمة سورة المؤمنين ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ وأورد في خاتمتها ﴿إنّه لا يفلح الكافرون﴾ فشتّان بين الفاتحة والخاتمة. وكذلك في سورة يوسف التي تبدأ قصتها بالآية الثالثة: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ تنتهي بالآية ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

---

١- سورة الليل، الآية ٥-١٠.

# الفصل الثالث

## تكرار القصص في القرآن، ودلالاته، والمعاني المستفادة

**المبحث الأول:القصص التي وردت في القرآن الكريم مرة واحدة والقصص المتكررة**

المطلب الأول: القصص التي وردت في القرآن الكريم مرة واحدة

المطلب الثاني: القصص المتكررة في القرآن الكريم

**المبحث الثاني: التكرار في القصة القرآنية ودلالاته**

المطلب الأول: التكرار اللفظي والمعنوي في القصة القرآنية ودلالاته

المطلب الثاني: أغراض التكرار في القصة القرآنية ودلالاته

**المبحث الثالث: المعاني المستفادة من التكرار في قصص القرآن الكريم**

المطلب الأول: القيمة الفنية لتكرار القصص في القرآن الكريم

المطلب الثاني: الإعجاز في تكرار قصص القرآن الكريم

## المبحث الأول:القصص التي وردت في القرآن الكريم مرة واحدة والمتكررة

**المطلب الأول: القصص التي وردت في القرآن الكريم مرة واحدة**

**المطلب الثاني: القصص المتكررة في القرآن الكريم**

**المطلب الأول :القصص التي وردت في القرآن الكريم مرة واحدة**

كتابُ الله تعالى ليس كباقي الكتب، فهو كلام الله عزّ وجلّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد خصّه بعدّة مزايا، ومن أهمّها: الدقّة المطلقة، ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول بأنّ كتاب الله تعالى لا يحتوي على ترادف في الكلام، لا يمكن قياسُ القصة القرآنية بأدوات القصة المتعارف عليها أدبيا، ولا ينبغي أن تُقاس؛ لأنّ أدواتِها ربانية وأحداثها واقعية وأبطالها إرشاديون، فما وجدت القصة الأدبية الحديثة إلا لتجاري القصص الحق الذي لا ريب فيه، فالقصة المتكررة هي وسيلة لها أغراض دينية وإيمانية لتنظيم أمور الإنسان.

من الأمثلة على القصص المتكرّر قصة، خلق سيدنا آدم وقصة سيدنا موسى وقصة سيدنا إبراهيم عليهم السلام، وعلى القصص غير المتكرّر قصة ذي القرنين وقصة أهل الكهف وقصة سيدنا يوسف عليه السلام.

والقصة القرآنية إن تكرّرت في لفظها فإنها ترِد في قالب آخر مختلف بحسب الموقف، ولأغراض تختلف من سياق عن سياق آخر، إذًا معنى القصة المتكررة في القرآن لا يكون واحدًا.

أسوق مثال قصة سيدنا إبراهيم في سورة الأنبياء حيث دار حوار مطول مع قومه فحواه صراعٌ بين الحق والباطل وبين فرد وجماعة لا بد أن يكون بنتيجته فوز أو خسران، وانتهى ببروز حجة إبراهيم عليه السلام عليهم، وبالتالي غلبة الفرد على الجماعة حيث لعبت الضمائر في الحوار دوراً يؤكد قوة حجته عليه السلام في مقابل وهن حجج قومه. "وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ". أما في سورة الصافات فالتركيز بالقصة هو على شخصية إبراهيم عليه السلام ورشاده وحججه الدامغة بتعنيفه قومَه لعبادتهم الأصنام مما تصنع أيديهم وبأفول النجوم إزاء دعاء عابديها لها، فكان هناك من فاز فأصبح في مرتبة عالية، وهناك من خسر فأصبح في مرتبة دنيا؛ ولذا جاء اللفظ: "فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ".

فلذلك لن نستطيع أن نفهم القصص المتكرر في القرآن الكريم ونحن بعيدون عن فهم اللغة العربية وبلاغة التعبير وفهم سياق الآيات ومقتضى الحال وأسباب النزول وربط القصة بالسورة، فإنّ المسلم مأمورٌ بتدبر القرآن الكريم.

الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السامع، فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حبَّ الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس، فالقصة القرآنية تمثل هذا الدور أقوى تمثيل، وتصوره في أبلغ تصوير.

فإن أردنا دراسة القصص القرآني يجب أن ننطلق من منطلق أنّه لا يوجد تكرار في القصص القرآني؛ لأنّ الحرف الواحد بين آيتين متشابهتين بالكلمات قد يجعل هذه الآية تؤدّي معنىً مختلفًا كليًّا عن المعنى الّذي قد تفيده الآية الأخرى، الّتي قد تبدو أنّها مشابهة لها، يقول السيوطي في الألفاظ التي يظن بها الترادف وليست منه: "ومن ذلك (الخوف والخشية) لا يكاد اللغوي يفرق بينهما ولا شك أنَ الخشية أشد من الخوف وأعلى درجة منه"[1]، فهذا المعنى يحتاج إلى التأمّل في الآيات القرآنيّة، وفي السياق الّذي تجيء كلّ آيةٍ فيه؛ إذ يعتبر السياق وسيلة هامّة من وسائل الوصول إلى عمقٍ جديد من أعماق الآية لم يُتوصّل إليه من قبل؛ ولذلك لا يمكن تفسير الآيات الكريمة بشكلٍ حرفيّ؛ بل تفسّر بشكلٍ مُجمل، فإن توقّفنا عند كلّ آية من الآيات فإنّ الناتج سيكون كلامًا منافيًا للعقل والحكمة، ولكنّ السّياق والنظرة الكليّة للآيات يعملان وبشكل كبير على إيصال الفكرة القرآنيّة بسهولة وسلاسة ويسر شديدين، وهذا ينطبق على القرآن الكريم عامة وعلى القصة في القرآنية على وجه الخصوص؛ لأنَّ القصةَ تمثّل جزءًا كبيرًا من القرآن الكريم وتحمل كل خصائصه وسِماته العامة، منها الإعجاز، فوجوه الإعجاز التي تجدها في سائر القرآن الكريم تجدها في القصص، لكن القصص يزيد على ذلك بوجوه أخرى تميزه عن غيره فمن تلك الوجوه التكرار الهادف إلى جانب الدقة؛ حيث تجد في كلِّ موطن من العبر واللطائف والإشارات ما لا تجده في القصةِ نفسِها في موطن آخر، فإذا نظرنا في القصة القرآنية من حيث عدد المرّات التي وردت فيها وظهور العناصر الفنية فإننا نجد أنّ هناك قصصًا كثيرة جدًا لا يمكن حصرها وردت في سور القرآن الكريم، منها ما وردت مرةً واحدةً واستفردت القصة على السورة كلها وتفاوتت بين الطول والقصر،

---

١ – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص٥٦٠.

كقصة سيدنا يوسف، وقصة أصحاب الفيل، وتضمنت عناصر القصة الفنية من شخصية وحدث وزمان ومكان وحوار مكتملة ومستوفية عناصر القصة جميعها، ومنها ما اجتمعت مع قصص أخرى في سورة واحدة، كقصة أصحاب الكهف، وصاحب الجنتين وقصة ذي القرنين، وقصة سيدنا موسى مع الرجل الصالح كلها في سورة الكهف، ومنها قصص تناثرت في ثنايا القرآن الكريم وتفرقت فيه، كقصة ابني آدم، وقصة أصحاب الجنة، وقصة أصحاب القرية، وقصة الرجل الصالح، قصة بقرة بنى إسرائيل، وقصة هاروت وماروت، وقصة العُزير، وقصة النمرود، وقصة طالوت وجالوت، وقصة أصحاب السبت، وقصة الثلاثة الذين خُلِّفوا، وقصة الإفك، وقصة قارون، وقصة مؤمن آل فرعون، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الفيل، وكلّ قصص للأنبياء وغيرهم، وقصص حدثت في الأمم السابقة، وقصص ستحدث يوم القيامة كتخاصم أهل النار، كلّها نجدها متناثرة في ثنايا القرآن الكريم، وكلٌ منها لها دلالاتها من ناحية ورودها كقصة ذات مغزى وعبرة، ودلالاتها ومن ناحية ورودها مرةً واحدة، وإذا استعرضنا هذه القصص التي وردت مرة واحدة وجدناها كاملة مترابطة متماسكة مشتملة على عناصر السرد ولكن نلاحظ عدم التصريح بأسماء الأشخاص وإنما يرمز لهم، وكذلك المكان والزمان والتفاصيل الدقيقة لعدم حاجتها، ولا تخدم الهدف والعبرة من القصة وهدفها واحد، ومن هذه القصص، وبما أنه لا يمكن تناول هذه القصص كاملة، فيُكتفى بتناول نماذج منها ودلالات تكرارها لتصب في المفهوم العام للقصة ووردها منفردة:

**قصة سيدنا يوسف عليه السلام**

هذه القصة وردت في سورة سميت باسمها كاملة بدأت بحلم وانتهت بتحقيق هذا الحلم تحكي حياة هذا النبي وما لاقاه من الشدة والعنت وطمع الإنسان؛ لمواساة الرسول ﷺ كما يقول صاحب الظلال: "وسورة يوسف لُحمة واحدة عليها الطابع المكّي واضحًا في موضوعها وفي جوّها وظلالها وفي إيحاءاتها؛ بل إنّ عليها طابعَ هذه الفترةَ الحرجة والموحشة بصفة خاصة، ففي الوقت الذي كان رسول الله ﷺ يعاني الوحشة والغربة والانقطاع في جاهلية قريش وتعاني معه الجماعة المسلمة هذه الشدة كان الله ﷻ يقصُّ عليه قصةَ أخٍ كريمٍ يعاني كيدَ إخوته ومحنةَ الخوف والرق

والترويع وصنوف الابتلاءات"[1]؛ ليثبت به فؤاده ويسليه، ويدعوه إلى الصبر كما صبر سيدنا يوسف عليه السلام، وفي القصة إيحاء إلى إخراج الرسول ﷺ من مكة ليهيئ له النصرَ والتمكينَ في مكان آخر وهو المدينة، فلكلّ هذا حظيت القصص القرآنية باهتمام الدارسين والنقاد، أما قصة يوسف عليه السلام فقد كانت أكثر حظًّا، ولعل السبب يعود إلى أن القصة قد استقلت بها سورة كاملة من بدايتها إلى نهايتها، وتناولت حياة سيدنا يوسف عليه السلام ولم تخرج منها إلى سورة أخرى، كنموذج لقصة حياة إنسان، وكشف طبائع البشر "وتخصيص سورة بأكملها لقصة واحدة يكشف عنها أهمية القصة وما ينطوي عليها من دلالات أهمها تضمين أحداث ومواقف في غاية الإثارة لكونها تتصل بدوافع الغريزة لدى الإنسان كالجنس والغَيرة والحسد وحب السيطرة"[2]، ويقول الدكتور عبد العظيم المطعني في "قصة يوسف محاولة إغراء على جريمة خُلُقية؛ لذلك فرغ القرآن الكريم من سوقها للعظة والعبرة مرة واحدة"[3]، وكونها وردت منفردة لا تكرار فيها لخصها الزركشي فيما ثلاث نقاط[4]:

* فيها من تشبيب النسوة به وتضمُّن الإخبار عن حال امرأةٍ ونسوةٍ افتتَنَّ بأبدعِ الناس جمالًا وأرفعهم مثالًا؛ فناسب عدم تكرارها؛ لِما فيها من الستر عن ذلك.

* اختصت بحصول الفرَجِ بعد الشدة بخلاف غيرها من القصص؛ فإن مآلها إلى الوبال؛ كقصة إبليس، وقوم نوحٍ، وقوم هودٍ، وقوم صالحٍ، وغيرهم، فلما اختصت هذه القصة من سائر القصص بذلك، اتفقت الدواعي على نقلها؛ لخروجها عن سَمْتِ القصص.

* إنما كرَّر الله قصص الأنبياء وساق قصة يوسف مساقًا واحدًا إشارةً إلى عجز العرب، كأن النبي ﷺ قال لهم: إن كان مِن تلقاء نفسي تصديرُه على الفصاحة، فافعَلوا في قصة يوسفَ ما فعلتُ في قصص سائر الأنبياء.

---

١ – سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، ج٤، ص١٩٥٠.

٢ – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٢٩

٣ – عبد العظيم المطعني، حقائق الإسلام حول مواجهة المشككين في القرآن، ص٨٨.

٤ – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٣، مصدر سابق، ص٢٩

**قصة أصحاب الفيل**

شأنها شأن القصص القرآنية تحفل بأسرار فنيّة بالغة الدلالة والإمتاع وتمتاز أيضا بالتكثيف، وبالرغم من صغر حجمها اللغوي فإنها كاملة البناء الفني في صياغتها من حيث البناء والعناصر والإثارة والمتعة، استهلت السورة بالاستفهام التنبيهي بغرض الترهيب ما يجعل الكفار ترتعد فرائصهم من هولها وعاقبتها، في قوله تعالى في سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ*أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيل*وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ*تَرْمِيهِمْ بِحِجارَة مِنْ سِجِّيل*فَجَعَلَهُمْ كَعَصْف مَأْكُول﴾[1].

فقد قال ابن اسحاق، "أنها نزلت على النبي محمد لتذكير قبيلة قريش بما فعله الله بأصحاب الفيل الذين حاولوا هدم الكعبة، وهم أبرهة الحبشي وجيشه، وفيها تذكير بقدرة الله على العتاة ولم تكن قريش بِندٍ لأبرهة وجيشه وهم يعادون رسول الله محمد"[2].

**قصة ابني آدم**

أما قصة ابني آدم عليه السلام التي تناولها القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[3]، فتبيّن مدى الفحش في صفات ذميمة كالبغي والفساد في الأرض والحسد والظلم والتي بدورها تؤدي الى قتل النفس بغير الحق وبالتالي خروج فاعلها من رحمة الرحمن سبحانه وتعالى، فهي قصة دلالتها تعليمية وتحذيرية تحذر من مغبة البغي والفساد في الأرض وعاقبته، ومنها تعلّم الإنسان كيف يُوارى جثمانُ الميّت.

---

١ – سورة الكهف.

٢ – ابن إسحاق، السيرة النبوية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ج١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٤م، ص٤٥.

٣ – سورة المائدة، الآية ٢٧.

**قصص سورة الكهف**

أمّا قصةُ أصحابِ الكهف وخبرُ ذي القرنين اللتان وردتا في سورة الكهف كاملتين بناءً على طلب قريش، وما ذكره محمد بن إسحاق وغيره في السيرة "أن قريشا بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ ويسألونه عنها؛ ليختبروا ما يجيب به فيها فقالوا: سلوه عن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يدري ما صنعوا، وعن رجل طوّاف في الأرض وعن الروح"[1]، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2] يردّ عليهم بأنّ الروح لا يُعرف عنها شيءٌ، ولكن ربُّ العزة جلّ شأنه قصّ خبر أهل الكهف وذي القرنين؛ لما فيهما من العظات والعبر ليبيّن صدق النبي ﷺ : ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[3] أي؛ ليسوا بعجبٍ عظيم بالنسبة إلى ما أطلعناك عليه من الأخبار العظيمة، والآياتِ الباهرة والعجائب الغريبة، وإنّ ما خلقتُ من السماوات والأرض، وما فيهنّ من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف"[4].

فالقصة وردت في القرآن الكريم مرة واحدة ولم تتكرر، ولكنها ذكرت تامة الأركان والعناصر؛ حيث بدأت بالتشويق من وسط القصة ووصفها بأنها عجبًا، ثم ارتدت إلى البداية ثم واصلت تسلسلها في زمان ومكان غير معروفين تحديدًا، وفي ذلك دلالة لنبذ الحياة وزينتها واللجوء إلى الكهف والملاذ الآمن هربا من قرية ملكها وأهلها حادوا عن الطريق الحق المستقيم، وعبدوا مع الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، فتنكير الفتية والقوم دليل على عدم الأهمية في ذكرهم، ففي هذه المجتمع الفاسد ظهرت فتية لم يبين القرآن الكريم عددهم لعدم حاجته إليه، ولكن حدد عدد السنين بالضبط، فقد نام الفتية ثلاثمئة وتسع سنوات، بعد هذه المئات الثلاث، بعثهم الله مرة أخرى من

---

١ – ابن إسحاق، السيرة النبوية، ، ص٢٣٩.

٢ – سورة الإسراء الآية ٨٥.

٣ – سورة الكهف الآية ٩.

٤ – الطبري، التفسير من جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، ١٩٩٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، المجلد٢، ص ٩.

سباتهم الطويل، لكنهم لم يدركوا كم مضى عليهم من الوقت في نومهم، وكانت آثار النوم الطويل بادية عليهم، فتساءلوا: كم لبثنا؟! فأجاب بعضهم: لبثنا يومًا أو بعض يوم، لكنهم تجاوزوا بسرعة مرحلة الدهشة، فمدة النوم غير مهمة لهم، المهم أنهم استيقظوا وعليهم أن يتدبروا أمورهم، فالإمتاع الفني والفكري في الوصف الدقيق في رسم ملامح فتية الكهف؛ مما يدعوك فيه لإعمال الفكر وتخيّل أشكالهم؛ ونلمح ذلك واضحًا في الآية الكريمة:﴿لَوَلَيْتَ مِنْهُم فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مُنْهُمْ رُعْبًا﴾، يتمثل في الغموض الذي يفجّر للمتلقي أكثر من تساؤل واستخلاص لما وراء هؤلاء الأبطال من دلالات وما وراءهم من أحداث بعد أن ثبتت معجزة إحياء الأموات، لو أنّ الله عز وجل، ذكر أسماء أبطال هذه القصص لتوهم قارئ القرآن أن لهذه الأشخاص خصوصية، أن هؤلاء الذين حدث لهم ما حدث لن يحدث مرةً ثانية، وكذلك ذكر الأمكنة والأزمنة التي وقعت هذه القصص فيها، لتوهم أنّ للمكان والزمان خصوصية، فالذي يبحث عن أسماء الأشخاص الأمكنة والزمان ويجهد فيها، ويبحث عن التفاصيل فإنك تسير في طريق مسدود؛ لأنّ الله ما أراد هذه التفاصيل، ولا أراد الأشخاص بعينهم، ولا المكان بعينه، ولا الزمان بعينه، أراد الحقيقة أن تصل إليك، أراد المغزى، أرادك أن تشعر أن هؤلاء الأشخاص يتكررون في كل زمان ومكان إلى نهاية الدوران، وأن الذي وقع في هذا المكان، يقع في أي مكان آخر في العالم، وأن الذي وقع مع هؤلاء الأشخاص، يقع مع كل الأشخاص إذا توافرت فيهم هذه الشروط.

فعدم تكرار أي جزء من القصة يدل على أنها ذات مغزى توضيحي؛ لإخراس الألسن وتأكيد نبوة الرسول ﷺ بعد اختبار اليهود له.

**المطلب الثاني: القصص المتكررة في القرآن الكريم.**

تنفرد القصص القرآنيّة بأسلوبها الشائق الّذي أصبح دليلاً يهتدي به الأدباء، وهذا سهّل على الناس أخذ العبرة والعظمة منها، ولكن يجب الانتباه إلى أنّه ومع تفرّد القصص القرآنيّة بهذا الأسلوب الجميل فإنّ الهدف الأساسي لقراءة القصص القرآني هو العبر والدروس المستفادة منها؛ فالله تعالى أخبرنا بهذه القصص تحديدًا ولم يخبرنا بباقي القصص مع إيماننا واقتناعنا التامّين بوجود غيرها الكثير ممّا لا يُعدّ ولا يُحصى، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1]، وحتّى في القصة الواحدة نجد أنّ الله تعالى لم يخبرنا بتفاصيل معيّنة وأخبرنا بتفاصيل أخرى، كلّ هذا هو للعبرة؛ فالله تعالى لم يخبرنا بما لا جدوى منه، ولكن هذا الأمر لا يعني مطلقًا أن نأخذ بظواهر الآيات فقط؛ بل يتوجّب علينا أن نُعمِل عقولَنا في تحليلها بناءً على الدلالة اللغويّة وقواعد اللغة العربيّة، والرّبط بين القصص القرآنيّة وبين العلوم المختلفة وخاصّةً علمي التفسير وأسباب النزول؛ لأنّ ذلك سيجعلنا أكثر قدرة على أن نفهم الآيات القرآنيّة بشكل أوضح وأعمق وبشكل يجعلنا لا نشكّ مطلقًا أنّ الله تعالى قد أنزل آيتين بشكلٍ متكرّر، فكلّ آية من آيات القصص القرآنيّة تحمل عبرةً مختلفة عن الأخرى، وكلّ حرفٍ قد يؤدّي معنىً مختلفًا عن الآخر، وكما إنّ هناك قصصًا وردت مرة واحدة، نجد قصصًا تكرر ورودها في مواضع مطوّلة كقصة موسى عليه السلام، وأخرى أقلّ طولاً كقصة سيدنا آدم عليه السلام التي وردت مفصّلة في سورة البقرة[2] وسورة الأعراف[3] ووردت حلقات مطولة تكشف عن بعض جوانبها في سورة الحجر والإسراء وطه وص، كما وردت إشارات عنها في سورتي آل عمران[4]، والكهف[5]؛ وهناك قصص متوسطة الطول كقصة سيدنا نوح عليه السلام والتي سوق نتناولها كنموذج للتكرار ودلالاته

---

١ – سورة غافر الآية ٧٨.

٢ – سورة البقرة الآية ٣٠–٣٩.

٣ – سورة الأعراف الآية ١٠–٢٥.

٤ – سورة آل عمران الآية ٥٩.

٥ – سورة الكهف الآيتان ٥٠–٥١.

في قصص القرآن الكريم، فلذلك قد يحسب أناس أن هناك تكرارًا في القصص القرآني؛ لأنّ القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد إنّه ما من قصة أو حلقة قد تكررت في صورة واحدة من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق، وأنّه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار، ومن هذه القصص قصة سليمان مع بقليس عليهم السلام وقصة هود وقصة صالح وقصة إبراهيم وقصة وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ولوط، وغيرها من قصص الأنبياء والصالحين وأخبار الأمم السابقة التي نجدها في آيات الذكر الحكيم والتي لا يمكن حصرها؛ لأنّ كل آية لها قصة من ورائها عبرة وعظة.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا "إنه قد تتكرر القصة الواحدة في القرآن، ولكن في تكرارها فوائد في كل منها فائدة لا توجد في الأخرى من غير تعارض في المجموع؛ لأنّها لما كانت منزَّلة لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب، وذكر في بعضها من المعاني والفوائد ما ليس في بعضها الآخر حتَّى لا تُملَّ ألفاظها ومعانيها، ثُمَّ إن الأقوال المحكيّة فيها إنما هي معبرة عن المعاني وشارحة للحقائق وليست نقلا لألفاظ المحكي عنهم بأعيانهم، فإنّ بعض أولئك المحكي عنهم أعاجم، ولم تكن لغة العربي منهم كلغة القرآن في فصاحتها وبلاغتها، هذا وإن اختلاف الأساليب وطرق التعبير في قصص القرآن وفي القرآن عمومًا عن المعنى الواحد لا تختلف إلا لكي تفيد في فهمها فائدة لفظية أو معنوية"[١]، فالتكرار إنما أتى في مواضع من الَقُرْآن الكَرِيم كي يستزيد المؤمن إيمانًا كون التكرار الذي يراه في الَقُرْآن الكَرِيم يأتي في كلّ مرة بأسلوبٍ جديد، وصياغةٍ جديدة، وفائدة جديدة أهمها التأكيد.

١ – محمد رشيد رضا، مجلة المنار، المجلد١، ص ٣٦.

**التكرار في قصة سيدنا نوح عليه السلام**

فقصة نوح عليه السلام وردت في سور متفرقة من سور القرآن الكريم، بعضها أشار إليها أثناء الحديث عن القوم المكذبين أو الأنبياء المؤيدين وبعضها ذكر قصته مفصلة بعض أحداثها، ففي سُوْرَة الأعراف لا تشبه قصته نفسها في إطارها العام في سُوْرَة الشعراء، فثمة اختلافات لفظية لها دلالات مختلفة لا تجد تشابهًا بين أي آيتين منها؛ بل كلّ آية أتت بجديد غير موجود في الآيات الأخرى، مع أنها كلها تدور حول أنّ الله تعالى قد أرسل سيدنا نوحا عليه السلام إلى قومه، فدعاهم للإيمان بالله ولم يصدقوه ولم يؤمنوا له، فأغرقهم ونجا نوح ومن معه في الفلك، فالسور التي تحدثت بشيء من التفصيل عن قصة سيدنا نوح تسع سور[1]:

– سورة القمر: قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ *فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ *فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ *وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ *وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ *تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ *وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ *فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾[2]، تأتي هذه الآيات في سياق عرض تكذيب أهل مكة للنبوة، أهل مكة الذين كانوا كلما رأوا معجزة للرسول ﷺ كذبوا وقالوا هذا سحر مستمر، وأتت السورة لتبيّن أن الذي منعهم من الإيمان ليس عدم قوة حجة المعجزات بل هي أبهرتهم وأعجزتهم ولكن المانع كان اتباع الهوى، وصف أهل مكة سيدنا محمدا بالسحر والجنون، وهو عين ما وصف به قوم نوح نبيهم، فلا تحزن يا محمد، بل سيأتيك النصر كما أتاهم، ثم ختمت القصة في السورة ببيان مصير قوم نوح (المؤمنين والكافرين) وفي ذلك تهديد واضح لكفار مكة. تتسم السورة بقصر الآيات وقوة النبرة في تقريع الكفار والمكذبين بالآيات؛ بل كل السورة تدور حول قوله تعالى " فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ"،

---

١ – فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، ص ١٧٨.

٢ – سورة القمر، الآيات (٩–١٦).

بالإضافة إلى سرعة إيقاع القصة ليتناسب مع أول آية في السورة ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ ولذلك تجد استخدام الفاء " فكذبوا عبدنا، فدعا ربه، فانتصر، ففتحنا أبواب السماء، فالتقى الماء؛ للدلالة على التعاقب السريع للأحداث.

– وفي سورة الأعراف يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ*قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ*قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ*أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ*أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ*فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾[1]، جاءت الآيات في سياق استغراب المشركين في أن الله بعث بشرًا نبيًا، فجاءت الآيات تنعى عليهم استغرابهم في أن الله بعث فيهم رسولًا منهم، وتُبيّن الحكمةَ من ذلك، وتبكيتًا لهم بأنّ الغريب هو ألا يكون كذلك، والجديد في هذه الآيات هو سردها لجزء من الحوار الذي دار بين سيدنا نوح عليه السلام وقومه وتحديه لهم وتمسكه بعقيدته، وهو ليس موجودا في سورة القمر التي أسهبت في وصف الطوفان وغرق أهل الشرك، ومن مميزات السورة أنها تتحدث عن الإيمان وتركز على الإيمان بالرسل الذين كانوا من أكبر نعم الله على الناس، ومن نعمه أيضا إمهال الكافرين ليتوبوا وجزاء المسلمين الثابتين على العقيدة الصحيحة.

– وفي سورة الشعراء يقول الله عزّ وجلّ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ*إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ*إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ*فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ*وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ*فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ*قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ* قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ

---

١ – سورة الأعراف، الآيات (٥٩–٦٤).

تَشْعُرُونَ*وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ*إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ* قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ* قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ*فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ* ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ*إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، هذه السورة تتميز عن باقي السور بالحديث عن الشعور الذي يحرك الوجدان والعواطف ويلامس شِغافَ القلوب ويثير الشجون والمشاعر التي تنبع من الأخوة الصادقة، ومن يتتبع أسلوب مخاطبة سيدنا نوح عليه السلام قومه في هذه السورة يجدها قد غلب عليها الحسّ العاطفي؛ وذلك بأنّ نوحًا عليه السلام قرّب المؤمنين له من عامة الناس دون غيرهم من أقاربه الذين كذبوه وعادوه، وفي ذلك مواساة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ وفي ذلك زيادة فائدة على ما في السورتين السابقتين.

– وفي سورة يونس يقول الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ*فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ*فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾[2]، تسلط هذه الآيات الضوء على الأبعاد النفسية، ثقة سيدنا نوح عليه السلام بخالقه وحافظه ويتمثل هذا بتحديه لهم بأنهم لن يستطيعوا أن يقتلوه وهذا لم يرد في السور الأخرى من حيث الأحداث وأسلوب التحدي والثقة بالله، وهذه دعوة للناس بالتمسك بالله والتوجه إليه للنجاة، كما تتحدث عن تعنت الكفار، ومن أسباب ذلك انزعاجهم من كون الله أرسل رجلاً منهم.

---

١ – سورة الشعراء، الآيات (١٠٥–١٢١).

٢ – سورة يونس، الآيات (٧١–٧٣).

– في سورة هود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ* أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ*فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ* قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[1]، تختلف القصة في هذه السورة عنها في السور الأخرى بكونها أكثر السور التي فصلت الحديث في شبهات قومه وتعنتهم مع نوح عليه السلام، ورده عليهم في حوار عقلي منطقي تشبه إلى حد ما ما ورد في سورة نوح، ولكنها تفردت بحواره مع ابنه وإظهار الشفقة عليه، وصناعة الفلك، وتكبد الأهوال والشدائد وفيها بيان لمواقف الشدة والمصاعب التي كابدها سيدنا نوح فكان مثالًا على الصبر وخاصة فاجعته بابنه، مع أنها تضمنت بعض ما جاء في سورة الشعراء كاتباع المؤمنين من عامة الناس وقد وصفوهم بالأراذل تكبرا وغرورا، ثم أكملت القصة لما بعد الطوفان هذا ما لم نجده في سورة أخرى، ثم ختمت الآيات بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، دليل على نبوة الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

– في سورة الصافات: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ*وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ*وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ*وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ*سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ*إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ* ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾[2]، لم تتعرض هذه القصة للحديث عن إرسال سيدنا نوح عليه السلام أو حواره مع قومه؛ بل كل ما فيها بيان نعم الله على نوح عليه السلام وما أكرمه به من منن أجملها بقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾، وهذا واضح في مغايرته لجميع مواضع

---

١ – سورة هود، الآيات (٢٥–٤٨).

٢ – سورة الصافات، الآيات (٧٥–٨٢).

القصة في السور الأخرى، كما تتحدث عن طاعة الملائكة والرسل والمؤمنين لخالقهم. ونعم الله التي اختص بها عباده الأنبياء وكان منهم سيدنا نوح عليه السلام.

– في سورة نوح: تتحدث السورة من بدايتها إلى نهايتها عن قصة نوح عليه السلام وهي بهذا تشبه سورة يوسف التي تحكي عن قصة يوسف عليه السلام، فقد جاءت مفصلة بدأت بالتوكيد بـ (إنّ) بدلا عن (لقد) التي جاءت ضمن السورة وبين قصص الأنبياء، فبدأت القصة بالسرد المباشر للقصة وأمر النذير والمبادرة بالعبادة والتقوى والطاعة، ومن ثم ما نقله نوح عليه السلام لقومه من أوامر الله تعالى ومنهج دعوته كاملًا، وما من الله به عليهم من فضائل، ولمّا لم يسمعوا ويطيعوا جاءت النتيجة في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾[1]، وجاء ذكر الغرق مختصرًا، والجديد فيها ذكر أساليب سيدنا نوح عليه السلام ومنهجه في الدعوة بالتفصيل (وهي عشر أساليب) والتفصيل الدقيق لما دعاهم إليه: العبادة، التقوى، وجوب طاعتهم له. والجديد فيها أيضًا ذكر أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها.

– في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ* فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ*فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ*وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾[2]، بدأت الآيات أيضا بذكر الرسالة، فقد تتحدث السورة عن كيفية مخاطبة قومه بعضهم بعضًا،

---

١ – سورة نوح، الآية ٢٥.

٢ – سورة المؤمنون، الآيات (٢٣–٢٩).

وسنة الله عزّ وجلّ الكونية الثابتة في استهزاء المتبوعين بالأتباع، وأن طاعة الأتباع العمياء للمستكبرين ستهديهم إلى سواء الجحيم، فتفردت الآيات في هذه السورة بذكر من يُحملُ مع نوح في السفينة دون غيرها من السور التي تناولت القصة، ومن مميزات السورة كاملة أنها تتحدث عن صفات المؤمنين، وتعلل دوافع كثير من الناس في عدم الإيمان وأهمها وجود سادة القوم المتنفذين الذين يمنعون الناس عن الحق بلسانهم ومالهم وقوتهم فالذي يحول بين هؤلاء الناس والإيمان هو خنوعهم وخضوعهم لسلطة المستكبرين وهؤلاء الذين وصفهم رسول الله بالإمعة.

– في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ*فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1]، وهي آخر ما نزل من السور التي تحدثت عن قصته بشيء من التفصيل، وفيها بديع لقصته، تتضمن الأحداث بالتلخيص والزمن بالتحديد (ألف سنة إلا خمسين عاما) في "إشارة إلى الشدة والصعوبة والتعبير بالعام للمدة التي لم يكن مع قومه والعام فيه معنى اليسر، كما تطلق السنة على التقويم الشمسي والعام على القمري وهو أقل بأحد عشر يوما، ففي السنة إشارة إلى الشدة والطول"[2] اللذين قاسهما سيدنا نوح عليه السلام مع وقومه، والنتيجة المعروفة إذن لا داعي لتفصيلها، وتحمل هذه الآيات بين طياتها تنبيهًا وتخويفًا بأنّ الله يمهل العبد ولا يهمله ما طال عليه الأمد، وهذه السورة هي سورة الدعاة، تتحدث عن ركائز الدعوة ومقوماتها، مبتدئة بحث الدعاة على الصبر وتحمل البلاء، فهذا نوح عليه السلام لم يرَ إلا أعوامًا قليلة من الرخاء، وفي النهاية انتصر، وكانت العقبى له. إنه درس عظيم للدعاة بأن النصر مع الصبر، ولن يغلب عسر يسرين، واصبروا فإن العاقبة للمتقين.

---

١ – سورة العنكبوت، الآيات (١٤–١٥).

٢ – فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، ص١٩٧.

تلك كانت قصة سيدنا نوح عليه السلام متحديًا قومه، داعيًّا إياهم إلى الإسلام في سياقات مختلفة وصور متعددة من الآيات القرآنية التي ذكرت معها، والجديد في كل منها تأخذ بالأخرى لتكمل منظومتها فاكتملت، وكذلك قصة سيدنا آدم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، كلّ قصة لها دورها تؤديه كلّ جزئية من جزئياتها في القرآن الكريم لتكتمل الصورة.

هكذا يرى كل ذي عينين، أن ما تكرر من قصص القرآن الكريم كلها لم يكن إلا لفائدة تتناسب مع سياق الآيات المذكورة فيه، وكانت القصة في مكانها الطبيعي في سياق الآيات دون تكلف؛ بل وحملت كل قصة جديدًا في كلّ موضع ذكرت فيه. تبيّن نهاية الروعة، وسر الإعجاز.

فإن قصة نوح من أكثر القصص التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم، تلك القصص التي تبين معاناة الرسل مع الأمم والمجتمعات المنحرفة التي لم تنفعها الخطابات الموجهة إليهم، حيث ترتّب على ذلك طابع مماثل من مصائرهم، وهو الإبادة التامة لتلكم المجتمعات عدا بعض الأفراد أو الجماعات المؤمنة، وفي تكرارها تحمل العديد من العبر والدروس والدلالات التي يستفيد منها المسلم عمومًا، والداعون إلى الله على وجه الخصوص، منها:

* الصبر على أداء التكاليف التي كلّف الله بها عباده، والصبر على أذى السفهاء والجهلاء، والصبر في مواجهة الأعداء، والصبر على صعاب الحياة كافة، فقد مكث نوح عليه السلام يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، ولم يؤمن له إلا القليل في ذلك تسلية الرسول عما يلاقيه من مشاق الدعوة، وتثبيته على الحق المبين.

* الإنسان العاقل الحكيم من يتلقى شبهات خصمه وأكاذيبه بقلب سليم، وعقل رحب، ثم يرد عليها بما يدحضها من قواعدها.

* الشجاعة في إبداء الرأي، والغيرة على الحق، وإفهام المعترضين على دعوته أنه سيمضي قدماً في طريقه، لا يلوي على شيء، ولا يثنيه عن ذلك وعد أو وعيد.

* الإنسان العاقل، والداعي الحكيم من يسوق لغيره النصائح والإرشادات بأساليب متنوعة، تارة عن طريق الترغيب والترهيب، وتارة عن طريق الدعوة إلى التأمل والتدبر في خلق الله، وأحياناً أخرى عن طريق بيان مظاهر نعم الله على عباده.

* العفاف عما في أيدي الناس، وعدم التطلع إلى ما في أيديهم من أموال، والاستخفاف بكل ما يملكون من حطام الدنيا، وإيثار ما عند الله على ما عندهم، أرشد إلى كل ذلك مصارحة نوح قومه بأنه لا يريد أجرًا منهم على ما يدعوهم إليه، وأن ما يدعوهم إليه فيه صلاحهم في الدنيا و سعادتهم في الأخرى.

* العاقبة الحسنة للمتقين المؤمنين، قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾، والعاقبة السيئة على الظالمين: ﴿ثم أغرقنا بعد الباقين﴾.

* القرابة والنسب، وكذلك الجاه والمال والسلطان، لا اعتبار لها في ميزان الشرع، بل العبرة بداية ونهاية للعمل الصالح، وتصحيح العلاقة مع الخالق، وغير ذلك لا يجدي عند الله شيئًا.

**التكرار في قصة آدم عليه السلام:**

وإن من ينظر في آيات القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى كرر ذكر كثير من الأنبياء في أكثر من سورة، وأكثر من موضع مثل قصة سيدنا آدم عليه السلام وصراعه مع إبليس فقد ذكرت في كثير من سور القرآن الكريم، فقصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم تأتي ضمن هذا الإطار، فقد وردت مجريات هذه القصة وأحداثها في سبعة مواطن في القرآن الكريم: في سور البقرة، والأعراف، والحِجر، والإسراء، وطه، والكهف، وص، وذُكرت أحداث هذه القصة في هذه السور على درجات متفاوتة من الطول والقصر، والبسط والاختصار، وهي في مجموعها تشكل وحدة متكاملة مترابطة لا اختلال فيها ولا انقطاع.

مختصر قصة سيدنا آدم عليه السلام:

تناثرت قصة آدم عليه السلام بين ثنايا القرآن الكريم، في هذه القصة القرآنية أنّ الله تعالى قال للملائكة إنه سيجعل على هذه الأرض بشرًا يعبده سبحانه وتعالى،

ومن ثم دار حوار بين ربّ العزة جلّ شأنه وبين الملائكة حول المخلوق القادم، وبفطرتهم السليمة وإلهام الله تعالى لهم عرفوا أن هؤلاء البشر سوف يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، فسألوا رب العزة سؤالَ استعلامٍ واستكشاف عن الحكمة، لا سؤال اعتراض حاشا لله، وبعد خلق سيدنا آدم عليه السلام من صلصال ونفخ فيه الروح، أمرَ الله تعالى الملائكةَ أن يسجدوا له، فسجد الملائكة المعصومون الذين لا يعصون أوامر الله تعالى، إلا إبليس الذي لم يكن من الملائكة المخلوقين من النور، بل كان من الجن وقد خلق من النار – كما بينت الآية الكريمة– أبى إبليس واستكبر عن أمر الله تعالى أن يسجد لآدم عليه السلام الذي أمر رب العزة أن يسكن وزوجه في الجنة، وأن يأكلا منها حيث شاءا، إلا شجرة معينة، بيد أن إبليس لم يتركهما وشأنهما غيظا منه وحسدا ذلك الذي فضّله لله تعالى عليه بل امره أن يسجد له، فوسوس لهما واستجرهما للأكل منها، فأكلا من تلك الشجرة، مخالفين في ذلك أمر الله سبحانه، ثم جاء الأمر الإلهي لهما بالهبوط من الجنة، والاستقرار في الأرض، بعد العفو على سيدنا آدم وزوجه، وطلب منهما الالتزام بما يأتيهما من الهدي الإلهي، وبعد استقرارهما في الأرض تناسلت منهما ذرية البشر، وكان إبليس من المطرودين من الجنة، وكان رد فعله على هذا الطرد أنه أقسم على نفسه بإغواء بني آدم، وصدهم عن سواء السبيل فكان الصراع الأزلي بين إبليس وبني آدم في الدنيا وإلى يوم يبعثون.

وقد تخلل هذه القصة في مواطنها القرآنية المختلفة حديث عن أصل خلق آدم، وأمره سبحانه للملائكة بالسجود لآدم، وموقف إبليس من هذا السجود، واستخلاف الله سبحانه لآدم في الأرض، وإسكانه الجنة، وإغواء إبليس لآدم، وتحذير بني آدم من مغبة متابعة الشيطان بما يوسوس به، لم ترد هذه القصة في سورة واحدة؛ بل جاءت مكررة في أكثر من سورة فجمعت.

ما يستفاد من القصة:

هذه القصة المتكاملة التي جاءت بين ثنايا القرآن الكريم فيها من الفوائد ما يحصى، منها:

– اقتضت إرادة الله أن يجعل في الأرض خليفة له، هو آدم عليه السلام ومن توالد من ذريته، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

– إن آدم عليه السلام خُلق من طين لازب، ومن حمأ مسنون، كما نصت على ذلك العديد من الآيات، نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾[2] ولم يأت القرآن الكريم بتفصيل أكثر من ذلك.

– إنّ آدم عليه السلام نسي فأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الاقتراب منها، فقد أنساه إبليس ذلك، والنسيان سمة من سمات البشر، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[3]، لم يسمِّ القرآن الكريم نوع الشجرة التي أكلا منها.

– أن العداوة بين إبليس وذريته، وبين آدم وذريته عداوة قديمة ومستحكمة ومستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[4]، ولكن قوة الإيمان تتغلب على كيد الشيطان، وإنّ عباد الرحمن ليس لإبليس عليهم سلطان.

والأمرُ المهم في الوقوف عند أخبار القرآن فيما جاء في القصص عدمُ الخوض في تفاصيلها إلا إذا دلَّ عليها دليل صحيح وصريح، خاصة إذا كانت تلك التفاصيل لا ينبني عليها حكم، ولا يترتب عليها شرع، ولا يُفهم منها عبرة.

**مواضع التكرار في قصة سيدنا آدم عليه السلام في القرآن الكريم، ودلالاته:**

إن من ينظر في آيات القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى كرر ذكر كثير من الأنبياء في أكثر من سورة، وأكثر من موضع مثل قصة سيدنا آدم عليه السلام وصراعه مع إبليس فقد ذكرت في كثير من سور القرآن الكريم منها قوله تعالى في

---

[1] سورة البقرة الآية (٣٠)

[2] سورة السجدة الآية (٧)

[3] سورة طه الآية (١١٥)

[4] سورة البقرة الآية (٣٦)

سورة ص ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ* قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ* إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

وفيها يسوق رب العزة من الوعيد لإبليس عليه لعنة الله حين تكبّر على الإنسان ورفض أن يسجد إليه بأمر من الله تعالى، ويشير إلى خلقه من الطين دلالة على الضعف والهوان وما يحمله من خَبَث، وتشير الآية إلى ثلاثة محاور خلق الإنسان وطاعة الملائكة واستكبار إبليس.

وفي سورة البقرة يقول رب العزة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ* وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ*قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ*قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ*وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ* وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ*فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ* فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ* قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ

---

١ – سورة ص الآيات من (٧١– ٨٥)

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1].

تستعرض القصة في هذا السياق من سورة البقرة محاور أخرى غير التي جاءت في الآية السابقة، وإضافة إليها منها: موكب الحياة من قبل استخلاف الإنسان في الأرض، مع إعطائه مفاتيح المعرفة لهذه الخلافة، وتخبر بفطرة الأنسان في البطش وسفك الدماء قبل وقوعه، ثم القيادة من قبل الإنسان يسكن ويعيش حياة كريمة حرة، وهنا يبدأ الخلاف بين الإنسان وإبليس وحقده عليه لتفضيله وذلك بعد الاستخلاف، حيث أشارت الآيات السابقة إلى أن الله تعالى خصّ آدم عليه السلام بالخلافة، كما خصّه بعلم غزير، وقفت الملائكة عاجزة عنه، وأضافت هذه الآيات الكريمة بيان نوع آخر من التكريم أكرمه الله به ألا وهو أمر الملائكة بالسجود له، وذلك من أظهر وجوه التشريف والتكريم لهذا النوع الإنساني ممثلاً في أصل البشرية آدم عليه السلام، ومن ثم انصياع البشر لإبليس؛ وذلك قبل نزولهما إلى الأرض، وهنا دعوة من الله تعالى لعباده بالاستغفار والدعاء والندم بعد المعصية.

أما من حيث السياق فإن القصة جاءت في سورة البقرة في سياق الحياة الهانئة للإنسان في الدنيا والصراع الأزلي بين بني البشر بسبب إبليس، وفي سورة الأعراف في سياق العقوبات وإهلاك الأمم الظالمة من بني آدم وغضب الرب سبحانه، فقد قال قبلها: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ* فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَآءَهُمْ بَأْسُنَآ إِلاَّ أَن قالوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

وفي سياق الألفاظ والمعاني فقد قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَآءَادَمُ اسكن أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجنة وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هذه الشجرة﴾، دلالة على التكريم والعيش الرغيد، فقال بعدها: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

وقال في سورة الأعراف: ﴿وَيَآءَادَمُ اسكن أَنتَ وَزَوْجُكَ الجنة فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هذه الشجرة﴾، فيها تلميح لما سيأتي بعده من عقوبة في خطاب لا يخلو من

---

١- سورة البقرة الآيات ( ٣٠-٣٩)

عتاب، فقال بعدها: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

أما في سورة الإسراء يقول الله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا* قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا* وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا* إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.[1]

وفي هذه الآيات تبيّن القصة المشاركة بين الجن والإنس على الأرض؛ وذلك عقب رفضه السجود والنزول من الجنة، مع معرفة إبليس التام بالنفس البشرية وميلها الفطري للنعمة والدعة إلا من رحم ربي، في خطاب لا يخلو من الوعيد لمن تبع إبليس.

يقول الله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ* قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ* إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ* قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[2].

تشابهت مقدمات قصة سيدنا آدم عليه السلام في السور السابقة في الإشارة إلى التمكين واستخلاف الأرض، أما في سورة الحجر فتبيّن الآيات الكريمة أمورا في غاية الأهمية " وهي أن الإنسان مخلوق من طين (صلصال) غير متماسك ويتفتت

---

١- سورة الإسراء الآيات من (٦١-٦٥)

٢ – سورة الحجر الآيات من (٢٨- ٤٢)

بسرعة، ولا يمتلك خاصية المحافظة على ذاته"[1] إشارة إلى تقلب الإنسان من حال إلى حال، وذوبانه في الارض عند موته، وما عليه الإنسان من تكبر لا داعي منه لأنّ أصله طين فعلام يتكبّر؟

وفي سورة طه ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ* قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[2].

فمن خلال تَتَبُّع موارد قصة آدم في القرآن الكريم يرشد إلى أن القصة تناولت القضايا التالية:

* إرهاصات في الملأ الأعلى بظهور كائن جديد، هو آدم عليه السلام، أشار إلى ذلك في أكثر من آية، ففيها إخبار من الله سبحانه للملائكة أنه سيجعل في هذه الأرض من يكون خليفة عنه، يقيم أمرها، ويصلح شأنها.

* الإعلان عن المادة التي سيخلق الله سبحانه وتعالى منها هذا الكائن الجديد، الذي سيكون خليفة له في الأرض، أرشد على ذلك بقوله مرة (صلصال) ومرة (طين)، ولكل دلالته.

* الاحتفاء بميلاد هذا المخلوق الجديد، ودعوة الملائكة للسجود له، أفاد ذلك قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾، وقد تكرر الأمر بالسجود لـ آدم عليه السلام في سبعة مواضع قرآنية، ما يدل على عظيم الاحتفاء والتقدير لهذا الكائن الجديد.

* امتناع إبليس عن السجود لـ آدم وحجته على هذا الامتناع، وفي جميع المواضع السبعة التي جاء الأمر فيها بالسجود لآدم، جاء فيها امتناع إبليس عن السجود،

---

١ – فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، ص ١١٣.

٢ – سورة طه، الآية من (١٢٣)

وتأبيه عن فعل ذلك، نحو قوله سبحانه: ﴿إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[1]، وقوله عز وجل: ﴿فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين﴾[2]، والآيات التي ذكرت امتناع إبليس عن السجود، ذكرت له صفات، تكشف حقيقة موقفه من أمر ربه، وتفضح فعلته التي فعلها، وقد علل إبليس امتناعه بالسجود بعلل واهية، كقوله:﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[3]، وقوله: ﴿لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون﴾[4].

* صدور الحكم الإلهي بحق إبليس جراء رفضه لأمر ربه بالطرد من الجنة، وهذا ما صرحت به بعض الآيات السابقة، ولم يتقبل إبليس هذا الحكم، بل عقب عليه بقوله: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾، بيد أنه سبحانه رد عليه جراءته ووقاحته، بقوله: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾

* وصية الحق سبحانه لـ آدم، وتحذيره من إغواء إبليس اللعين، قال سبحانه: ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾، دليل على أن العداوة بين إبليس وذريته، وبين آدم وذريته عداوة قديمة ومستحكمة ومستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

* النهي الإلهي لـ آدم وزوجه بعدم الأكل من الشجرة، قال سبحانه: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾، ويلاحظ أن الآية الكريمة نهت عن الاقتراب من الشجرة، لا عن الأكل منها، وهذا أبلغ في النهي؛ لأن مجرد الاقتراب يوقع في الإثم، فكيف بالأكل منها؟

* إغواء إبليس لـ آدم وزوجه بالأكل من الشجرة، واستجابة آدم وزوجه لهذا الإغراء، قال عز وجل: ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى*فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى﴾.

---

١ – سورة البقرة، الآية من (٣٤)

٢ – سورة الأعراف، الآية من (١١)

٣ – سورة الأعراف، الآية من (١٢)

٤ – سورة الحجر، الآية من (٣٣)

* عتاب الله لـ آدم لاستجابته لإغواء إبليس، وتوبته مما أقدم عليه، قال عز وجل: ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين*قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾، وقال سبحانه: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾. وقال عز من قائل: ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ دليل على سعة رحمة الله وفضله، وسابغ كرمه، وقبوله لتوبة التائبين.

* خروج آدم من الجنة، وتحذيره وذريته من إغواء إبليس وكيده، قال تعالى: ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾.

هذه أهم القضايا الرئيسة التي أبرزتها قصة آدم عليه السلام كما عرضها القرآن الكريم، وهي في مجملها تبرز صورة الصراع بين الحق والباطل، وبين الإنسان وعدوه الأول والأخير إبليس، وردت القصة الكاملة في القرآن الكريم؛ بينما تفرقت بين آيات محددة في سور القرآن الكريم حسب ما تدل عليه الآية الكريمة من عبرة وعظة.

## المبحث الثاني: التكرار اللفظي والمعنوي في القصة القرآنية ودلالاته وأغراضه

### المطلب الأول: التكرار اللفظي والمعنوي في القصة القرآنية ودلالاته

### المطلب الثاني: أغراض التكرار في القصة القرآنية ودلالاته

**المطلب الأول: التكرار اللفظي والمعنوي في القصة القرآنية ودلالاته**

التكرار اللفظي:

وجد الأداء اللفظي في اللغة العربية مساحة كبيرة لبلوغ ثلاثة أبعاد: صوتية، ودلالية، وجمالية؛ لاستيطان الشعور وتجسيده، والتماس الوجدان والتفاعل مع صور الإبداع المنبعثة من عمق النص القرآني، فتلذّذ القراء بجوانب الجمال وما يحيط به من ظواهر صوتية ولغوية وما ينتج عنه من آثار بارزة تعرض إليها أهل اللغة في إبداعهم لترقية النفوس، وجعل القارئ يتسامى بقراءته إلى مستوى عال من الأداء، ومن مظاهر هذا الأداء التكرار، لما فيه من وقع سمعي وأثر صوتي في تحسين اللفظ وتأكيد المعنى، فهو يعطي النص تماسكا وقوّة، فالتكرار اللفظي في القرآن الكريم يأتي في صور شتى وفواصل مختلفة، فالتكرار من أبرز مظاهر البلاغة القرآنية فهو يملك ناحيتين لفظية ومعنوية، فالجانب اللفظي يحدث نغما موسيقيًّا لتوازي الفقرات من جهة الأصوات، أمّا الجانب المعنوي فهو يرتبط بمقتضى الحال، والقرآن وظفّه في مخاطبة العرب "رأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام"[1].

"ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب؛ لتعلمهم عجزهم"[2] فالتكرار اللفظي يكون وجوه منها:

* أن يكون في آية بصورة، وفي آية أخرى على عكس الصورة الأولى "وهو يشبه رد الصدر على العجز"[3] وقد يكون التكرار في القصة الواحدة، وقد وقع في القرآن الكريم، منه على سبيل المثال لا الحصر كما جاءت في قصص القرآن الكريم:

قوله تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً﴾، في آيتين منفصلتين وفي قصة واحدة، وقصتا نزولهما مختلفتان، الأولى في سورة البقرة الآية (٥٨)، وهي

---

١ – الجاحظ، الحيوان، ج١، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٧ ص٩٤.

٢ – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص١٩٧.

٣ – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

مكية، فيها طلب دخول الأرض المقدسة بعد عقوبة التيه في صحراء سيناء للكل أي ادخلوا الباب وأنتم راكعون واستغفروا الله من ذنوبكم التي اغترفتموها، "أنهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها، والشكر على النعمة عندها والمبادرة إلى ذلك من المحبوب لله تعالى"[١] وفي سورة الأعراف الآية (١٦٢)، وهي مدنية، يخاطب المذنبين ويطلب الاستغفار من الذنوب أولًا؛ "وآية البقرة سيقت مساق التوبيخ فناسبها ما هو أدل على المنة، وهو تعجيل الانتفاع بخيرات القرية، وآيات الأعراف سيقت لمجرد العبرة بقصة بني إسرائيل"[٢]، (ادخلوا واسكنوا) ففُرّق ذلك على القصتين على عادة القرآن الكريم في تغيير أسلوب القصص تجديدًا لنشاط السامع، فالدخول لا يعني السكن الذي يعني المكوث والاستقرار.

* وقد يكون التكرار في آيتين وردتا في سورتين مختلفتين في قصة واحدة أيضًا كما في قصة موسى عليه السلام، نتناولها من زاوية أخرى من حيث التكرار اللفظي وهي الزيادة والنقصان، حيث قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ *فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[٣]، يخاطب سيدنا موسى عليه السلام ليأمر بني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة بعد أن نجاهم الله تعالى من فرعون وملئه ولكنهم أذنبوا بعدم دخول الأرض المقدسة فعاقبهم الله تعالى، ففي سورة الأعراف يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ *فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾[٤]، نجد هذ الفروق:

---

١ – ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج١، ١٥٨.

٢ – ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج١، المصدر نفسه، ص١٥٩.

٣ – سورة البقرة، الآية ٥٨.

٤ – سورة الأعراف، الآية ١٦٢.

– قال في البقرة: (وَإِذْ قُلْنَا)؛ لأنه لما ذكر النعم التي سبقت كان من المناسب أن يذكر المنعم فقال: (وإذ قلنا)، بينما في سورة الأعراف (وَإِذْ قِيلَ) وبناء الفعل للمجهول وحذف الفاعل العلم بأنّ الله تعالى هو القائل، بالإضافة إلى التركيز على القول.

– وأيضا هناك فرق في قوله تعالى في سورة البقرة: (ادخلوا)، وفي سورة الأعراف: (اسكنوا)؛ لأنّ الدخول مقدم على السكن والسكن يعقب الدخول، دليل على الدقة في توظيف المفردات.

– بالإضافة إلى الفاء: (فكلوا)، في سورة الأعراف: (وكلوا) بالواو؛ لأنّ الأكل مرتب على الدخول وليس مرتبا على السكن، وهذا دليل على الترتيب مع التعقيب، وقال الزمخشري في الكشاف " التقديم والتأخير والإتيان بالفاء هذا يدل على بلاغة القرآن فإنّ من تفنُّنِ البليغ أن يذكر الشيء بأساليب متعددة دون أن يكون بينها تناقض"[1].

– وأضاف (رغدا)؛ لأن كلمة الرغد هو الشيء الواسع الكثير وهذا يتناسب مع إظهار المنعم.

– وقوله تعالى: (خَطَايَاكُمْ) دلالة على الكثرة الخطايا، وهي صيغة من صيغ الكثرة، ولا تدل على جموع القلة التي من أوزانها: (أَفْعَال، أَفْعُل، أَفْعِلة، فِعْلة)، بينما (خَطِيئَاتِكُمْ جمع المؤنث السالم، قد تدل على القلة.

– وفي قوله تعالى: (فبدل الذين ظلموا)، (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ) دليل على أن الكل ليس بظالم وإنما التبديل لم يقع من الكل وإنما وقع من بعض منهم و(منهم) تفيد التبعيض.

– وكذلك الفرق بين (فأنزلنا) و(فأرسلنا)، فالإنزال يدل على الرفق، أما الإرسال يدل على القضاء على هذا المرسل عليه بالعذاب.

– وقوله تعالى: (يفسقون)،(يظلمون)، فالفسق أعمّ منه الظلم، تدل دقة القرآن الكريم في اختيار الألفاظ وعنايته بها، ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ فوصفهم بالفسق وجزء منه الظلم لما في سورة الأعراف إخبار منه جل وعلا عن حال بني إسرائيل دون أن يراهم؛ لأنّه مازال في مكة فلما هاجر أتت سورة البقرة التي هي مدنية.

---

١ – الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ص ٥٨.

* وقد يكون في آيات مختلفة في سورة واحدة وفي قصص واحدة، كما في قصة نوح في سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾، الآية (١٠٨) ثم أعيدت بلفظها في الآية (١١٠)، وحذفت الياء الضمير محل المفعول به: لأنّ الطاعة لا تصرف إلا لله تعالى.

*وقد يكون في آيات مختلفة في سورة واحدة وفي قصص مختلفة، كما في السورة السابقة؛ حيث بدأت القصة مخاطبا الرسول الكريم بقوله تعالى: ﴿طسم*تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ*لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ*إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[1]، ومن ثم سردت السورة بقية القصص والأحداث التي توالت فيها من قصص الأنبياء، فجاءت قصة سيدنا موسى عليه السلام مستفيضة، ثم تلتها قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، بينما توالت القصص لتسلية النبي بعد أن كذّبه المشركون، والملاحظ هنا تكرار الآيات الأربعة بدءًا بتكذيب الأقوام لرسلهم، ومن ثم عدم التقوى، مع تأكيد أمانته وصدقه لهم ثم يطلب منهم التقوى والطاعة بدون مقابل؛ لأن أجره على رب العالمين، تكرار هذه العبارات في كل الآيات مع اختلاف الأقوام المرسل إليهم والرسول وما أرسل به وتعقبها الآيات التي تختصّ بكل قوم، والعذاب الذي يرسله لهم بسبب تكذيبهم رسلهم، فقد قال تعالى في الآية يتحدث عن تكذيب قوم نوح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ*إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ*إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ*فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ*وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، فلم يؤمن له قومه، بل آذوا من آمن به وطالبوه بطردهم، فقال لهم: وما أنا بطارد من آمن باللّه واتّبعني على التّصديق بما جئت به من عند اللّه، فأغرقهم الطوفان بسوء فعلهم، وقال تعالى عن عاد قوم سيدنا هود عليه السلام مثل ما قال لقوم نوح: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ*إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ*إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ*فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]، غير أن دعوته لهم مختلفة أن "اتّقوا عقاب اللّه

---

١ – سورة الشعراء، الآيات (١–٤).

٢ – سورة الشعراء، الآيات (١٠٥–١٠٩).

٣ – سورة الشعراء، الآيات (١٢٣–١٢٧).

أيّها القوم بطاعتكم إيّاه فيما أمركم ونهاكم، وانتهوا عن اللّهو واللّعب وظلم النّاس وقهرهم بالغلبة والفساد في الأرض، واحذروا سخط الّذي أعطاكم من عنده ما تعلمون، وأعانكم به من بين المواشي والبنين والبساتين والأنهار"[1]، ثم تكرر الأمر مع صالح فقد كذبه قومه ثمود، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ*إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ*إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ*فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]، ودعوته إليهم شكر النعمة التي هم فيها من زروع وثمار وبيوت فارهة ومع ذلك يعصون الله ويعبدون الأصنام وهم يعتقدون أنهم خالدون، فأتاهم عذاب الله بعد أن كذبوا صالحًا عليه السلام، ثم تكررت الآيات الكريمة في قوم لوط عليه السلام، فقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ*إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ*إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ*فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3]، نهاهم عن فعل الفاحشة، وسوء العاقبة التي سوف تحل بهم، وتكرر الأمر مع سيدنا شعيب عليه السلام فقد كذبه قومه أصحاب الأيكة، فقال الله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ*إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ*إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ*فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[4]، كانوا أصحاب زرع ونعمة، فنهاهم شعيب عن ظلم الناس في الميزان فلم يرتدعوا "فأرسل الله عليهم سمومًا من جهنم فأطاف بهم سبعة أيام حتى أنضجهم الحرَ فحميت بيوتهم وغلت مياههم في الآبار والعيون، فخرجوا من منازلهم ومحلتهم هاربين والسموم معهم، فسلط الله عليهم الشمس من فوق رؤوسهم، فتغشتهم حتى تقلقلت فيها جماجمهم، وسلط الله عليهم الرمضاء من تحت أرجلهم حتى تساقطت لحوم أرجلهم، ثم أنشأت لهم ظلة كالسحابة السوداء فلما

---

١ – الطبري، تفسير الطبري، ج٧، ص٦١٣.

٢ – سورة الشعراء، الآيات (١٤١–١٤٥).

٣ – سورة الشعراء، الآيات (١٦٠–١٦٤).

٤ – سورة الشعراء، الآيات (١٧٦–١٨٠).

رأوها ابتدروها يستغيثون بظلها حتى إذا كانوا تحتها جميعا، أطبقت عليهم فهلكوا ونجّى الله شعيبًا والذين آمنوا به"[1].

فدلالة التكرار في الآيات السابقة وحدة دعوة المرسلين أقوامَهم إلى الله تعالى، مع تعدد طرق الدعوة وتناسب الحساب والعقاب مع ظروف هذه الأقوام.

التكرار المعنوي:

أما التكرار المعنوي فتتمثل في المعاني الضمنية المستفادة من تكرار القصة القرآنية وفي مقدمتها وحدة دعوة الرسل إلى الله تعالى وعبادته بحق، التأكيد على وحدانية الله تعالى، فقد تعدد طرق الدعوة واختلفت باختلاف المكان والزمان والأمم المرسل إليها، فجاءت قصصٌ تحمل في طياتها الوعظ والاعتبار، وبعضها الوعيد والتهديد، وبعضها التنبيه والتذكير، وبعضها الإفهام وتثبيت الموقف في أذهان المسلمين، والتكرار في بعض القصص موضوعها واحد وألفاظها مختلفة كما مرّت في قصة آدم عليه السلام، فهي قصة واحدة متناثرة بين سورة القرآن الكريم، تتحدث عن عصيان إبليس، فاختلفت الألفاظ فيها، وليس المقصود أداء الألفاظ إنّما المقصود ذكر المعاني، كما جاء درة التنزيل للرازي " فإنّ الألفاظ إذا اختلفت أفادت المعنى المقصود، وكان اتفاق الألفاظ واختلافها سواء"[2]

---

١ – جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، ط١، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣ ج١١، ص٢٩٠.

٢ – الرازي، درة التنزيل غرة التأويل، ص١١٩.

**المطلب الثاني: أغراض التكرار في القصة القرآنية ودلالاته**

تحظى دراسة التّكرار في اللغة العربية باهتمام كبير في الدّراسات الحديثة، إذْ تبين الوجوه التي يُستحسن فيها التكرار وتلك التي يُستهجن فيها، وخَلُصت إلى أن المتكلم أحيانا يعمد إلى تكرار المهم للفت انتباه السامع ليوصل فكرته إليه؛ حيث يقوم بوظيفة الرّبط على مستوى البّنية الظّاهرة للنّص المؤدّية إلى الانسجام الداخلي؛ لذلك فهو ليس مجرد إعادة لألفاظ وعبارات داخل النّص، فهناك علاقة بين مفاهيم التّكرار من حيث اللغة وظائفها داخل النّص، فالتّكرار في النّص يشتمل على إحالة قبليّة أو سابقة إلى آنية، ومن معانيه الكرّ، إذن هو ظاهرة من ظواهر التّماسك النّصي سواء بالألفاظ أم المعاني، فقد اهتم به الأقدمون كثيرا، وللتكرار أغراض كثيرة، منها في تكرار اللفظ:

– التأكيد أقوى أغراض التكرار؛ لأهمية المكرر، كقوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1]، يؤكد رب العزة جلّ شأنه علمَ الإنسان في المستقبل عاقبة التمسك بالدنيا، فقد ورد في الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي قوله: " قاله مجاهد: ويحتمل أن يكون تكراره على وجه التأكيد والتغليظ"[2].

– تناسق الكلام حتى لا يضره طول الفصل، كقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[3]، بتكرير (رأيت) لئلا يضره طول الفصل بين المعطوفات؛ بحيث يكون في حالات يطول فيها الفصل في الكلام حتّى يفتقر أولّه إلى تمام لا يفهم إلّا به، كما قال ابن الأثّير،" أو لأنّ السّبك والتّركيب يقتضيان ذلك"[4].

– استمالة المخاطب وإقناعه بأمر ما، كقوله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ

---

١– سورة التكاثر، الآيتان ( ٣–٤).

٢– القرطبي، جامع لأحكام القرآن الكريم، ج٢٠، ص١٧٢.

٣– سورة يوسف، الآية ( ٤).

٤– ابن الأثير، المثل السائر، ج٣، ص ٢٧.

الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[1]، تكرر لفظ (يا قوم) للتقرب واستمالة المخاطب بقصد الإقناع وتأكيد معنى الأخوة والترابط بين أفراد قومه.

– التهويل والتخويف بتكرار الصوت الذي يتميّز بصفات الشدّة والجهر باعتبار التكرار ظاهرة تميّز بها النص القرآني في مواضع اقتضاها السياق لتحقيق المقاصد، وقد التزم به القراء؛ لما له من أثر في تقوية العلاقة بين الصوت والدلالة، فمن الجانب الصوتي هناك تنويع في تكرار الصوامت حسب المواقف، فالقرآن الكريم يوظّف الصوت المتكرر لتقرير الدلالة المقصودة، منها ما أوردها الزركشي في البرهان في علوم القرآن " أن التكرار فيها مع سائر الألفاظ لم يوقع في اللفظ هُجْنةً، ولا أحدَث مَلَلًا؛ فبايَنَ بذلك كلامَ المخلوقين، وأن التكرار ألبَسها زيادةً ونقصانًا، وتقديمًا وتأخيرًا؛ ليخرج بذلك الكلامِ أن تكون ألفاظُه واحدةً بأعيانها، فيكون شيئًا معادًا، فنزَّهه عن ذلك بهذه التغييراتِ"[2]، فالمعانيَ التي اشتملت عليها القصة الواحدة من هذه القصص صارت متفرقةً في تارات التكرار، فيجد البليغ في هذا التغيير ميلًا إلى سماعها؛ لِما جُبِلت عليه النفوس من حب التنقل في الأشياء المتجددة.

أما التكرار في القصص القرآني فيمكن تلخيص الحكمة منه فيما يلي:

– إبراز المعنى الواحد في صور متعددة وأساليب متنوعة وتفنن شيق وألفاظ مختلفة رفيعة غاية في البلاغة، وأما من ناحية الإعجاز فإيراد المضمون الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة واحدة منها أبلغ في التحدي، علمًا بأنّ العرب في ذلك الوقت وصلوا إلى قمة التفنن في البلاغة وحازوا قصب السبق في الفصاحة وملأوا الدنيا نثرًا ونظمًا، وأما من ناحية البيان فتكرار القصة الواحدة يلفت الانتباه إليها ويشعر بالاهتمام بها، ويُمكّن الاعتبار بها في النفس ويرسخها فيها على أساس أن ما تكرر تقرر، ومن الحكم أيضا لتكرار القصة الواحدة في سور متعددة تناسب كل سياق مع السورة التي ورد فيها من حيث الطول والقصر والإطناب والإيجاز إلى غير ذلك من الحكم الكثيرة الجليلة.

---

١– سورة غافر، الآيتان (٣٨–٣٩).

٢– الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص٢٨.

– زيادة العبرة والموعظة ولتذكير المؤمن دائمًا بعاقبة المكذبين من الأمم السابقة، ليبقى في حالة يقظة وخشية مستمرة وخوف من عذاب الله تعالى، ومن جهة ثانية ليبقى في حالة سرور وتفاؤل برحمة الله عزّ وجلّ ووعده، وأنه ينجي عباده المؤمنين، ويجعل العاقبة لهم ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[1]، ومن يتتبع ما تكرر من القصص القرآني، يجده تكرارًا محمودًا؛ لتثبيت معاني أدلة وجود الخالق ووحدانيته وإزالة معاني الشرك كتكرار أي عبارة ذات أهمية في عقيدة المسلمين ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ وردت على لسان أكثر من نبي، كما وردت الآية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرةً، فهو من أقوى الأساليب القادرة على زعزعة الفكر الباطل المسيطر على سلوك المكذبين، وتعدادها للدلالة على كثرة آلاء الله تعالى ونعمه، وليس حصرها في هذا العدد، وكذلك الآية: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ورد تكرارها في سورة المرسلات للتنبيه على عاقبة التكذيب.

– من بديع نظم القرآن الكريم عند ذكر قصة ما في سور عدة؛ ذلك لاستكمال جوانب القصة، فتُذكر القصة مختصرة أحيانًا وأحيانًا مطوَّلة، وأحيانًا تُذكر أحداث جديدة في كل مرة، فالقصة لا تتكرر إنما تتكامل، ومن أغراض هذا التكامل البلاغي إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتميّز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها بل تتجدد في نفسه معانٍ لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

– التأكيد على الصدق في القصص القرآني وصفه بالتنويع لا التكرار، فلا يوجد نصان متماثلان في القرآن الكريم كله، إنما يوجد تشابه فقط دون تماثل، تشابه كذلك الذي قد يوجد بين الإخوة والأقارب، لكنه ليس تكرارًا حرفيًّا، إنه مثل ثمر الجنة: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾[2] وإن التنويع ذاته لجمال، فوق أنه يذهب عن النفس الملال.

---

١– سورة النساء، الآية (١٢٢).

٢– سورة البقرة، الآية (٢٥).

– قد يأتي التكرار لهدف تثبيت معنى يقصده القرآن الكريم؛ وذلك لأهميته ولخطورة القضية فالقرآن لا يكررها في مواضع مختلفة ومواطن متفرقة في سور متعددة وحسب؛ بل يزيد الأمر اهتماما بتثبيت هذا المعنى، فيكرر القضية المراد تثبيتها في نفس المقام في آيتين متتاليتين، كما جاء في سورة النساء حيث أراد القرآن تثبيت وتأكيد قضية مهمة جدا، وهى قضية ملكية الله لجميع ما في السماوات وما في الأرض فكررها فى آيتين متتاليتين:

قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا* وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[1]، فنلاحظ هنا أنّ قضية مِلكية الله للسماوات والأرض وما فيهن، وهى قضية من الأهمية بمكان؛ لذلك كرّرها القرآن ثلاث مرات في سورة واحدة في مقام واحد في آيتين متتاليتين، وقد قيل إن الكلام إذا تكرر تقرر ويقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾[2].

– من أغراض التكرار أن يصيب كل وفد من الوفود التي كانت تفد على النبي فيقرئها شيئا من القرآن الكريم فيصيبوا قدرا كافيا من مقاصد القرآن، والأمر ليس قاصرا على القصص وحسب، ولكن كل ما كرره القرآن الكريم في مواطن متعددة، تحتاج إليه الوفود وغيرهم.

– ومن أغراض التكرار في قصص القرآن الكريم زيادة التنبيه على ما ينفى التهمة؛ ليكمل تلقى الكلام بالقبول ومنه قوله تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ الَّذِي آَمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[3]، هنا كرر النداء بقوله "يا قوم" استعطافا لهم، ولينبههم على أنه حريص على مصلحتهم، وهو يضمر إيمانه.

---

١– سورة النساء، الآية (١٣١).

٢– سورة طه، الآية (١١٣).

٣– سورة غافر، الآيتان (٣٨–٣٩).

– التربية – والتي هي غاية القرآن الكريم – ليست قولة ترمى مرة واحدة وتترك هملا بعدها، وكل من مارس التربية في أي مجال يدرك مدى احتياج التربية إلى التذكير بالشيء مرة تلو الأخرى، حتى يستقيم الأمر على المطلوب، فالقناعة العقلية لا تكفى لتقويم الإنسان؛ إذ لا بد من التكرار؛ كي تترسخ فيه وتصبح جزءا منه.

– لكل سورة من سور القرآن الكريم وحدة موضوعية، وعندما يتكرر شيء في أي سورة من السور سواء أداة أو كلمة أو فاصلة أو قصة فإنه– ولا شك – يخدم هذا المضمون، والتكرار فيها يكون بالقدر الذى يفي بالغرض، ومع هذا التكرار فالقارئ لا يشعر أبدا بالملل من كثرة القراءة وإن قرأه مرارا وتكرارا، بينما يمل من راجع كتابا واحدا كائنا ما كان لأكثر من مرة أو لعدة مرات، وصدق الله إذ يقول ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾

وخلاصة القول أن التكرار في القصص القرآنية له غرضان يعود إليهما ما ذكرناه، وإنما هما غيض من فيض.

الفائدة الأولى فائدة دينية باعتبار أن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وتشريع لا يخلو منها في فن من فنونه، وأهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية، هو تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به، ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين.

الفائدة الثانية: فائدة أدبية، ودور التكرار فيها متعدد وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدى إلى تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان، فإنّ إبرازَ الكلام الواحد في فنونٍ كثيرةٍ وأساليبَ مختلفةٍ لا يخفَى ما فيه مِن الفصاحة والإعجاز.

## المبحث الثالث: المعاني المستفادة من التكرار في قصص القرآن الكريم

### المطلب الأول: القيمة الفنية للتكرار في قصص القرآن الكريم

### المطلب الثاني: الإعجاز في تكرار قصص القرآن الكريم

## المطلب الأول: القيمة الفنية للتكرار في قصص القرآن الكريم

إنّ الغرض الأساس للقصّة في القرآن الكريم هو الدعوة إلى الله عزّ وجلّ؛ لذلك كان لخضوع القصّة القرآنية لهذا الغرض أثرٌ بيّنٌ في مادتها وطريقة عرضها؛ مما جعل لها منهجًا خاصًّا بها، يقوم على أروع مظاهر الجمال الفني والإشراق البياني، ويتجلّى هذا المنهج بالمظاهر التي تبيّن بلاغة القرآن الكريم في أعلى مراتبها، التي من خصائصها إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، على هذا الوجه أو ذاك على ما تقضيه الحال، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب التي وردت فيه في موضع آخر، ولا يملّ الإنسان من تكرارها؛ بل تتجدد في معانٍ لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى، فبعض القصص في القرآن الكريم تكررت مرات عديدة مثل قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، أو قصة نوح عليه السلام مع قومه، أو قصة آدم عليه السلام وصراعه مع إبليس، لكن هذا التكرار لا يعني بالضرورة التطابق في المضمون الأحداث، فقد يكون فيه تقديم وتأخير وإيجاز وإطناب، فكلّ قصة لها إطارها الخاص بها حسب موقعها في السورة يختلف تماما عن الموقع الآخر التي ذكرت فيه حسب ما يقتضيه الحال كالطول والقصر واللين والشدة، وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر بنمط وأسلوب يجذب القارئ ويشعره بجديد يطرد السآمة والملل، وهذا ما امتاز به هذا الأسلوب القرآني عن الأساليب الأخرى، وأنه من عند الله تعالى، حيث تأتي هذه القصص متنوعة بدون تناقض، فمن تأمّلها بإمعان ودقة علم أن التّكرار في القرآن ليس تكرارا مطلقا، من شأنه أن يبعث الملل في نفس القارئ أو السامع، بل إنه تكرار أكسب القصّة القرآنية جمالا فنيًّا وروعة أسلوب، إذ أن التكرار لون من ألوان البلاغة اللفظية في القصة القرآنية بجانب الألفاظ وما تضمنها من المعاني المستفادة، فقد أثبته الزركشي في البرهان: " شذّ بعضهم فزعم أن موضع صناعة البلاغة فيه إنما هو المعاني، فلم يعدوا الأساليب البليغة والمحاسن اللفظية، والصحيح أن الموضوع

مجموع المعاني والألفاظ؛ إذ اللفظ مادة الكلام الذي منه يتألف، ومتى أخرجت الألفاظ عن أن تكون موضوعا خرجت عن جملة الأقسام المعتبرة؛ إذ لا يمكن أن يوجد إلا بها، وها أنا ألقي إليك منه ما يقضى له البليغ عجبا ويهتز له الكاتب طربا ومن التوكيد بأقسامه والحذف بأقسامه، الإيجاز والتقديم والتأخير والقلب..." [1].

إنّ جسم القصّة كلّه لا يكرّر إلا نادرًا، وإنما يتناول التكرار بعض الحلقات فيها، ومعظمه إشارات سريعة لموضع العبرة فيها، وأنّ هذا التّكرار متناسق كل التناسق مع السياق الذي وردت فيه؛ مما يجعل القارئ المتأمّل لكتاب الله تعالى يشعر وكأنّه أمام قصّة أو خبر لم يكن ليسمع به من قبل، ويتنبّه إلى فوائد وعبر لم تكن لتخطر له على بال.

قد تأتي القصّة القرآنية لغرض من الأغراض التي سبق ذكرها، ولكنها- في الوقت نفسه- تنطوي بمجملها على أغراض أخرى متعدّدة، ويشتمل جانب منها- أو بعض الجوانب- على فوائد متعدّدة، وعظات جمة، وعبر متنوعة، وقد يقتضي غرض الدعوة الديني أن تعاد القصّة أو جانب منها أو أكثر، في موطن آخر، أو مواطن متعددة، لمناسبات خاصة بالعبرة التي تساق القصة- أو بعض جوانبها- من أجلها، فتكرّر القصة أو بعض الجوانب منها تلبية لهذا الغرض، ولهذا التكرار فائدة وجمال.

تكرار قوله تعالى في دعوة أنبيائه أقوامهم: ﴿يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ﴾[2]، فتكذّبه هذه الإنسانية الضّالّة، ثم يمضي ويجيء نبي بعده، فيقول الكلمة نفسها، ثم يمضي، وهكذا في الدعوة المستمرة، ولا يختلف الموقف ولا تختلف النتيجة من نصرة الحق ودحر الباطل، ولكن تختلف القصة تبعا للغرض الذي سيقت من أجله، فنجد القرآن تارة يذكر القصة بكامل تفصيلاتها، وتارة يكتفي بذكر ملخص عنها أو إشارة إليها، وتارة يتوسط بين هذا وذاك، وربما اكتفى أحيانا بعرض حلقة من حلقاتها، أو مشهد من مشاهدها، وكل ذلك خاضع لما في حلقات القصة وجوانبها من أهمية وعظة، وفيها من الأسس والخصائص الفنية الرائعة، التي تحقق

---

١- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص٣٨٣.

٢- سورة غافر، الآيتان (٣٨-٣٩).

الغرض الديني عن طريق جمالها الفني، الذي يجعل ورودها إلى النفس أيسر، ووقعها في الوجدان أعمق، ومن جمالياتها.

العرض التصويري:

فبعض القصص تأتي بأسلوب تصويري بياني، يتناول جميع المشاهد والمناظر المعروضة، فإذا بها حادث يقع ومشهد يجري كأنه يرى رأي العين، وليس قصة تروى، لا خبر بها يخبر إخبارا مجردًا.

وفي هذه المشاهد التصويرية للقصة القرآنية ألوان تبدو في قوة العرض والإحياء، وفي تخييل العواطف والانفعالات، كما تبدو في رسم الشخصيات، وهذه الألوان ظاهرة في مشاهد معظم القصص القرآني جميعا، لا ينفصل بعضها عن بعض، أوردها سيد قطب في كتابه "التصوير الفني في القرآن"، وقد يبرز أحدها في بعض المواقف عن بعض، فيطبع المشهد باسمه، فمن أمثلة ذلك قصة أصحاب الجنة، في قوله تعالى في سورة القلم ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾[1]، حيث سبقت النتيجةُ الأحداث، فقد أخبر رب العالمين ما حدث لهم وهم نائمون، ومع ذلك المتلقي متلهف لمعرفة ردة فعلهم، وأيضا مشهد سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في بناء الكعبة، حيث يقول الله تعالى في سورة البقرة بقول رب العالمين: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2]، وأروع مشهد في قصة سيدنا نوح عليه السلام وابنه في الطوفان، وما دار بينهما من حوار، قال الله تعالى:﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ*وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ

---

١- سورة القلم، الآيات (١٧-٣٠).

٢- سورة البقرة، الآية (١٢٧).

الْكَافِرِينَ*قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾[1]، هكذا أنهى الموج فجأة حوار نوح عليه السلام وابنه، فنظر نوح حوله لم يجد ابنه ولم يجد سوى جبال الموج أمامه من كل مكان تتعالى وتتصاعد وتبلع كلّ يابسة وتغرق كلّ حيفي مشهد متحرك، أما قصة أصحاب الكهف فنجدها تمثل صورة كاملة مشاهد رائعة في مشهد مليء بالحركة التصويرية العجيبة، يعرض لنا حالهم وقد نفذوا ما عزموا عليه وكأننا نراهم يقينا رأي العين، في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذا طَلَعَتْ تَتَزاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَإِذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذلِكَ مِنْ آياتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْذ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِداً*وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ وَكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾[2].

ومن أمثلة ما برز فيه تصوير العواطف والانفعالات قصة صاحب الجنتين وهو يحاور صاحبه، وكذلك قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح والقصة التعليمية، وكذلك قصة مريم عليها السلام عند ميلاد سيدنا عيسى عليهما السلام والحوار الذي دار بينهما.

وأما رسم الشخصيات وبروزها في القصة القرآنية فنجدها في قصص الأنبياء عليهم السلام ووضوح شخصياتهما، كقصة موسى عليه السلام مع فرعون، وقصة إبراهيم عليه السلام، مع قومه، وقصة يوسف عليهم السلام مع إخوته، وقصة سليمان عليه السلام مع بلقيس، فكلها قصص يبرز فيها تصوير الشخصيات ورسمها على أدقّ ما يكون الرسم وأبرع ما يكون التصوير، بينما جاءت الشخصيات الأخرى في صياغ النكرة كفتية أصحاب الكهف، وهم فتية يتشاورون في أمرهم.

ومن أبرز الخصائص الفنية للقصة القرآنية تنوع طريقة العرض في ابتداء القصة، وذلك فإنّ عنصر التشويق أمر أساس في القصة، فينبغي أن يتجلى بأبهى مظاهره

---

١- سورة هود، الآيات (٤١-٤٣).

٢- سورة الكهف، الآيتان (١٧-١٨).

في مطلعها، حتى تشدّ القارئ إلى متابعة حلقاتها، ويفتح آفاق ذهنه وجوانب نفسه إلى استطلاع أغراضها ومقاصدها.

وأهم مظاهر براعة الاستهلال في القصة القرآنية هي:

– الابتداء بمشهد يلفت النظر إلى القصة، حتى لو كان هذا المشهد متأخرا في سلسلة الحوادث؛ لأنّ المشهد الغريب من شأنه أن يثير الانتباه أكثر من غيره، حتى إذا تفتح الذهن وأقبل على القصة، عمد البيان إلى استدراك ما فات من المشاهد، وتحين المناسبة لعرضه بشكل متناسق ومتساو مع جمال العرض وأداء الغرض، كما في قصة موسى عليه السلام في سورة طه، حيث افتتح المشهد بقوله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتاكَ حَدِيثُ مُوسى* إِذْ رَأى ناراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً﴾[1]، ثم يعود السياق بعد هذه البداية ليستدرك جوانب القصة ومشاهدها.

– التقديم للقصة بخلاصة عنها، وذلك بأن ينتزع من مشاهد القصة أهم مظاهر العبرة فيها؛ فتصاغ بشكل خلاصة تجعل مدخلا للقصة وبداية لها، ثم تعرض التفصيلات، وهذا مظهر من مظاهر التشويق، التي تضع في مخيلة القارئ صورة مختصرة عن القصة، تبعث فيه الرغبة إلى التوسع في معرفة جوانبها، وخير مثال على ذلك قصة أصحاب الكهف إذ بدئت بتلك الخلاصة في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً* إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقالُوا رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَداً* فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً* ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصى لِما لَبِثُوا أَمَداً. ثم يبدأ التفصيل بقوله تعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾[2].

– الاستهلال بذكر الأسباب والنتائج، وما يكشف عن مغزى القصة وحكمة أحداثها؛ فتتجسد العبرة التي ينبغي أن تؤخذ منها، وتتشوق النفس لمعرفة الطريقة التي تتحقق بها الغاية المرسومة المعلومة، حتى إذا بدأ سرد القصة كان فكر القارئ لمواطن العبرة فيها، ومثال على ذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون في سورة القصص،

---

١– سورة طه، الآيتان (٩–١٠).

٢– سورة الكهف، الآيات (٩–١٢).

إذ استهلت بهذه الآيات: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ *وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا حْذَرُونَ﴾[1].

– ذكر القصة مباشرة بلا مقدمة ولا تلخيص، ويكتفى بما في ثناياها من مفاجآت خاصة بها، وذلك مثل قصة مريم عند ولادتها عيسى عليهما السلام، وقصة سليمان عليه السلام مع بلقيس، وغيرهما من القصص.

– العرض التمثيلي: وهو العرض الذي يقوم على إبراز المشاهد الرئيسة، والحلقات الأساس من القصة، بشكل واضح وجلي أمام الناظر أو المتخيل، بينما يترك له بين كل مشهد وآخر من هذه المشاهد أو الحلقات فجوات يطوي فيها ما بين المشاهد من الروابط البدهية، ويفسح المجال للخيال حتى يملأها، ويستمتع بتخيل أحداث بين المشهد السابق والمشهد اللاحق.

وهذه الطريقة من العرض سمة بارزة في القصص القرآني، إذ من شأنها أن تعطي القيمة الفنية للقصة، وتضفي عليها الحيوية وتبعث فيها الحياة والحركة، بينما تقل هذه القيمة وتضعف أكثر فأكثر كلّما شغل الذهن بعرض تلك الروابط البدهية، وذكر تلك التفصيلات التي غالبا ما تمل النفوس سماع الحديث عنها.

فالقصة تضع أمامنا مشهد نوح عليه السلام وهو يتلقى الوحي الإلهي الذي يفقده الأمل من إيمان قومه، ويخبره بحلول العقاب فيهم، ويأمره بصنع السفينة التي ستكون سبب نجاته ومن معه من المؤمنين، ثم يسدل الستار ليرتفع ثانية عن مشهد نوح عليه السلام وهو يقوم بصنع السفينة، مقبلا على ذلك بكليته، تنفيذا لأمر الله عزّ وجلّ، بينما قومه الهالكون من حوله يهزؤون ويسخرون.

والفجوة التي تركها العرض بين المشهدين ليملأها الخيال: هي تلك الأحداث التي لابد منها، من العزم على الصنع، وإحضار المواد الأولية، وإنما طويت حتى لا تفسد بذكرها العرض الفني للقصة.

---

١– سورة القصص، الآيات (٤–٦).

وفي قصة سيدنا يوسف عليه السلام نجد الفجوة الواضحة بين طلب الأبناء من أبيهم أن يستغفر لهم ودخولهم على يوسف في مصر ورفع أبيهم على العرش، يمكن للإنسان أن يملأها بما يناسب أحداث القصة.

وإن من تنوع طرق عرض الموضوعات في القرآن أنه يعرض القصة ملخصة حينا ثم يفصلها من البداية، وحينا يبين العاقبة والمغزى من مضمونها ثم يبدأ التفصيل، ونراه حينا يبدأ بها مباشرة بلا مقدمات، وحينا يقدمها كمشاهد حية نابضة تحدث أمامنا، وهو يتميز ببراعة الانتقال من موقف لآخر وتجاوز ما لا حاجة إليه وترك الذهن يستوحي منها الأحداث التي جرت بينما نتابع مع الآيات الأحداث المهمة وتفصيلاتها

أن التذكير مهم ومفيد ولا يجوز القول بأنه لا ترجى فائدة من تكرار النصيحة أو القصة، والله سبحاته وتعالى يقول: ﴿ذكر فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين﴾، فالتكرار أسلوب بلاغي له أثر في النفس لا ينكره أحد، وإنه يعاود النفوس الغافلة المرة بعد المرة يزيل عنها غفلتها، كما يعاود النفوس المؤمنة المطمئنة بما يثبت فيها دعائم اليقين، فالتكرار إذن ظاهرة بلاغية لا يفطن إليها إلا كل من له بصر بفنون القول، وهو في القرآن الكريم أروع وأجمل من أن تتطاول إليه ألسنة المتقولين.

ومن البلاغة اللفظية التي وردت في آيات القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، قوله عزّ وجلّ في قصة آدم عليه السلام، (ولا تقربا) هذه الشجرة، فالمنهي عنه هو الأكل من ثمار الشجرة، وتعليق النهي بالقرب منها، القصد منه المبالغة في النهي عن الأكل؛ إذ النهي عن القرب نهي عن الفعل بطريق أبلغ؛ كقوله تعالى: ولا تقربوا الزنا، فنهى عن القرب من الزنا؛ ليقطع الوسيلة إلى ارتكابه، القيمة المستفادة من هذا التكرار بيان أهمية الامتثال إلى الأوامر والابتعاد عن النواهي.

ودور التكرير هنا وما له من أغراض بلاغية كثيرة كتأكيد هذه الأحداث والتلذّذ بالكلام، وتعظيم الأمر وتهويله، وزيادة التنبيه، وطول الكلام الذي قد يسبب نسيانه،

---

١- سورة الأعراف، الآية (١٩).

وتعدد المتعلق، كأن تُكرر عبارة ما بحيث تُحدث في كلّ مرة كلامًا جديدًا، ويراد به لفت النظر إلى أهمية كل واحدة على حدة، فهذا التكرار وجه من وجوه البلاغة القرآنية، فإن من خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

يقول فاضل السامرائي: "فأنت ترى أن القصة في القرآن كأنها تتكرر في أكثر من موطن، والحقيقة أنها لا تتكرر، ولكن يعرض في كل موطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق، وبحسب ما يراد من موطن العبرة والاستشهاد"١.

١- فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط٢، دار العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٦.

**المطلب الثاني: الإعجاز في تكرار قصص القرآن الكريم**

المُعجِز في اللغة اسم فاعل من الإعجاز مصدر الفعل أعجزَ، ويُقالُ أعجزَ الخصم عند التحدي، والعجز عدم القدرة على فعل الشيء، وأعجزه الأمر إذا حاول فلم يستطع ولم تتسع مقدرته وجهده، ومعنى الإعجاز السبق والفوت، ويُقال أعجزني فلانٌ أي سبقني وفاتني.

وقال الفراهيدي في معجم العين: "عجز: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، والعجز نقيض الحزم. وعجز يعجز عجزًا فهو عاجز: ضعيف، وبقال: عاجز فلان، حين ذهب ولم يقدر عليه"[١].

وقال أحمد ابن فارس: "عجز: العين والجيم والزاي أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء، فالأول: عجز عن الشيء يعجز عجزا فهو عاجز: أي ضعيف، وفلان عاجز فلانا، إذا ذهب فلم يوصل إليه"[٢]، مما سبق فالعجز في اللغة: إثبات العجز، والعجز ضد القوة وهو القصور عن فعل شيء.

أما في الاصطلاح فقد عرَّفه مصطفى صادق الرافعي بقوله: "وإنما الإعجاز شيئان: الأول ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأنَّ العالم كله في العجز إنسان واحد، ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت"[٣].

ومما سبق في التعريفين السابقين أن الإعجاز: ما يتعذر على البشر الفصحاء منهم والعلماء عامة الإتيان بمثله في الأسلوب والبيان والنظم وأمور أخرى وقصورهم عن ذلك قصورًا أبديًّا، وإثبات عدم القدرة أو القصور عن فعل الشيء، وهو أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، وهو غير ما اعتاد عليه الناس من سنن الكون والظواهر الطبيعية، فلا يمكن لأحد أن يعارض هذا الأمر ولا يستطيع أن يأتي بمثله.

---

١ – الفراهيدي، معجم العين، مادة (ع ج ز)، ج١، ص٢١٥.

٢ – أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة (ع ج ز)، ج٤، ص٢٣٢.

٣– مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٩٨.

ولما كان القرآن المعجزة الخالدة الكبرى؛ كان الحديث عن إعجاز القرآن من أهم الأبحاث المتعلقة بالقرآن وآدابه وعلومه، وهو لبّها وجوهرها، وأساسها وعمدتها، على أن الحديث عن الإعجاز ضرب من الإعجاز، لا يصل الباحث فيه إلى سرّ منه، حتى يجد وراءه جوانب أخرى يكشف عن سرّ إعجازها الزمن، فهو كما يقول الرافعي: "وما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة، وتعاوروه من كل ناحية، وأخلقوا جوانبه بحثا وتفتيشا، ثم هو بعد لا يزال عندهم على كل ذلك خلقا جديدا ومراما بعيدا وصعبا شديدا، وإنما بلغوا منه- إذ بلغوا- نزرا تهيأت لضعفه أسبابه، وقليلا عرف لقلته حسابه، وبقي ما وراء ذلك من الأمر المتعذر الذي وقفت عنده الأعذار، والابتغاء المعجز الذي انحط عنده قدر الإنسان، لأنه مما سمت به الأقدار"[١].

وردت لفظة عجز في مواضع كثيرة في القرآن الكريم وما يهمنا هنا ما جاء تكرار القصص، حيث يقول رب العزة في قصة ابني آدم في سورة المائدة: ﴿ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[٢]، ويقول في سورة الجن: ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾[٣] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[٤]

فلكل نبي من أنبياء الله تعالى معجزةٌ صاحبت رسالته؛ لا لحمل العباد على تصديق رسالته يقوا الباقلاني: "ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم بُنيت على معجزة القرآن الكريم وإن كان أُيّدَ بعد ذلك بمعجزات أخرى كثيرة إلا أن تلك المعجزات قامت في أوقات خاصة وأحوال خاصة"[٥].

---

١- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٩٨.

٢- سورة المائدة، الآية ٣١.

٣- سورة الجن، الآية ١٢.

٤- سورة فاطر، الآية ٤٤.

٥ – الباقلاني، إعجاز القرآن، ص١٠.

ويقول في ذلك صاحب الظلال: "إن الأداء القرآني يمتاز عن قضايا ومدلولات ضخمة في حين يستحيل على البشر أن يعبّروا فيه عن مثل هذه الأغراض؛ وذلك بأوسع مدلول وأدق تعبير وأجمله وأحياه، ومع التناسق العجيب بين المدلول والعبارات والظلال والجوّ، ومع جمال التعبير نجد دقة العبارة في آنٍ واحد، بحيث لا يغني عن لفظ في موضعه، ولا يتفوّق الجمال على الدقة، ولا الدقة على الجمال، ويبلغ ذلك كل مستوى ولا يدرك ذلك أحدٌ كما يدرك ذلك من يزاولون فن التعبير، فَلِأنّ ذلك هم الذين يدركون حدود الطاقة البشرية في هذا المجال ثم يتبينون بوضوح أن هذا المستوى فوق الطاقة البشرية قطعا"[1].

يتجلّى دليل الإعجاز في قصص القرآن الكريم بمظاهر أهمها:

– تحدي المشركين، فإنّ الله سبحانه وتعالى قد تحدى الكفار والمعاندين بأن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم مع العلم التام بعجزهم على ذلك، وهناك نماذج من الآيات التي وقع بها التحدي والمواجهة والمعارضة لكل من يشكّ في أنّ القرآن الكريم منزّل من الله عزّ وجلّ، أو يشكّ في صحّة نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]، فيها تحدٍ واضحٌ لمن يشك في القرآن الكريم أن يأتوا بمثله، يقول ابن كثير: "ثم شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا إله إلا هو، فقال مخاطبا للكافرين (فأتوا بسورة) من مثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، إن زعمتم أنه من عند غير الله، فعارضوه بمثل ما جاء به، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله، فإنكم لا تستطيعون ذلك، ومن تدبّر القرآن الكريم وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرةً وخفيّةً من حيث تكرار القصة من حيث اللفظ وورودها في أكثر من سورة – كما مرّ– ومن جهة المعنى وما تتضمنها من أغراض، فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه أو العكس على الخلاف"[3]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

---

١ – سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٧٨٧.

٢– سورة البقرة، الآيتان (٢٣–٢٤).

٣– ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج١، ص ١٩٩.

وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ* أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾١، يقول ابن كثير في التفسير: "هذا بيان لإعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، ولا بعشر سور، ولا بسورة من مثله، لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته، واشتماله على المعاني العزيزة النافعة في الدنيا والآخرة، لا يكون إلا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا صفاته، ولا في أفعاله وأقواله، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين"٢ وقال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَو جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾٣

وهنا أكبر تحدٍ في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾٤ يقول ابن كثير: "ثم نبّه الله تعالى على شرف هذا القرآن العظيم، فأخبر أنه لو اجتمعت الإنس والجن كلهم، واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله، لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه، ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا، فإن هذا أمر لا يستطاع، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق، الذي لا نظير له، ولا مثال له، ولا عديل له"٥، وقال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾٦.

إن تحدي الله سبحانه وتعالى المشركين على أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، أو مجرد جزء منه ولو كان يسيرا من حيث الكم، مع قدراتهم اللغوية الفائقة وفصاحتهم

---

١- سورة يونس، الآيتان (٣٧-٣٨).

٢- ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٤، ص ٢٦٨.

٣- سورة هود، الآيتان (١٢-١٣).

٤- سورة الإسراء، الآيتان (٨٨-٨٩).

٥- ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج٥، ص١١٧.

٦- سورة الطور، الآية (٣٤).

المذهلة، وعجزهم عن ذلك لهو أكبر دليل على ربانية القرآن الكريم وعلى عجز البشر جميعا من باب أولى أمام كتاب الله تعالى.

– عجزهم عن المعارضة واضطراب موقفهم، حيث كان هذا التحدي والعرب في ذروة مجدهم فصاحة وبلاغة، ومعرفة بفنون القول وأساليب الكلام، فكان مقتضى ذلك– وهم أكثر ما يكونون حرصا على إطفاء نوره وإخفاء أمره– أن يهبوا لمعارضته، ويدفعوا بذلك خطره عنهم، ويمحوا الخزي الذي ألصقه بهم– لو كان ذلك في مقدورهم– كيف لا، وهم الذين قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا؟ ولكن شيئا من هذا لم يحصل، ولم ينقل عن واحد منهم أنه استجاب لتحدي القرآن في محاولة ما، أو حدّث نفسه بشيء من ذلك.

وإنما الذي حصل هو أنهم تعدوا هذا وعدلوا إلى مسالك شائكة، وانتهجوا أساليب ملتوية، فما أن قرع القرآن أسماعهم بهذا التحدي الصارخ حتى اضطربوا في قولهم، وحاروا في أمرهم، ولجؤوا إلى وصفه بالشعر تارة، وبالسحر أخرى، وبالكهانة مرة، وبالجنون حينا، وغير ذلك مما اضطربوا فيه وتلجلجوا وسجله عليهم القرآن: ﴿بَلْ قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَراهُ بَلْ هُوَ شاعِرٌ فَلْيَأْتِنا بِآيَةٍ كَما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ الأنبياء: (٥). ﴿وَلَمَّا جاءَهُمُ الْحَقُّ قالُوا هذا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كافِرُونَ﴾ الزخرف: (٣٠). ﴿أَإِنَّا لَتارِكُوا آلِهَتِنا لِشاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ الصافات: (٣٦). ﴿وَما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِيلًا ما تُؤْمِنُونَ* وَلا بِقَوْلِ كاهِنٍ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ الحاقة: (٤١–٤٣) وقد أورد الرافعي نماذج كثيرة في كتاب إعجاز القرآن، وقال: ومنهم من تعاطى معارضة القرآن الكريم صناعة وظن أنه قادر عليها يضع لسانه منها حيث شاء وهؤلاء لا يتجاوزون في كل أرض دخلها الإسلام من بلاد العرب والعجم إلى اليوم عدد ما تراه من عانة ضئيلة"[١].

ولما كانت أباطيلهم هذه بادية العوار– كما فندها القرآن– ظاهرة في إعلان ضعفهم وعجزهم عن مقارعة الحجة بالحجة، وهروبا صريحا من التحدي، لم يجدوا بدا من سلوك الطريق الصعب، واللجوء إلى القوة، ولو كلفتهم الغالي والنفيس، وحكمت

---

١– مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١١٩ وما بعدها.

السيوف في أعناقهم، وأفقدتهم الأزواج والأولاد، وأباحت دماءهم وأموالهم، وكل هذا قد حصل، وآثروه- وهم أكثر الناس حمية وأنفة- على أن يتصدوا لمعارضة القرآن، وما ذلك إلا لأنهم علموا أنه ليس بمقدورهم الإتيان بمثله، وإلا لبادروا إليه ولكان أهون عليهم وأقل كلفة. وإذا ثبت أنه ليس في مقدورهم ثبت- من باب أولى- أنه ليس في مقدور غيرهم، وبالتالي ثبت أنه ليس من كلام البشر.

هذا ولقد استمرّ هذا التحدّي يقرع آذان الأدباء والشعراء والبلغاء- على اختلاف نحلهم ومذاهبهم- في كل عصر وقرن، واستمر هذا الوجوم أمام شموخ القرآن في إعجازه، ولم يجرؤ أحد- ممن عنده أثارة من علم أو فهم- على أن يتصدى لهذا الشموخ، وهذا دليل مادي ملموس من أقوى دلائل الإعجاز في القرآن، وما ورد من محاولات سخيفة في معارضته فإنما هو هذيان نجلّ المقام عن ذكره.

وذلك أن القرآن الكريم قد سما في علوه إلى شأو بعيد بحيث تعجز القدرة البشرية عن الإتيان بمثله، سواء أكان هذا العلو في بلاغته أم تشريعه أم مغيباته.

- لعل من أقوى دلائل الإعجاز في القرآن الكريم هو التأثير الذي يبعثه في النفوس، فإنه لا يكاد يطرق السمع حتى يخلص إلى القلب، وتجد منه النفس لذة وحلاوة، لا تجدهما في غيره من الكلام، يستوي في ذلك أصحاب القلوب القاسية وذوو الأفئدة الخاشعة، فلقد سحر القرآن العرب منذ اللحظة الأولى، فآمن منهم من شرح الله صدره للإسلام، وكفر منهم من ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة.

ولا أدلّ على هذا التأثير النفسي الذي يؤكد إعجاز القرآن من ذلك القول الذي كان يتواصى به المشركون، وحكاه عنهم القرآن في قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[1]، ورغم ذلك فقد كانوا ينشدون إلى بيت محمد بن عبد الله- صلوات الله وسلامه عليه- ليستمعوا لهذا القرآن الذي أخذ بمجامع قلوبهم وسحر عقولهم، ولا غرابة وهو الكلام المنزل الذي يقول الله تعالى فيه: ﴿لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[2]، وقال:

---

١- سورة فصلت، الآية (٢٦).

٢- سورة الحشر، الآية (٢١).

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[1].

والأمثلة على ذلك كثيرة وكثيرة جدا، منها قصة إسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وشهادة الوليد بن المغيرة: (والله لقد سمعت من محمد آنفًا كلامًا ما هو من كلام الأنس ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وأنه يعلو وما يعلى عليه)، وقول عتبة بن ربيعة: إني سمعت قولا، والله ما سمعت بمثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة. فقال له القوم: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

ولمظاهر الإعجاز في القرآن الكريم أوجه كثيرة، منها:

– إخباره عن الماضي السحيق من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى مبعثه صلّى الله عليه وسلّم، فقد أتى بكثير من الأخبار التاريخية التي ضاعت صورتها الحقيقية في أخلاط التاريخ القديم للأمم، وكثير من هذه القصص وتلك الأخبار لم يكن يعرفه العرب، ولم يوجد إلا بعض منه في الكتب السماوية السابقة على اختلاف فيما بينها، فأتى القرآن وتحدّث بدقة عن ذلك، وحكى هذه الأخبار حكاية من شاهدها وحضرها، ولم يوجد في التاريخ شيء يصح الاعتماد عليه– أو لا يصح– يخالف ما جاء في القرآن من هذه الأخبار. بل قد جاءت دلائل الآثار الأرضية.

– إخباره عن المستقبل، لقد أخبر القرآن الكريم عن أمور أنها ستقع فكانت كما أخبر بها، وواضح أن ذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه، وهذا النوع من الأخبار في القرآن كثير، ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهادُ﴾[2]، نزلت في بني قينقاع حين قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لا يغرنّك من نفسك أنك قاتلت نفرا من قريش أغمارا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا، وقد حصل ما وعدهم به القرآن وحاصرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وغلبهم وأجلاهم، وقوله

---

١– سورة الزمر، الآية (٢٣).

٢– سورة آل عمران، الآية (١٢).

تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾[1]، نزلت في طائفة من الأعراب تخلّفوا عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الجهاد، وقد دعاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقتال أهل فارس.

– اتساع دلالتها لما لا تتسع له دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات عادة، بحيث يعبر بكلمة واحدة عن معنى لا يستطاع التعبير عنه إلا ببضع كلمات أو جمل، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُنَ * نَحْنُ جَعَلْناها تَذْكِرَةً وَمَتاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾[2]، "أراد الله تعالى أن يحدثنا في هذه الآية عن مظاهر نعمته علينا، ومن جملتها النار، فنبهنا إلى مختلف فوائدها لحياتنا على اختلاف أطوارها، فعبر عن ذلك بكلمة (المقوين) التي تحمل كل المعاني التي يمكن أن يعبر بها عن فوائد النار، فهي: جمع مقو، وهو المسافر، والجائع، والمستمتع، والنار إنما يستفيد منها المسافر، كما يحتاجها الجائع لتحضير طعامه، وهي إلى جانب ذلك كله من أسباب المتعة والرفاهية"[3].

وهذه الميزات الثلاث قلما يتخلف اجتماعها في كلمات القرآن، بينما لا تجتمع في غيره إلا نادرا، وما ذاك إلا لأن القرآن من كلام رب العالمين.

فالقرآن العظيم مشتمل على أروع أنواع البلاغة وأقوى تحديات الإعجاز، وأنفع أساليب البيان، وتكرار القصة الواحدة في مواضع متعددة من هذا القبيل فأما من ناحية البلاغة فإبراز المعنى الواحد في صور متعددة وأساليب متنوعة وتفنن شيق وألفاظ مختلفة رفيعة غاية في البلاغة، وأما من ناحية الإعجاز فإيراد المضمون الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة واحدة منها أبلغ في التحدي، علمًا بأن العرب في ذلك الوقت وصلوا إلى قمة التفنّن في البلاغة وحازوا قصب السبق في الفصاحة وملؤوا الدنيا نثرًا ونظمًا. وأما من ناحية البيان فتكرار القصة الواحدة يلفت الانتباه إليها ويشعر بالاهتمام بها، ويُمكّن الاعتبار بها في النفس ويرسخها فيها على أساس أن ما تكرر تقرر، ومن الحكم أيضا لتكرار القصة

---

١– سورة الفتح، الآية (١٦).

٢– سورة الواقعة، الآيات (٧١–٧٣).

٣– مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٧٦.

الواحدة في سور متعددة تناسب كل سياق مع السورة التي ورد فيها من حيث الطول والقصر والإطناب والإيجاز إلى غير ذلك من الحكم الكثيرة الجليلة، فإيراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس؛ إذ التكرار من طرق التأكيد وأمارات الاهتمام؛ كما هو الحال في قصة موسى مع فرعون؛ لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل، فضلا عن أن القصة لا تكرر في السورة الواحدة مهما كثر تكرارها،

اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة؛ فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معاني أخرى في سائر المقامات، حسب اختلاف مقتضيات الأحوال.

– التزام الصدق وبيان الحق في عرض أحداث القصة، فهناك أمور خارقة للعادة لا يستوعبها العقل البشري كقصة سيدنا موسى عليه السلام حينما ألقى عصاه أصبحت حية، ونجاة سيدنا إبراهيم عليه السلام من النار الذي ألقي فيها، وجميع معجزات الأنبياء، أما القرآن الكريم فأحداثه ليست خيالات ولا روايات إنما أمور حقيقية حدثت،

– العبر والعظات والنصائح المتعددة بين ثنايا القصة الواحدة؛ وهذا هو المقصد الأساس من تكرار القصص القرآني، والمعلوم أنّ القرآن الكريم قد نزل في قوم برعوا بالشعر واللغة، فجاءت المعجزة القرآنية لتعجزهم لغويًّا وبلاغيًّا، حتى قالوا عن القرآن بأنه سحر، والإنسان لا يصف شيئًا بالسحر إلا إذا أذهله هذا الشيء وأصبح فوق مستوى تفكيره، فالعرب قوم كان سلاحهم الفصاحة والبيان، فعندما سمعوا أسلوب القرآن الكريم كان هذا الأسلوب الرائع في ألفاظه وتكراره وسيلةً لإقناعهم بأنّ هذا القرآن الكريم ليس قول بشر بل هو قول رب البشر سبحانه وتعالى، وأنّ كلَّ جزء يحمل بين طياته دلالات عميقة، فهذه هي قوة المعجزة، تقلّب الملحد من الإلحاد إلى الإيمان بسرعة، خاصة أنهم أصحاب بلاغة ولغة غضّة.

– أما في العصر الحالي فلم يبق للبلاغة مكانٌ كما كان ولا للغة العربية إلا عند المختصين فيها، فقد حلّ مكانها الإعجاز الرقمي والعلمي ولغة التطور، والحكمة

تقتضي أن تكون معجزة القرآن الكريم في هذا العصر معجزة علمية ورقمية بدلًا عن الإعجاز اللفظي والفكري سواء أفي التكرار القصصي أم غير القصصي.

فالإعجاز العلمي للقرآن الكريم لا يخفى على أحد، فقد تحدث كتاب الله تعالى عن حقائق علمية وكونية وطبيَّة لم يكتشفها العلم الحديث إلا منذ سنوات فقط ممن منّ الله عليهم بإتقان اللغة، أليس هذا إعجازًا علميًّا للقرآن الكريم؟

وسر حكمه عدم إملاله هو أن القرآن الكريم قوت وغذاء للقلوب، وقوة وإغناء للعقول، وماء وضياء للأرواح ودواء وشفاء للنفوس على مر الدهر وستكون باقية ما بقيت الدنيا.

القرآن حق وحقيقة، صدق وهداية، وفصاحة خارقة، فلذلك لا يملّ فيظل محافظًا على طراوته وحلاوته، الوليد بن المغيرة كان بليغا مدققا من رؤساء قريش، ذهب من جانب المشركين لاستماع القرآن، فاستمع ورجع، فقال: إنّ لهذا الكلام حلاوةً وطلاوةً لا يشبه كلام البشر، فإني أعلم الشعراء والكهان، فهذا لا يشبه أقوالهم، فليس لنا إلا أن نقول: إنه سحر؛ لنخدع أتباعنا، فإن أشد أعداء القرآن عنادًا يصيرون حيارى عن فصاحته،

يقول الباقلاني: "فأما دلالة القرآن فهي عن معجزة عامة عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين ولزوم الحجة في أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدٍ واحد وإن كان قد يُعلم بعجز أهل العصر الأول عن الإتيان بمثله – وجه دلالته– فيعني ذلك عن نظرة مجددة عن عجز أهل هذا العصر عن الإتيان بمثله ويغنيه عن النظر في حال أهل العصر الأول"[1].

١ – الباقلاني، إعجاز القرآن، ص١١.

**خاتمة البحث:**

بعد هذه المسيرة والشائقة من الدراسة والاستقصاء في القّصة القرآنية، والخوض في غمار كثير من الآيات القرآنية المباركة من حيث تكرارها ودلالاته، وما أشعّته من أنوار لغوية ودلالية وبلاغية، وتبيان مفصل لظاهرة التكرار في القصة القرآنية ودلالاته، يجد الباحث انّ التكرار له تغيرات دلالية وأن لهذا التغيير ظواهر عينة، منها تطور (الدلالة الصوتية، والدلالة الاجتماعية، والدلالة الايحائية، والدلالة الهامشية)، وكان لكلٍّ ظاهرة من هذه الظواهر في القرآن الكريم أَثر كبير في تأدية المعنى وتعدده.

**أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:**

١- إنّ تكرار القصص القرآنية له دلالات متعددة، وأوجه مختلفة للإعجاز القرآني، ولعل صيغها اللغوية وما يستنبط من تلك الصيغ من معانٍ وأفكار كان أحد تلك الأوجه من خلال التكرار الوارد بين ثناياها.

٢- إنّ القصّة القرآنية يمكن وصفها بأنها قصص متحركة المعاني والدلالات بمعنى أنه يصلح في جملة معانيه وجملة دلالاته لفهم أدق للإيمان الواحد والمصير الواحد والمآل الواحد من خلال ما جرى للطغاة الذين ناصبوا الأنبياء العداء والذين رفضوا تحكيم شرع الله وحاولوا الخروج على الحدود الإلهية، وكان مصيرهم واحد.

٣- إنّ قضية تكرار القصة القرآنية في عدة آيات بصيغة متشابهة أو مختلفة هي بعض مناحي الإعجاز الوصفي في القرآن الكريم؛ وذلك لأنّ الصياغة إذا اختلفت في الأمر الواحد دلّت على القدرة في بلاغة الوصف وهكذا فإن قصة نوح عَلَيْه الصَلاة والسَّلام مثلا في سورة ما، هي صياغة أخرى للقصة نفسها بجمل وعبارات تؤدي معاني أرادها الله في موضع آخر.

٤- إن في قصَصِ القرآن الكريم ربطًا متواصلًا لماضي التاريخ وحاضر الدعوة ومستقبل الأمة، ونلتمس ذلك بصورة واضحة من خلال التكرار الذي ورد في قصة نوح عليه السلام.

٥- إنّ قصص القرآن الكريم فيها تعداد آلاء الله عَزَّ وجَلَّ وتأسية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما حدث للأنبياء بعده، وتلك بعض خصائصها.

٦- إن هناك مجموعة من دلالات التوحيد التي أظهرت أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي بيده كلّ شيء وهو المتفرد بالوحدانية، يخرج عبده من المآزق وينقذه من المهالك ما دام اعتماده على الله تعالى، ومثال على ذلك دلالة وصف المرأة في سُوْرَة يوسف أبرزت دلالات التربية والسلوك، وما ينبغي على الإنسان أن يكون عليه، فلم تتكرر القصة حفاظًا على مشاعر الإنسان.

**التوصيات:**

١- تحليل قصص القرآن الكريم التي لم تأخذ حقها ومستحقها من التحليل والتناول على نفس نسق القصص التي اقتصر عليها البحث والتي تكررت منها كقصة سيدنا آدم وقصة سيدنا نوح عليهما السلام، والتي لم تكرر كقصة سيدنا يوسف عليه السلام وقصة ابني آدم وقصة أصحاب الفيل وقصة أهل الكهف كنماذج للقصص التي وردت مرة واحدة.

٢- تناول هذه القصص من جوانب مختلفة، حيث لا يستطيع إنسان أن يحصي كلمات الله تعالى التي لها من المعاني ما لا يخطر على قلب بشر، وهو القائل سبحانه وتعالى في أواخر سور الكهف: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾، فالتكرار في القصة القرآنية فيه عمق ليس للبشر طاقة أن يسبر أغوارها، ولكن يمكن القول إنه يحتاج إلى ذهن متوقد وفكر عميق لفهم جزء منه ولا هذا بصعب على من يريد الاستزادة. غير أن الباحث قد توصل من خلال تحليل بعض قصَصِ القرآن الكريم إلى نتيجة كلية توصل إليها العلماء وستبقى إلى الأبد، وهي: وحدة وتماسك النصّ القرآني.

ولا يسعني في ختام هذه الدراسة بعد ما تقدم إلا أن أترك عملي هذا بين يدي القارئ الكريم، تاركًا له وحده الحكم على ما بذلته من جهد، علم الله عَزَّ وجَلَّ إنني لم أقصر في اجتهاد، غير أني أقرّ بأنّ عملي لا يخلو من قصور، فإنّ أصبت فمن الله تعالى، وإن أخفقت فمن نفسي والشيطان، أسأل الله عَزَّ وجَلَّ أن يتقبل مني هذا العمل خدمة لكتابه الكريم، واعتزازًا بدينه القويم، وأردد ههنا قوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[١].

---

(١) سُوْرَة آلِ عِمْرَانَ : الآية ٨ .

**أولًا: المصادر والمراجع العربية:**


- القرآن الكريم.
- ابن إسحاق، السيرة النبوية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ج١، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٤م.
- ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، د ط، ١٩٩٩، بيروت، لبنان، ج٢.
- ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ط٧، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٣.
- ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، ط١، المجلد١٧، مطابع دار العربية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ، ج٣.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج٢، تحقيق: عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية، د ط،٢٠٠١، بيروت، لبنان.
- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن الكريم، تح: السيد أحمد صقر، ط٢، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٣.
- ابن منظور، لسان العرب، ط١، دار المعارف، مصر.
- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا–إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتب العلمية، مصر، ٢٠٠١م.
- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢، المكتبة العصرية ، بيروت، ١٩٨٨م
- أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق: الدكتورة بنت الشاطئ، ط٨، دار المعارف، مصر، ١٩٥٠م.
- أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني، مقامات الهمذاني، شرح: محمد عبده المصري، ط٢ ، دار المتحدة ، بيروت، ١٩٨٣م.

– أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، صحيح قصص الأنبياء، ط٢، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٢م.
– أبو بكر، محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط١، ج١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٠٦هـ.
– أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الملوك والرسل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م.
– أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، المجلد الأول، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٨م.
– أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧.
– أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط٣، ٢٠٠٨، دار الفكر، دمشق.
– أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ط٧، ١٤٣٠هـ، دار عالم الكتب، القاهرة.
– أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٩٨٩.
– أحمد أبو سعد، فن القصة، ط١، ج١، دار الشرق الجديد، عمان، ١٩٥٩م .
– أحمد أمين، فجر الإسلام، ط١٠، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م.
– أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: حسان عبد المنان، ٢٠٠٢م.
– أحمد حمزة، مجلة لواء الإسلام، العدد السادس، السنة الثانية والعشرين، القاهرة، ١٩٦٨.
– أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة وتحليل، ط٢، دار القلم للتوزيع، عمان، الأردن، ١٩٩٩م.
– إدريس وهنا، مجلة منار الإسلام، العدد ٢٤، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.
– إدوار الخراط، القصة والحداثة، ط١، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
– إقبال هيكل، المدخل لدراسة الفنون الأدبية، ط١، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، قطر، ١٩٨٢م.

- البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري بشرح الكرماني، المطبعة البهية المصرية، ١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م، د.ط.
- التهامي النقرة، سيكولوجية القصة القرآنية، ط١، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٧٤م.
- الثعالبي، فقه اللغة، تحقيق : أمين نسيب، دار الجيل، ط١، ١٩٩٨، بيروت، لبنان.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٥م.
- الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر، الحيوان، ج٢، تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٧هـ.
- الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، مجموع رسائل الجاحظ، جمع محمد طه الحاجري، ط١، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٣م.
- الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، معهد البحوث العلمية جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ٢٠٠١، ج١.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٥م.
- الزمخشري، أساس البلاغة، المكتبة العصرية، ط١، ٢٠٠٣، بيروت، لبنان.
- السباعي بيومي ، تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي، ط١، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة، ١٩٥٦م.
- السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، ط١، ٢٠٠٤م، دار الفضيلة، القاهرة.
- السيد عبد الحافظ عبد ربه، بحوث في قصص القرآن، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢م.
- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية د ط، ١٩٨٨، لبنان، ج٣.

- الطبري، التفسير من جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط١، المجلد٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤.
- الفيروزبادي، القاموس المحيط، المكتبة العلمية، ط١٩٩٠،٢، القاهرة، مصر، ج٢.
- جميل سلطان، فن القصة والمقالة، ط١، دار الأنوار، بيروت، ١٩٦٧م.
- حسام الخطيب، سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية، ط٥، مطابع الإدارة السياسية، دمشق، ١٩٩١م.
- حسين القباني، فن كتابة القصة، ط٢، مكتبة المحتسب، عمان، الأردن، ١٩٧٤م.
- حسين حامد الصالح، التطور الدلالي في العربية في ضوء علم اللغة الحديث، منشورات مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة صنعاء، العدد ٥، يناير ٢٠٠٣.
- ريمون طحان، الألسنية العربية، ط٢، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١.
- زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ط١، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، مصر، ١٩٨٧م.
- سعيد الوراقي، اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٨٤م.
- سعيد عبد العظيم، عظات وعبر في قصص الأنبياء، ط١، دار الإيمان الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
- سعيد محمد اللحام، قصص القرآن الكريم، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧م.
- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨، ج١١.
- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط١، دار الشروق، بيروت، ٢٠٠٤م.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣.
- سيف الدين الكاتب، قصص الأنبياء، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.
- صلاح رزق، القصة القصيرة دراسة نصية لتطور الشكل الفني، ط٣، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠١م.

- عبد الباقي احمد سلامة ، مجلة الازهر ،ج١٠ السنة ٥٣، مكة المكرمة، ١٩٨١م.
- عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، ط١، ١٩٨٤، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، دار السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٤م.
- عبد الله بن المقفع ، كليلة ودمنة، تحقيق: محمد أمين فرشوخ، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٠م.
- عبد المحسن بدر طه، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.
- عبد المرضي زكريا، الحوار ورسم الشخصيات في القصص القرآني، ط١، مكتبة زهراء الشرق، بيروت،١٩٩٧م.
- عدلي علي حماد، مجلة البيان، العدد ١١٢، السنة ١١، ابريل ١٩٩٧م.
- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، ط ٨، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٣م.
- علي عبد الخالق علي، الفن القصصي طبيعته وعناصره ومصادره الأولى، ط١، دار قطري بن الفجاءة، دولة قطر، ١٩٨٧م.
- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ط٩، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ٢٠٠٤.
- عودة خليل أبو عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن، ط١، مكتبة المنار، ١٩٨٥م.
- عمر الدسوقي، نشأة النثر الحديث وتطوره، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، دت.
- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٨٢م. -
- عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤م.

– فاروق خورشيد ، فن الرواية العربية ، ط٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٧٥.
– فاضل السامرائي، التعبير القرآني، ط٤، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٦.
– فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم، ط١، دار الفرقان للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٠م
– فايز الداية، علم الدلالة العربي – النظرية والتطبيق، ط٢، ١٩٩٦، دار الفكر المعاصر، بيروت.
– مأمون فريز جرّار، خصائص القصّة الإسلامية، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدّة، دت.
– محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، ١٩٦٥، سلسلة التراث العربي، الكويت.
– محمد رشيد رضا، مجلة المنار، ط٢، المجلد١، مطبعة الوفاء للنشر والتوزيع، مصر، ١٣٢٧هـ.
– محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن، ط١، القسم الثالث، ج٤، دار الحديث، القاهرة.
– محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.
– محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ط٤، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٩.
– محمد أحمد قاسم، محي الدين أديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان،٢٠٠٣.
– محمد بن أبي بكر الرازي ،مختار الصحاح، دار المعارف، مصر، د.ت
– محمد بن إسحاق، المبتدأ في قصص الأنبياء، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت٢٠٠٦م.
– محمد حسن يزبك، مجلة المعارج، المجلد الثاني، العددان الثالث عشر والرابع عشر، ١٩٩٢، بيروت، المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية.
– محمد الخضيري ، مجلة الأسرة، العدد الأول، مكتبة الرياض، ١٩٩٣م.

– محمد خير عدوي، العبرة من قصة سيدنا موسى في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، ١٩٨٠م.
– محمد صفوت، كتاب القصص في القرآن الكريم، ضمن سلسلة دليل المسلم، دار مصر للطباعة.
– محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط١، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م.
– محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ط٣، مطابع الشعب، مصر، ١٩٦٤م.
– محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ط٣، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٢م.
– محمد قطب عبد العال ، نظرات في قصص القرآن الكريم، سلسلة دعوة الحق تصدرها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، العدد ١٢٢، صفر ١٩٩٢.
– محمد محمود حجازي، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، ط١، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٧٠م.
– محمد ناجي مشرّح، الآفاق الفنية في القصة القرآنية، مجلة دورية، مكتبة الملك فيصل للبحوث والدراسات، (الإعلام الإسلامي)، مكتبة الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض.
– محمد يوسف نجم، القصة في الأدب العربي الحديث( ١٨٧٠-١٩١٤ )، دار الثقافة، بيروت، د.ت.
– محمد يوسف نجم ، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٥م.
– محمود تيمور، فن القصص دراسات في القصة والمسرح، مكتبة الآداب ومطبعتها بالحماميز، القاهرة، د.ت.
– محمود حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن الكريم، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٧٧م.
– منصور الرفاعي عبيد، أهداف القصة في القرآن الكريم، القاهرة، ١٩٧٨.
– نبيلة إبراهيم، فن القصص في النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة، مصر، د.ت.
– نبيلة إبراهيم، قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية – دار الثورة، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.

- يوسف الشاروني، دراسات في القصة القصيرة، دار طلاس، دمشق، ط١ ١٩٨٩م.

**ثانيًا: المصادر الالكترونية:**

- ttp://www.alukah.net/literature_language/0/85842.
- http://www.alkhaleej.ae/supplements/page/589f653d-80e2-4178-a59e-2a8f4ec90f8a.
- http://www.alfaseeh.net/vb/showthread.php?t=18786